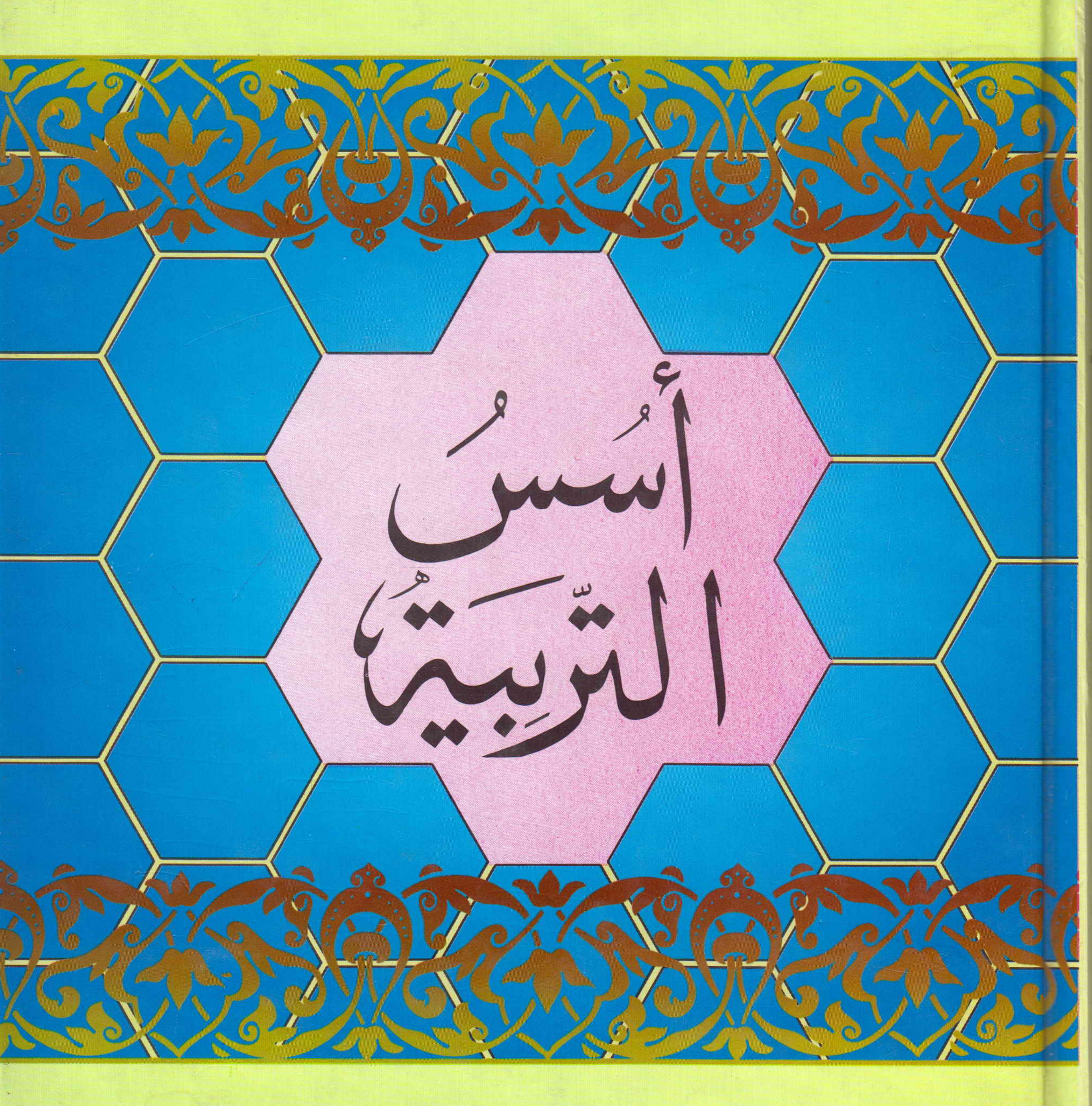
الدكتور علي القائمي



دار النبلاء



أسس التربية



الدكتور علي القائمي

أسس التربية

ترجمة عبد الكاظم لوباوي

دار النبلاء

الطبعة الأولى

١٩٩٥ م / ١٤١٥هـ

دار النبلاء

بيروت - لبنان ص - ب ١١/٨٦٠١
هاتف: ٨٣٧٨٢٦/مقسم ١١٤
فاكس: ٦٠١٠٠٥ - ١ - ٠٠٩٦١



الإهداء

إلى المعلمين والطلبة الجامعيين الملتزمين المؤمنين المخلصين.

إلى العاملين في البحوث والدراسات، الذين يبذلون جهوداً وسعياً متواصلاً لمعرفة الأسرار اللازمة في التربية.

وإلى المربين الساعين بإخلاص لإرساء أسس سعادة المجتمع عن طريق التربية والتعليم الصحيح للأجيال، والتي تُبنى الحياة في ظلها على أساس عقائدي إلهي، ويتحقق للبشرية السلام والخير والتفاهم والحضارة والعقيدة والإيمان الصادق. أجل.

لهؤلاء أقدم هذا الكتاب، بتواضع.

المؤلف

شهر رمضان ١٤٠٢

القسم الأول

المقدمة

الفصل الأول، في الحقيقة بمثابة مدخل لبحثنا في مجال التربية، وهو فصل مختصر، وفيه نظرة إلى مسألة التربية وأهميتها، والدور الذي تلعبه في بناء المجتمع أو تدميره.

وفي مقدمة هذا الفصل سوف نتحدث عن ضرورة التربية في البلد حالياً، وخاصة في ما يتعلق بالثورة الإسلامية، والمسائل التي يجب أن تُدرس وتُبحث من قبل أهل الرأي، ثم نتناول الغرض والهدف المقصود من وراء تدوين هذا الكتاب، ونختتم هذا الفصل بطلب التوفيق للعاملين في التربية.

والقسم الآخر من هذا الفصل يتعلق بمسألة العلم، والبحوث المطروحة في جوانبه وأبعاده وذلك لتحديد موضع علم التربية بين العلوم الأخرى، ووضع الأساس للبحث بشأنه في الفصول اللاحقة. وهذا الفصل بشكل عام هو بمثابة مقدمة تمهيدية للبحوث اللاحقة، وقد حاولنا مراعاة الاختصار فيه.

الفصل الأول

١ ـ المقدمة

إن التربية في المجال الفردي هي عامل لبناء الإنسان وأداة لتوجيهه ونضجه، إذ يمكن عن طريق التربية، البلوغ بالإنسان إلى قمة الجمال والكمال، وبناء أناس مفكرين ومدبّرين ومبتكرين ومنتجين ومُغيّرين على الصعيد الوطني والدولي.

والتربية في المجال الجماعي، عامل من أجل التعايش والتفاهم الاجتماعي المقرون بالسلام والسعادة، والحياة في ظل المحافظة على القوانين ومراعاتها. وهي أمر من الضروري وجوده لاستمرار حياة جميع المجتمعات.

وثمة علاقات بين التربية والاقتصاد، التربية والسياسة، التربية والحضارة، لا نريد الآن بحثها ودراستها، إلا أنه بإمكاننا القول ان قيمة المجتمع لا تتمثل في معادنه وثرواته التى فوق الأرض وتحتها، وإنما قيمته مرهونةَ بالعقول الناضجة والأفراد المهذبين الذين يعيشون فيه ويعملون ويجهدون.

وقد كان فقدان التربية الصحيحة فاجعة للبشرية، دائماً، وأثبتت الحرب العالمية الأولى والثانية كيف تقاتل الناس وسفكوا دماء بعضهم البعض بلا مراعاة للحقوق، وكان سبب ذلك التربية الخاطئة لديهم.

أجل، إن الذين سفكوا الدماء، لم يكونوا في الظاهر وحوشاً وأميين، بل كانوا قد تربّوا على أسس أنظمة متحضرة، ظاهرياً، لكنها تفتقد إلى التعاليم السماوية والإلهية، فكانوا يهتمون بالجسم والغرائز، ولا يحددون مقررات وقيود يلتزم الإنسان ذاتياً، وهو خطر يهدد الإنسانية اليوم مرة

أخرى، بعد أن استمرت تلك الأنظمة غير الإلهية بالابتعاد عن الله وتعاليم الأنبياء، يوماً بعد يوم.

نظامنا التربوي:

إننا نعلم أن النظام التربوي في بلدنا كان نظاماً مستعاراً من الغرب، فعندما تقرر آنذاك تأسيس المدارس في هذه الدولة والموافقة الرسمية عليها، استعير نظامها من الغرب وخاصة من فرنسا، وكانت المواضيع التي دُرّست فيها هي من نتاج الفكر الغربي.

نعم، كانت هناك برامج دينية في المدارس، ولكن ما هو أثرها وفائدتها؟ فالنظام إذا أُعدّ وطُبق وفقاً لأهداف خاصة، فإن جميع الدروس الرسمية وغير الرسمية سوف تسير في مسيره وتذوب فيه، وعند ذلك لا يمكن طرح درس الأخلاق والدّين، والدليل على هذا الزعم هو ما أنتجته تلك التربية، حيث رأينا أن النظام ذلك، لم يبنِ أشخاصاً متدينين ومؤمنين، ولم يُخرّج طلاباً معتقدين بالدين، وإذا كان هناك بعض الخريجين، متدينون ومؤمنون وواعون، فذلك لم يكن ببركة نظامنا التربوي، وإنما كان هذا الأمر حصيلة جهود الأسر والمراكز الدينية والأفراد الملتزمين والمتدينين في المجتمع.

وقد أُجريت تغييرات وإصلاحات متكررة لهذا النظام طيلة فترة تطبيقه في هذه الدولة، ولكن هذه الإصلاحات لم تستهدف، للأسف، تربية الناس تربية إلهية، بل أُريد منها إثارة إعجاب الناس وإذابتهم بالغرب والحضارة الغربية، وإعداد المبلغين للحضارة الغربية.

حصيلة هذا النظام:

لم تكن حصيلة العمل بهذا النظام إلاّ الذوبان أمام الغرب، والتمرد على قيود الدين والعصيان والاستهزاء بالتقاليد والضوابط المعقولة، وعدم الاعتقاد بالله والدين والتعاليم الإلهية، والالتزام، بدلاً من ذلك بعالم الخيالات والأهواء، والرغبة في التفاخر على الآخرين بالتقدم الصناعي للغرب، الذي لم نذق طعمه بل دفعنا غرامته، والتعلق بالشهادة المدرسية

والمكاتب والأزياء البراقة، ونيل صفة الخبير في الدوائر والمؤسسات، وما يترتب عليها من رواتب وامتيازات من دون أن تكون لديهم معرفة بالأمور وقابلية على حل مشاكل البلد، وإنما إتلاف لبيت المال وثروة هذه الدولة.

إن من الضروري الإشارة إلى أن ما نراه في هذا البلد بشأن انتصار الثورة الإسلامية، والتحول في فكر الجيل الجديد لا سيما الشباب، ليس بفعل الجهاز الضخم للتربية والتعليم في إيران. وأنا أُثمن دور بعض المعلمين المؤمنين والملتزمين قبل انتصار الثورة وما قاموا به من تثقيف وبناء، وكذلك الذين استطاعوا بذكاء خاص طرح المسائل التي تبني الجيل وتوجهه من خلال التدريس، وفي ثنايا الكتب الدراسية، إلاّ أن هؤلاء أنفسهم يعلمون أن ما قاموا به من عمل، كان لا يقاس بالتيار الهدام للنظام القائم، ولكن ما هو السبب في حصول هذا التحول لدى الشعب وخاصة الشباب، مع وجود ذلك الوضع المذكور؟ إننا لا نملك إجابة علمية صحيحة على هذا السؤال. وبرأينا ان ما وقع في هذا المجتمع، كان أمراً شبيهاً بالمعجزة، وكأن شرارة توهجت في أذهان وقلوب الشعب، فأصبحوا ربانيون، حسب تعبير الإمام، وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار الرقي الموجود والتحولات الجديدة أنها من نتاج نظام التربية والتعليم في هذا البلد، ولا أن مضمون وطريقة التربية كانت عاملاً في وقوع هذه الثورة والتغيير.

الوضع الحالي للنظام:

إن من الخطأ ومن التجاهل، أن نظن أن النظام السابق قد تغير تماماً أو انتهى بعد انتصار الثورة الإسلامية، فقد أثرت كثرة المشاكل بعد انتصار الثورة والتي نجمت عن العراقيل التي قام بها أعداء الثورة، وتحالفهم مع الأجانب، في عدم استطاعة أولياء الأمور القيام بالتغييرات اللازمة المتناسبة مع مسيرة الثورة الإسلامية، بالشكل المطلوب، وقد أدى عدم كفاءة بعض المسؤولين في الأمور التربوية، وعدم تعاون أهل الكفاءات معهم، حيث كانوا يأملون فشل الثورة الإسلامية، أدى إلى عدم بلوغ النظام التعليمي، الدرجة المطلوبة للأسف إذ لم تُنقَّ مضامين الكتب الدراسية، كما يجب، ولم تتغير كل أساليب التربية، على أساس المعايير الإسلامية، حتى الآن،

ولم يتمكن جميع المعلمين من التلاؤم مع النظام الإسلامي، حتى الآن، ونأمل الاهتمام بهذه المسائل والجوانب بأسرع ما يمكن.

أهمية المسألة في هذا اليوم:

إن للتربية أهمية على طول التاريخ ولجميع المجتمعات والشعوب، ولكننا نظن أنها أكثر أهمية في هذا العصر، وخاصة لبلدنا الذي هو مهد اجتماعي لشعب ثائر ومسلم، ولا ننسى أن الثورة في كل دولة ومجتمع، ترتبط بالعوامل الآتية:

١ ـ بوجود قيم مقبولة يستعد الشعب على أساسها للقيام بالثورة ومواصلتها.

٢ ـ بمسيرة إدارية وفكرية في المجتمع، يرى الشعب أن مشاكله محلولة في ظلها.

٣ ـ بالجانب الاقتصادي، والطريق الذي يمكن على ضوئه العيش بشرف، في الحدود المعقولة على الأقل.

٤ ـ وأخيراً الاعتماد على العقيدة والدين، الذي يكون الإنسان مستعداً للتضحية بالنفس في طريقه.

وأنتم تعلمون أن هذه الأمور ممكنة من خلال التربية، والتربية بإمكانها أن تكون سبباً لقيام الثورة واستمرارها.

إننا نعتقد أن مسألة التربية في هذا العصر والزمان، لها أهمية الموت والحياة بالنسبة لنا وللإنسانية أيضاً، فنظامها وحركتها واستمرارها وتكاملها وإيجاد الرغبة والقبول بها، أمر ممكن عن طريق التربية.

المسائل التي يجب دراستها في التربية:

إن بلوغ هدف التغيير الجذري للنظام وتحويله إلى نظام إسلامي أو أي نظام آخر يستلزم تشكيل مجمع يضم أهل الرأي والباحثين ليتدارسوا بشأن المسائل التالية ويستخرجوا البحوث من مصادرها ويصلوا إلى نتائج واضحة:

١ ـ **الآراء ووجهات النظر**: وتشمل رؤية تلك العقيدة لعملية خلق الكائنات ومراعاة خلقها ووصف الإنسان وقيمته والهدف من خلقه وسيره في هذا العالم ومواقفه تجاه الظواهر والأمور والأحداث، وعلاقاته مع نفسه وخالقه ومع الآخرين ومع العالم. . .

٢ ـ **الأهداف**: وتضم الأهداف الدينية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ويجب في هذا الصدد تحديد كل ما يطرح بوصفه حقيقة، وما يُدرس في مجال الغيب ليتضح الهدف الذي نريد سوق الإنسان نحوه، وكيفية ذلك، ونوع المواقف التي ندفعه إليها بالنسبة لأبعاد تلك الحقائق.

٣ ـ **المضمون**: حيث تتبين في الحقيقة ما هي الأمور التي نرغب تعليمها للفرد وما هي حدودها؟ وما هي المسائل التي يجب أن يتعلمها الإنسان طيلة فترة حياته في البيت والمدرسة والمجتمع؟ وما هي مجالاتها؟ وما هو مستوى الاقتصاد الذي يجب أن يعلمه الفرد، وما هو مستوى معرفته بالأمور الصحية والبحوث الدينية والأخلاقية وغيرها؟ وما هي وجهة المحتوى؟ وما هو الأساس الذي تقوم عليه ظروفها ومقتضياتها؟ وغير ذلك.

٤ ـ **المستويات الدراسية**: ما هي المستويات الدراسية التي يجب فيها تعليم الجيل تلك المضامين بكل أبعادها؟ فما مضمون الدراسة في فترة الصغر، حين يعيش الطفل في بيته، وما هو المستوى في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والعالية؟ وما هي أقسام المضامين التي يتعلمها الشخص في كل مرحلة؟ وما هو المحتوى المباشر وغير الرسمي لهذه المراحل؟ وما هو الهدف المطلوب في كل مرحلة؟ وأي المراحل تكون إلزامية، وفي أي مناطق؟ . . .

٥ ـ **الطريقة**: ما هو الطريق والأسلوب الذي نستخدمه في مجال التعليم، وماذا يكون في مجال التربية؟ وما هي القواعد التي تراعى في الأعمار وما هي المقررات التي تراعى في إعادة البناء؟ وأي الفنون والوسائل التي تنفعنا في هذا الطريق؟ وماذا نفعل كي يتعلم الطفل بصورة أسرع وأفضل وأكثر، وينصلح بطريقة أسهل وأقل عناء؟

٦ ـ **التقييم**: يجب القيام بدراسات وبحوث في هذا الصدد لتحديد كيفية التقييم أو الامتحان في النواحي المتعلقة بالتربية والتعليم؟ وما هي

القواعد التي تعتمد في هذا الأمر؟ وكيف يكون المعيار في إعطاء الدرجات؟ وما هو أساس تقييم التقدم أو التخلف؟ وكيف يجري التقييم في الناحية التربوية؟ وما هو الهدف في ذلك؟ وما هو مدى القبول بنظام الامتحانات الحالي؟

٧ ـ **إعداد المعلم**: وهي مسألة مهمة في الدراسة، إذ كيف يجب أن يكون المعلم، وما هي الشروط التي يجب أن تتوفر فيه؟ وما هو الأساس المستخدم في القبول؟ ما هي فترة إعداده؟ ما هي شروط الاستخدام؟ ما هو مرتبه الشهري؟ وما مقدار عمله؟ وما هي الدورات الإضافية له؟ كيف يمكنه إكمال دراسته؟ وما هي مكانته الاجتماعية و. . . ؟ وما هو مقدار علمه وثقافته...

٨ ـ **التنفيذ والتنظيم**: من الضروري هنا القيام بدراسة لمعرفة كيفية تطبيق النظام ونوع التشكيلات اللازمة لتطبيقه وما هي الميزانية اللازمة وما هو مصدر تأمينها وهل يُطبق النظام على مستوى الدولة أم على مستوى إقليمي وما هي صلاحيات الإقليم، وما هي صلاحيات المركز؟ وغير ذلك من المسائل التي يجب توضيحها في نظام التربية والتعليم حتى يعرف الشعب والمعلمون تكليفهم في هذا المجال، ولا شك بظهور عقبات ومشاكل عند التنفيذ والعمل، حيث يجب القيام بإجراءات في هذا الصدد من أجل حل المشاكل ومعرفة عواملها.

الإجراءات التي تم اتخاذها

لا شك أن ثمة إجراءات قد اتخذت من قبل بعض أهل الرأي والاطلاع، خاصة في الأعوام التي تلت انتصار الثورة الإسلامية، وقد أُعدت ودُونت بعض الكتب في هذا الصدد، وأنا أثمن بتواضع جهود أصحابها ومساعيهم، ولكن لدي انتقادات لكثير من الكتابات ووجهات النظر، وذلك أمر طبيعي، ولا أريد هنا تقييم مؤلفات أحد، ولا أعتبر وجود النقص في أعمالهم وآرائهم أمراً كبيراً إذ أن الإنسان معرّض للخطأ، وليس هناك شخص غير المعصومين، لا يرتكب انحرافاً أو خطأ صغيراً أو كبيراً، فالخطأ موجود في أعمال كثير من الأفراد، ومن بينهم أنا، إلا أن من غير المقبول أن يدخل إنسان لا يملك وعياً واطلاعاً، في موضوع، لا يدفعه إلى ذلك إلا محاولة إظهار نفسه ضمن صف أهل الرأي والخبرة. أو أن يمسك

القلم ويحاول إطعام الناس نتاج فكره الذي لا يُعرف مصدره، وذلك من أجل أهداف غير صحيحة.

وعلى أي حال فإن جهود أهل الوعي والإيمان والخبرة في عملهم، جديرة بالتقدير وإن كانت قليلة، وأدعو الله بخضوع أن يبارك في أعمارهم وأفكارهم وأقلامهم.

ما قدمناه في مجال التربية:

إن هذا العمل الذي قدمناه في هذا الصدد يتناسب مع بضاعتنا العلمية المزجاة وفكرنا القليل المحدود، حيث نهدف من ذلك طرح مقدمة لدراسة أمر التربية، وتقديم طريقة إلى الطلبة الجامعيين الأعزاء من أجل مزيد من التحقيق والبحث.

ولم نحاول في هذا الكتاب أن نطرح التربية الإسلامية بشكل خالص صرف، وإنما حاولنا عرض وجهات النظر والآراء المختلفة في كل مجال، لندفع القراء إلى الحكم واتخاذ الموقف في هذا الصدد.

وعلى هذا الأساس سعينا في هذه البحوث إلى بيان حدود البحث والجوانب المحيطة به، بدلاً من بيان المواضيع، فقد حاولنا في مسألة أهداف التربية، مثلاً، أن نوضح ما هو الهدف بدلاً من أن نتناول شرح مواقفنا من هذه الأهداف، فطرحنا جوانبها وأبعادها والكليات الواردة فيها، كي يقوم القارىء بنفسه بالبحث على أساس ذوقه، ويستخرج مثلاً الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للتربية، سواء من منظار الإسلام أو بمنظار العقائد والأديان الأخرى، وأملنا أن يكون هذا الكتاب مفيداً ولو بشكل إجمالي لجميع العاملين في بحوث التربية والتعليم، ويثير البعض الأسئلة في الأذهان ويدفع الباحثين إلى التحقيق.

وفي الختام أعترف بنقصي وعجزي في عرض مباحث التربية، وأطلب من القراء تذكيري بالنواقص الأساسية في هذا المؤلف لغرض إصلاحها في الطبعات اللاحقة، هذا أولاً، وثانياً أن يبذلوا جهوداً شاملة في تدوين مؤلفات في التربية الإسلامية وتقديمها إلى أسواق المسلمين، وأدعو الله تعالى بالتوفيق والخير والبركة لجميع العاملين في حقل التربية وتوجيه هذا الجيل على أساس التعاليم الإسلامية.

الفصل الثاني

حديث في باب العلم

يولد الإنسان في حالة يمكن القول عنه، جاهلاً وذلك بلحاظ أصل الخلقة، وفي هذا قليل من المسامحة، ونقول مسامحة، لأن القرآن طرح مسألة الوعي الفطري والغريزي في الإنسان، وذكر أن الله أودعها في كل إنسان.

ونقصد بالفطرة، الصفة التي توجد في كل كائن عند بداية خلقه، كما أنها تعني الطبيعة والطبع. وقد استعملناها في هذا البحث بمفهوم الصفات والخصائص الإنسانية. ونقصد بالغريزة القوة المجهولة التي توجّه الكائن الحي نحو الهدف المطلوب.

وهاتان الصفتان والقوتان موجودتان في الإنسان منذ أول ولادته وهما بمثابة نوع من الوعي ووسيلة هداية. وأما إذا تجاهلنا هاتين الناحيتين في الإنسان، فعند ذلك سوف نقول بأنه لا يعلم شيئاً (أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً).

مصدر وأداة الوعي:

إن مصدر كسب الوعي في أي إنسان هي غريزة البحث والطلب، أما أداته فهو الإنسان نفسه، وقد ذكر علماء النفس ١٥ حاسة في الإنسان، من بينها الحواس الخمسة التي تمثل نوافذ يتعرف المرء من خلالها على العالم الخارجي، وهي البصر والسمع والذوق والشم واللمس.

والمعلومات الأولية لدى الإنسان هي من نوع المعلومات الحسية التي تتحول في ما بعد إلى معلومات إدراكية ومنطقية، وبعبارة أخرى إن الإنسان

يستطيع لاحقاً في ظل هذا الارتباط بين العلة والمعلول، التعرف على العلاقات بين الظواهر ويصل عن هذا الطريق إلى حقائق الأمور والأشياء، وتسمى هذه المعرفة للأشياء والأمور والظواهر، التي لها بعد إدراكي أو منطقي بالعلم.

تعريف العلم:

إن الإجابة عن ماهية العلم من حيث المعنى اللغوي واضحة، فقد عُرّف العلم بمعنى المعرفة اليقين والحالة المضادة للجهل. ولكن ثمة اختلاف في آراء أصحاب الرأي من ناحية تعريفه، حتى أن بعض الفلاسفة والعلماء اعتبروه صعب التعريف، حيث يقولون ان صفتي المانعية والجامعية اللتين تُعدان من خصائصه غير موجودتان في تعاريف العلم.

ومع هذا فإن بالإمكان عرض توضيح للعلم من خلال ملاحظة بعض التعاريف الآتية في هذا المجال، وذكر حدوده والفوائد والخصائص المترتبة على ذلك. فقد قيل: إن العلم هو عبارة عن المعرفة أو المعرفة العامة.

ـ مجموعة من الأمور الممكن معرفتها، والتي لها علاقات متبادلة.

ـ جزء من المعرفة التي تشرح الحقيقة.

ـ مجموع الحقائق والقوانين على حقيقة الأشياء والأمور التي يتم الحصول عليها على أساس طريق علمية.

ـ اكتشاف القوانين الطبيعية، والقانون الطبيعي هو أداة اتصال ثابتة بين الظواهر.

ـ علم معرفة الحقائق.

ـ معرفة الحقائق.

ـ معرفة الحقيقة عن طريق الحس والتجربة اعتماداً على فلسفة ما مع التأكيد على الكمية.

ـ السعي لتطبيق تجربة حسية غير منظمة ومتنوعة على نظام فكري، على أن يكونا متحدي الشكل من الناحية المنطقية. (انشتاين)

ـ العمل على اكتشاف الحقائق بشأن العالم والقوانين التي تربط تلك الحقائق مع بعضها البعض بحيث يصبح من الممكن توقع الحوادث المقبلة، وهذا العمل يُنجز بواسطة المشاهدة والاستدلال القائم عليها. (راسل)

ـ العلم و التعرف المنظم. (سبنسر).

ـ هو المعرفة المنظمة التي تستحصل وفق طريقة معينة، وتبين العلاقات الثابتة بين الحقائق.

ولا يتفق العلماء الإسلاميون مع علماء العلوم المادية في تعريف العلم، إذ يعتبرون العلم أنه:

ـ الصورة الحاصلة للأشياء في العقل.

ـ جميع المعلومات البشرية المستحصلة بطريقة ما.

ـ نور مقتبس من ملكات النبوة في قلب العبد المؤمن، والذي بواسطته يعرف الله، أو أمر الله، أو نور الله.

تحليل هذه التعاريف:

يتفق العلماء المعاصرون في مسألة تعريف العلم على الأمور الآتية:

ـ إنه معرفة منظمة غير مبعثرة.

ـ العلم يحصل بطريقة معينة وليس بلا حساب.

ـ العلم يدور حول العلاقات الثابتة لا العلاقات المتأرجحة.

ـ العلم يبين الحقائق التي يمكن لمسها علمياً.

ـ المعلومات العلمية مرتّبة وهي ممكنة الاستحصال باستخدام نفس الأسلوب.

خصائص العلوم:

هناك خصائص للعلوم بشكل عام، منها ما يلي:

ـ بعيدة عن الاحتمال والصدفة وقريبة من اليقين.

ـ لا تتقيد بالزمان والمكان إلا في إطار نظامها.

ـ يمكن دراستها وتجربتها وقياسها.

ـ ترتكز على التجربة وعلاقات العلة والمعلول، وحتى الرياضيات تأخذ مفاهيمها من التجربة.

ـ بعيدة عن العصبية والخيال والحدس والظن.

ـ إنها تسير نحو النمو والتكامل وتتسع وتحصل على رؤية جديدة عن طريق اكتشاف قوانين جديدة.

ـ العلوم ليست مطلقة إلا في حالة انطباقها عملياً مع الحقيقة.

ـ لا تفقد اعتبارها مع مرور الوقت.

ـ تعطي نتائج قابلة للتوقع والتنفيذ.

ـ لكل علم لغة ومصطلح خاص لبيان مفاهيمه، وثمة علوم تطرح بلغتها الأصلية.

إن عمل ووظيفة كل علم هي جمع المعلومات وتنظيم وتفسير الحقائق لاستخراج القواعد والقوانين المتعلقة به والتي يتمكن الإنسان على ضوئها من الاكتشاف والتوقع، وعلى أثر ذلك يتغلب على الأشياء التي في العالم الخارجي ويمهد الطريق لكسب الراحة والرفاه والسير نحو السعادة والكمال.

إن للعلم دور في حياة الإنسان وتحولها وتغييرها، فيوسع نظرة الإنسان للمسائل ويعمق وجهة نظره حول الأمور ويرفع المجاهيل والعراقيل من طريق الإنسان.

تقسيم العلوم:

تقسم العلوم إلى عدة أقسام على أساس رؤى متنوعة، وهذه بعضها:

١ ـ تقسم العلوم إلى قسمين: الوصفية والمعيارية، فالعلوم الوصفية أو الإثباتية تبحث بشأن الظواهر كما هي، كالفيزياء والكيمياء وعلم الاحياء وعلم النفس والتربية. أما العلوم المعيارية فتبحث بشأن الظواهر كما يجب أن تكون مثل القواعد والمنطق والأخلاق وغيرها.

٢ ـ ومن زاوية أخرى تقسم العلوم إلى ثلاث أنواع: العلوم الصورية

أو الشكلية مثل العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والنجوم، والعلوم الإنسانية مثل التاريخ وعلم النفس والتربية.

٣ ـ والعلوم على أربعة أقسام إذا نظر إليها من زاوية أخرى:

ـ العلوم الطبيعية التي تدرس الحقائق المادية غير الحية، مثل الفيزياء والكيمياء.

ـ علوم الاحياء التي تبحث في الحقائق الحية مثل علم الاحياء، علم الجراثيم، علم الحيوان ووظائف الأعضاء.

ـ العلوم الإجتماعية أو الإنسانية التي تدور حول الأمور ذات الصلة بعلاقات الإنسان، كالاقتصاد والتربية وعلم الاجتماع والتاريخ وغيرها.

ـ العلوم الميتافيزيقية مثل العلوم الدينية والإلهيات و...

٤ ـ وهناك تقسيمات عديدة أخرى نشير إلى بعضها:

العلوم الآلية وغير الآلية، العلوم العقلية الداخلية والخارجية، العلم الحضوري والحصولي، العلوم العليا والسفلى، العلوم المادية والإلهية، العلوم النظرية والعلمية، العلم البسيط والعلم المركب، العلم الإجمالي والتفصيلي، علم الظاهر وعلم الباطن، العلم التحصيلي والعلم اللدني، العلم بالدنيا والعلم بالآخرة، العلم المادي العقلي، الحكمة العلمية، الحكمة النظرية، سياسة المدن، التدبير، وغيرها.

وتوجد تقسيمات لكل من العلوم المذكورة، فتشمل في أجزائها جميع العلوم المعاصرة، ولا يمكننا في هذا البحث دراستها كلها.

إن ما نريد بحثه هنا هو مكانة علم التربية، الذي بالإمكان اعتباره جزء من العلوم الوصفية وهو من العلوم الاجتماعية إذا نظر إليه من زاوية العلوم الإنسانية، وهو جزء من العلوم الآلية وجزء من العلوم الداخلية، فيدرس ضمن العلوم النظرية وكذلك ضمن العلوم العملية، وهو من زاوية، يعتبر علم دنيوي متصل بالآخرة، ويُدرج في إطار الفنون وفي نطاق الإراديات أيضاً.

أساليب العلوم:

لكل علم أسلوب في الدراسة والتنمية، والأسلوب المستخدم في العلوم الإنسانية ومنها التربية هو أسلوب المشاهدة والاختبار.

- المشاهدة عبارة عن دراسة وبحث الظواهر كما هي:

وقد تكون المشاهدة بصورة وصفية، أي الدراسة للظواهر مباشرة، حيث يستفاد في هذا الطريق من بعض الفنون كالمقابلة، وأوراق اختبار ودراسة الوثائق الخاصة، وقد تكون وثائقية، وفي هذه الحالة يُستفاد من الدراسة غير المباشرة للظواهر فنبحث الوضع الماضي للفرد وسلوكه في المواقف السابقة والحالية وندرس أبعاد المسألة.

ولدينا بحث مستقل في ما يتعلق بعلم التربية، سوف نطرحه في فصل من هذا الكتاب.

إن جميع العلوم الإنسانية تمر بمراحل في التحقيق، وهذه المراحل هي حسب الترتيب الآتي:

تعيين الموضوع، تحديد أو تعيين حدود الموضوع، السعي لكسب وجمع المعلومات، ترتيب المعلومات، دراسة وبحث المعلومات لتعيين فرضية، دراسة الفرضية، استخراج قاعدة أو قانون، الحصول على نظرية ورؤية كونية في ذلك الأمر، ونستفيد عادة في الوصول إلى القاعدة أو القانون من جميع المجالات العلمية والعقلية التي تشمل الإدراك، الشهود، العرفان، الشعور والتعقل ونضمن قطعيتها من خلال التطابق مع الحقيقة.

كلام في العلوم القديمة والجديدة:

إن استخدام مصطلح القديم والجديد في ما يدخل تحت عنوان العلم، هو أمر بلا معنى برأينا، لأن العلوم تظل حية وحاضرة ما دامت لم تفقد اعتبارها العلمي، ولا يمكن اعتبارها قديمة، إلا أن نقول أن المسألة الفلانية أخذت شكلاً علمياً في التاريخ القديم.

وهناك اثنين أو ثلاث أسباب تتعلق بطرح مسألة العلوم الجديدة والقديمة وهي:

١ ـ اعتمدت العلوم، بعد رنسانس وخاصة بعد الثورة الصناعية، على اللمس والتجربة أو اللمس والحس، وعلى هذا الأساس، سميت كل معرفة لا تعتمد على اللمس والحس، كالبحث بشأن العلوم الالهية، الغيب، الملائكة، معرفة قديمة، وسميت سائر العلوم التجريبية، علوماً جديدة، وهذا الأمر يمثل عقداً من طرف واحد.

٢ ـ يمكن اعتبار موضوع القديم والجديد ذا علاقة بقدم البحث في المسائل المطروحة، بمعنى أن البحث في الميتافيزيقيا والمسائل المتعلقة بالأديان من أقدم البحوث البشرية، وأما العلوم الأخرى كالفيزياء وعلم الاحياء وعلم النفس، فهي في الحقيقة من المباحث التي ظهرت حديثاً، وهي نابعة من التعاليم الدينية حسب بعض الآراء وعلى هذا الأساس، يُدعى العلم الذي يتعلق بالأديان، بالعلم القديم، والعلم الذي يبحث في سائر المسائل التجريبية، بالعلم الجديد.

٣ ـ الوجه الثالث الذي نرى مصداقه كثيراً في إيران وفي مجتمعنا، هو استفادة العناصر المعادية للدين من هذا المصطلح، حيث أرادت على ضوء ذلك إظهار الدين على أنه مسألة قديمة بالية برأيهم، واعتبار البحث فيه أمراً متروكاً ولا يستحق الذكر، وقد نجحوا للأسف في هذا الهدف الخطير إلى حد كبير.

إن ما يجدر الإشارة إليه أن نظرة الماديين في قبول العلم تقول أن البحث في العلوم يجب أن يطرح على ضوء المصالح المادية والحياة اليومية، ويجب أن يلاحظ قِدمها وحداثتها من هذه الزاوية، وعلى هذا الأساس فإن بإمكاننا اعتبار البحث بشأن الأديان من أحدث البحوث المعاصرة، وذلك لأن دوره في حياة الناس وحصول التغيير والثورة والتوجيه نحو السعادة والسلام والتعاون والتكامل الاجتماعي والراحة النفسية، أكثر من جميع العلوم.

القسم الثاني

مسائل عامة في التربـية

نطرح في هذا الفصل، وكما يفهم ذلك من العنوان، مسائل تربوية لها صفة عامة، وسوف ندرس في هذه الكليات، بعض الأبعاد.

في البداية نتناول تعريف التربية ودراستها، وسوف نسعى من خلال تقديم تعريفات متنوعة، عرض صورة للتربية، ودورها ووظيفتها، ونوضح بشكل عام ما هي التربية وماذا تتضمن وما هي المفاهيم التي يمكن استخراجها من هذه اللغة. وفي فصل آخر من البحث نواصل البحث في التربية وفروعها، ونوضح الأقسام المختلفة التي تُدرس في هذا العلم. والتربية وفق هذه الرؤية لها مجال واسع، وكل من تلك الأقسام كانت موضوع بحث وتحقيق لدى حشد كبير من الباحثين.

ونبحث بشكل ملخص طريقة التحقيق في هذا العلم، وذلك في القسم الثالث من هذا الفصل. ونبين ماذا علينا أن نعمل لدراسة المسائل التربوية ودراسة هذا الموضوع، وما هي المراحل التي يجب المرور عليها.

وسوف يكون جهدنا منصباً على عرض المفاهيم العامة في هذا الصدد، ونترك تفصيل ذلك على عاتق المحققين.

الفصل الثالث

تعريفـات وبحوث

تعتبر التربية أقدم جهد قام به الناس من أجل هداية وبناء الإنسان، من جهة، وأحدث جهد، إذا نُظر إليه من جهة أخرى.

ـ فهو أقدم الجهود، من ناحية أننا نرى هذه العادة متداولة لدى كل الأقوام، وهي أنهم كانوا وحتى الآن، يسعون بأشكال خاصة، في تربية أبناءهم، وتهيئة مستلزمات رشدهم.

ـ وهي أمر جديد من حيث أنه دخل حديثاً في المراحل العلمية وأصبح له شكل علمي، يقوم على هدف ويرتكز على التجربة والاختبار اللذين يعتبران ركنا التحقيق في العلم. أما ما هو الهدف الذي يجب متابعته، فذلك بحث سنأتي عليه في هذا الكتاب.

ـ تعريفات التربية:

التربية مأخوذة من مادة رَبَو، وتعني في اللغة الارتفاع، بلوغ الذروة والإضافة والرشد. . . ، ومعناها الاصطلاحي، السعي لإيجاد التغيير المطلوب في الفرد وإيصاله إلى التكامل التدرجي والمستمر.

ـ وهناك اختلاف في الآراء بشأن تعريف التربية، ولهذا ليس بالإمكان العثور على تعريف جامع ومانع لها، وهذه آراء بعض أهل الرأي في هذا المجال:

أ ـ رأي الفلاسفة وعلماء الأخلاق:

يقولونهؤلاء:

ـ التربية هي فن قيادة وتوجيه الإنسان في بنائه وتعليمه.

ـ التربية تعني تنمية القوى البدنية والروحية للإنسان من أجل الوصول إلى الكمال المطلوب.

ـ التربية عمل يتولى الاتجاه إلى القيادة، تسهيل الرشد الإنساني والنفسي والفكري والمعنوي ومسؤولية جعل الإنسان اجتماعياً.

ـ التربية جهد وعمل محبوب، يتصف الإنسان بواسطته بفضيلة من الفضائل.

ـ التربية هي القيام بتغييرات في الفرد إلى مستوى الكمال.

ـ التربية هي البلوغ بالطاقات الإنسانية إلى درجة الكمال.

ـ التربية هي إيجاد للصفات الحميدة والملكات الفاضلة.

ـ التربية هي تنمية القوى البدنية والروحية في الإنسان بغية الوصول إلى الكمال الإنساني المطلوب.

ـ التربية تعني إيصال الجسم والروح إلى أعلى درجات الجمال والكمال.

ب ـ رأي علماء النفس أو علماء السلوك:

إنهم يعتقدون أن:

ـ التربية عمل متعمد واعٍ وهادف يقوم به فرد بالغ، بهدف بناء وتربية وتغيير فرد آخر.

ـ التربية هي عمل واع، من قبل شخص بالغ، تجاه طفل في حالة رشد، الفرض منه المحافظة عليه وحمايته وبنائه (وأحياناً إعادة بنائه أو جعله متلائماً)، وتحرير القابليات الكامنة فيه.

ـ التربية هي مراقبة دائمة لحياة نامية، وإيجاد تغيير في الفرد، بغية الحصول على قدرة إدراك المسائل، والتمهيد للاستقلال الفكري.

ـ التربية إيجاد رد فعل مناسب تجاه بعض الأعمال السلوكية.

ـ هي إيجاد تغييرات منظمة لأعمال وسلوك الفرد.

- التربية هي التوجيه المناسب للفرد بحيث يكون سبباً لإيجاد تغيير وتحرير القابليات.

- التربية هي توازن الرغبات الطبيعية وتنظيم كيفية الاستفادة من القوة الغريزية.

- هي السعي لإيجاد تغييرات ورشد ونمو وإظهار وتحرير القابليات والقوى الكامنة.

- التربية هي تنمية القوى الذهنية والإدراك والذاكرة وتداعي المعاني والدقة والإرادة.

- هي تنظيم الذهن عن طريق إيجاد اتحاد بين معنويات الحياة.

- التربية فن تعليم إظهار القوى الإنسانية بشكل مناسب في مراحل الحياة.

ج - رأي علماء الاجتماع:

يقول علماء الاجتماع بشأن التربية ما يلي:

- التربية هي العمل الذي يقوم به جيل بالغ تجاه الذين لم يبلغوا رشداً كافياً، والغرض من ذلك هو إعدادهم البدني والفكري والأخلاقي للدخول في المجتمع والحياة القادمة.

- تعني التربية إعداد عضو مفيد للمجتمع.

- التربية هي نقل عادات وتقاليد ومهارات وثقافة المجتع إلى أفراده الناشئين أو انتقال التراث الاجتماعي.

- إنها تعني انتقال طرق التفكير والشعور والعمل لدى مجتمع ما إلى الأجيال المقبلة.

- التربية عمل يقوم به جيل بالغ تجاه الذين لم ينضجوا بعد ولم يتهيأوا للحياة الاجتماعية.

- هي إعداد الفرد من أجل الوصول إلى الأهداف الاجتماعية.

- إنها إعداد الفرد لتسلم المسؤوليات في فترة الشيخوخة.

- التربية هي تهيئة أفضل الوسائل لتأمين مستقبل الوطن.

- هي انتقال ثروة الحضارة من جيل إلى جيل آخر، وهذا يؤدي إلى تراكم ورقي الحضارة.

رأي سائر العلماء:

ذكر العلماء الذين لديهم آراء في الفروع العلمية الأخرى، آراء في التربية، فقالوا:

- التربية تعني إيجاد تغييرات من أجل السير التكاملي، والسير التكاملي يعني الفعل والانفعال التربوي المستمر.

- إنها فن بناء وإعداد الإنسان.

- هي مجموعة قواعد ومقررات في النواحي العملية والفكرية، ومراعاة العادات والأخلاق التي تجيز للوالدين ممارسة النفوذ التربوي مع الأبناء.

- التربية معناها إعادة بناء التجربة وإعادة تنظيمها.

- هي فن تعليم كيفية إظهار القوى الإنسانية بشكل مناسب في مراحل الحياة.

- إنها تنمية الحياة الإنسانية بالطريق العملي.

- التربية تعليم الأعمال التي تهيء الإنسان للتمتع بحياة كاملة.

- التربية هي إيجاد تغييرات مطلوبة.

هـ - منظار الإسلام:

يجب الإشارة إلى أن ما سيطرح تحت هذا العنوان ليس أمراً ذكره أحد أئمة الدين في حديث أو رواية، بل هو استنتاج من دراسة لما ذُكر في الإسلام تحت عنوان التربية والمسائل التربوية، ولعل ثمة أشخاص يعثرون على عبارات وجمل أخرى، ويقنعون أنفسهم بتعريف آخر، والكلام الذي سأطرحه في ما يلي هو استنتاجي الشخصي للمنظار الإسلامي:

ـ التربية هي أداة للبناء المستمر وتشغيل الإنسان، والتي تثمر بناء إنسان مفكر مؤمن ملتزم ومسؤول يتمكن من التقييم والنقد للبيئة، ويعمل بتوجيهات الدين في مجال السلوك.

ـ هي إرشاد وإدارة المجرى التقدمي والتكاملي للإنسان، بالشكل الذي يوجهه نحو الله.

ـ إنها تعني إيجاد هيئة جديدة في الفرد عن طريق تهيئة الأرضية لرشده وتكامله الشامل.

ـ التربية معناه إحياء فطرة الله في الإنسان وتنمية أبعاده الوجودية باتجاه الحركة نحو الكمال اللامتناهي.

دراسة التعريفات:

من خلال ملاحظة ما ذكرناه يمكن القول اننا قد وصلنا إلى ملمح لمفهوم التربية وهدفها، وحصلنا من تلك التعريفات على النتائج الآتية:

١ ـ إن التربية هي أمر مدروس وليست مسألة طائشة.

٢ ـ التربية عمل واع يحصل على أساس العلم وليس الجهل.

٣ ـ والتربية على هذا الأساس تهتم بالهدف والخطة المدروسة المستحصلة من فكر أو فلسفة أو عقيدة أو دين وقد تكون أحياناً التقاطية منها.

٤ ـ يطرح في تلك المسألة، اكتشاف وتحرير القابليات والاستفادة منها.

٥ ـ إن فكرة القيام بذلك الاكمال والتكامل، هي الرشد والنمو والتخلص من الحالات الانفرادية وانتقال التراث.

٦ ـ السعي إلى الانسجام المدروس مع البيئة.

٧ ـ هي حركة دائمية ومستمرة ولا نهاية لها.

٨ ـ يقوم بها المرء نفسه أحياناً، وقد يقوم بها الآخرون بعض الأحيان.

٩ ـ تدخل ضمن ابتكار الإنسان من قبل الإنسان ولكن على أساس قواعد وضوابط فكر ما أو عقيدة ما.

١٠ ـ تجري فيها محاولة القيام بتوازن بين القوى المختلفة.

١١ ـ يستخدم فيها أسلوب ومسير معين من أجل الوصول إلى غايتهما.

١٢ ـ ليس من الضروري أن يقوم بها الأشخاص البالغون، تجاه الأصغر منهم، بصورة دائمة.

١٣ ـ تستعمل عناصر وأدوات في هذا الطريق.

١٤ ـ هناك طرق وعادات متنوعة وعديدة في كيفية التربية.

مفهومان في التربية:

بالإمكان استخراج مفهومين في لفظ التربية بمعناها العلمي وهما:

أ ـ التعليم:

ويعني تلقين مفاهيم ومعاني لفرد آخر عن طريق البيان، التصوير، الإيماء والإشارة، الاستدلال، المقارنة، الاستنتاج، أو تلقينها عن طريقة المطالعة، الاعتبار، التأمل، التعقل، التدبر...

ويتم التعليم عادة من قبل معلمين فعالين ومنفعلين أحياناً، ويستطيع الإنسان أن يكون معلماً لنفسه، كما أن بالإمكان أن تكون الظواهر والقضايا معلمة لنا، ويكون العلم بكل هذه العظمة كمدرسة لنا.

ونحن نعلم أن التعليم لا يعطي معنى التربية، بل هو جزء من التربية، وطريقته تعتمد على التجربة والتعقل، ويطرح فيه انتقال التراث الثقافي والتقييم والنقد والعمل على وفرته وتكثيره.

ب ـ التربية:

وهي توجيه وإدارة مجرى الرقي والتكامل للإنسان والمراقبة النشطة للحياة النامية، وتشمل دائرتها الأبعاد الوجودية للإنسان، وهذا الأمر يمارسه المربي، وبالإمكان أن يكون الوالدين والمعلمين وقادة المجتمع

مربين، أو أن يتوفر أشخاص لديهم وعي ورأي في هذا الموضوع الخاص.

والتربية تجري بطريقة البناء أو إعادة البناء، فالمسألة الأولى هي القيام بأمر ومواصلته على أساس تخطيط مدروس. والمسألة الثانية هي إعادة البناء فوق خرائب سابقة، وسنتكلم في هذا الصدد أيضاً، ونستخدم في التربية بعض الفنون والأساليب كالتوعية، التنبيه، التحذير، التثمين، التشجيع، التوبيخ، اللوم، القوة و. . .، وكذلك نستخدم طريقة عرض الاسوة بالاستفادة من شعور حب البطولة لدى الأفراد.

ما هي التربية؟

وعلى ضوء ذلك نريد أن نستنتج ونعرف ما هي التربية؟ ان النتيجة التي يمكن الخروج بها على أساس الصورة التي رسمناها واستناداً إلى أقوال وآراء العلماء، هي أن التربية:

١ ـ علم: لأنها ذات هدف وأسلوب وموضوع ومضمون. وتطرح فيها نتاجات عقلية ونظرية وبالإمكان دراسة مسائلها بالمشاهدة والتجربة والاختبار.

٢ ـ فلسفة: حيث تُبحث فيها أهداف وغايات وتُطرح فيها أسس وقواعد منطقية واستدلالية على أساس معطيات فلسفية.

٣ ـ فن: من ناحية أنها تعين البناء العقلي بطريقة ما، وتظهر رشد وتنمية القوى الإنسانية باستخدام فنون مراقبة، وهي شبيهة بسياقة السيارات، لأن الإنسان قد يكون عالماً، ولكنه غير معلم.

٤ ـ مهارة: إذ أنها تتضمن لطافة وأعمال دقيقة، وهناك مئات المسائل الدقيقة جداً في بناء أو إصلاح الإنسان، ويجب الاستفاد من هذه الظرافة العملية لتغيير الفكر والذهن.

٥ ـ علم مقرون بفن: لأنها تتضمن مسألة التأثير في التلميذ، والتأثير هذا ممكن بالطريق العلمي والفني، وليس بالصدفة والاتكال على الحظ والإقبال.

٦ ـ صناعة: حيث بالإمكان اعتبار نظام ومؤسسة التربية كالمعمل الذي يستلم مواد خام، وبعد صناعتها يحولها إلى نتاج معين.

٧ ـ خدمة: وأخيراً ان التربية هي خدمة للفرد والمجتمع والبلد، وتؤدي إلى الرشد والرقي، ويمكن عن طريقها بناء الفرد حراً أو عبداً، والتأثير في سقوط المجتمع أو رقيّه.

وبشكل عام نستطيع القول ان جميع مسائل التربية وأبعادها تتضمن جميع الجوانب الاستثنائية. والمعلم والمربي يؤدي الوظيفة للقيام بالتغيير المطلوب، في أدوار عديدة: فنان، صناعي، خادم، فيلسوف، صاحب فن وتكنيك.

الفصل الرابع

دائرة وفروع التربية

توجد دائرة واسعة وفروع عديدة لعلم التربية، فبحوثه متنوعة وفروعه متعددة وتُبذل جهود بشرية كثيرة في مجال الدراسات لهذا الفرع من العلم الإنساني.

إن التربية تهتم بالفرد من ناحية، وبالجمع من ناحية أخرى، وهي تمارس تارة من قبل الشخص نفسه، وتارة من قبل الآخرين. ويبحث هذا العلم في جميع الأبعاد الوجودية للإنسان، وفي كل بُعد ثمة مسائل أيضاً ذات جوانب متنوعة.

والتربية تلتقي مع فروع علمية عديدة بسبب عمومية وشمول البحوث، وتستفيد من بعض العلوم من أجل التقدم والنمو والتحقيق وسوف نشير إلى بعض أقسام ذلك في هذا الفصل.

أنواع البحوث:

يمكن تقسيم التربية التي تؤثر في الرشد والتحول والتي هي عنصر في التغيرات، إلى قسمين:

التربية النظرية والتربية العملية

تتناول التربية النظرية البحث في المسائل والقواعد التي يستفيد منها المربي في إجراء التغير والتحول في الفرد أو المجتمع، ويستطيع الوالدان والمربون بناء الجيل الجديد، وفي هذا الصدد عليهم أن يعلموا ما هو الإنسان وما هي الخصائص الفطرية والغريزية التي لديه، وما هي أبعاده واتجاهاته والعوامل المؤثرة فيه، وهل بالإمكان القيام بالتغير أم لا، وما هي

ماهية جسمه وعقله وفكره والقواعد المتحكمة في سلوكه و. . .؟

إن المعلم المربي يجب أن يعرف ما هو الهدف من ممارسته للتربية؟ وما هي الفنون والأدوات والمهارة والصناعة التي يمكن من خلال استخدامها، تربية الإنسان وإنضاجه؟ وكيف يجب إصلاحه في حالة الانحراف؟ وما هي معايير الشخص المتربي، وما هو أساس هذا المعيار؟ هل هو إرادة الناس، أم الدين، أم فكر العلماء؟ وغير ذلك.

إن التربية هي في الحقيقة تطبيق للقواعد والضوابط المستحصلة من التربية النظرية، ويسعى المربي إلى بناء الفرد وتوجيهه بالاستفادة مما حصل عليه في ظل الدراسات والبحوث وآراء الناس ورواية الدين، وكذلك التجارب والنتاجات العلمية.

وعلى هذا الأساس فإن عمل المربي ينصب في اتجاهين: ١ ـ اتجاه كسب المعلومات، والعثور على الآراء ووجهات النظر، والحصول على التجارب والتعرف على الخبرات والمعايير. ٢ ـ اتجاه تنفيذها وتطبيقها على الجيل الجديد.

العلوم الأساسية للتربية:

يحتاج المربي إلى امتلاك معلومات واسعة من أجل النجاح في أمر التربية. ومن الضروري أن تكون لديه معرفة ولو مجملة بجميع العلوم والبحوث التي لها علاقة بالإنسان بشكل ما، فيجب أن يعرف:

ـ علم الاحياء، لأن بعض أمور التربية تهتم بتربية البدن، وللبدن دور في النفس وفي السلوك.

ـ علم النفس، حتى تكون معرفة سبب السلوك وكيفية إجراء النظرية في ذلك، ممكن له، لتوجيه الفرد نحو السلوك المطلوب.

ـ الفلسفة، كي يفهم بداية وغاية حياة الإنسان وقيمته وكرامته.

ـ علم الاجتماع، لأن قيمة الإنسان تتمثل في حياته الاجتماعية وسلوكه بين أبناء المجتمع.

ـ التاريخ، حتى يستطيع أن يحافظ على الارتباط الفكري والثقافي بين الجيل الماضي والحاضر.

ـ الاقتصاد، من أجل أن يربي الفرد ويعطيه مهارة لازمة بالاستناد على الحاجات الضرورية.

ـ الدين، كي يتمكن من تربية الأفراد على أساس ما يريده دينهم.

ـ المنطق، حتى يلقّن الطفل طريقة الاستدلال والنطق.

ـ وهكذا يكون عارفاً بعلم معرفة الإنسان، وبالثقافات والعادات والتقاليد والأوهام والخرافات الموجودة في المجتمع، وكذلك القواعد والمقررات السياسية، من أجل أن يستطيع معرفته جيداً وإدراك ظرفه وتقييمه، وبالنتيجة يكون قادراً على توجيه الإنسان.

فروع التربية:

إن التربية بشكلها العلمي هي من المعارف البشرية النامية. وفي نفس الوقت هناك فروع وشُعب لها، يتطلب التخصص في كل منها دراسات وزمن كثير. وهذه بعض تلك الفروع:

١ ـ فلسفة التربية:

تبحث فلسفة أو حكمة التربية في ماهية الإنسان والهدف من خلقه وماهية الحياة ورمز تربية الإنسان وماهية المجتمع وغاية الحياة ومعرفة الشخص الذي يُراد بناؤه والنموذج المثالي لتلك الحياة، ودراسة العلاقات والروابط بين الناس وخالقهم، وبين الناس والعالم، وبين الناس بعضهم بعضاً وغير ذلك. ويطرح هذا السؤال في فلسفة التربية، وهو: ما هو الإنسان؟ وما هي أرضية ولادته؟ وكيف نريد بناءه ومن هو الإنسان الرفيع؟ وما هي أهداف وسياسات التربية؟ وهل ثمة هدف مرسوم لحياة الإنسان، أم لا؟

وتطرح في فلسفة التربية بعض المفاهيم كالرشد، الحرية، الانسجام، التجارب، الحاجات، تعقل التلاؤم المنضبط وأبعاد الإنسان و. . . وقد يكون ذلك من نتاج فكر الفلاسفة وأصحاب العقائد، أو التجارب البشرية أو

الأحكام الفقهية والأوامر والتعليمات الدينية، وفي كل هذه الأحوال تتم دراسة أطروحة ودور التربية، والقواعد والطرق والغايات والأهداف وكيفية التعليم والتربية للأرضيات الاجتماعية السائدة في التربية، ونقد النشاطات التربوية، واكتشاف طرق لحل المسائل التربوية.

٢ ـ علم الاجتماع التربوي:

يدرس هذا الفرع من التربية، أسس الوجود الاجتماعي للفرد، أو يبحث موقع الفرد في المجتمع والأنظمة والقوانين الحاكمة في المجتمع ونفوذ العادات والتقاليد والروحيات، ونمط فكر العائلة وعقائدها وكذلك الآخرين في تربية الفرد والمجتمع.

ومن بحوثها الأخرى، علاقة التربية بالتحرك الاجتماعي والرقي الاجتماعي. والتربية في المجتمعات الصناعية وغير الصناعية والنشوء الاجتماعي للتلميذ والمعلم، ودور ونفوذ الشرائح والطبقات الاجتماعية في التربية، والرشد الاجتماعي، والعلاقة بين الشرائح وإمكانات التربية وأثر المدرسة في المجتمع المحلي والوطني والدولي، وتأثير المحيط الإنساني في التربية، والعلاقة بين الدين والتربية، ودور القيم الاجتماعية في التربية. والقيمة الاجتماعية لتعليم الكبار، وتحليل المضمون الدراسي فيما يتصل بالحاجات والحياة الاجتماعية ودور الميول الاجتماعية في التربية ونفوذ السياسة في التربية والأساليب المطلوبة في التربية والتعليم، والتربية في المجتمعات المتقدمة والمتأخرة ودور السلوك في التربية، والانسجام بين التربية والأنظمة السياسية وعلاقة التربية بالثورات والنهضات وعلاقة التربية بتأسيس أو حل المؤسسات ودور التربية في تأمين الأهداف الاجتماعية، والرابطة بين التربية والعنصرية والتوسع والعدوان والعنف والحرب والسلام و. . .

٣ ـ علم النفس التربوي:

علم النفس هو علم دراسة السلوك، وله فرع في مجال التربية أو علم النفس التربوي، وسوف ندرس في هذا الفرع من المعارف البشرية، بعض البحوث مثل الذكاء، الدقة، التفكير، المسائل ذات العلاقة بجوهر الفكر،

العقل، الذهن، القابلية، الذاكرة، وعلاقة هذه الأمور بالبدن، وخصائص السلوك الإنساني، والغرائز، والوراثة، والبيئة، وكيفية الرشد، والتكامل، وتغيّر الشخصية، واكتشاف واختبار القابليات وتنميتها، والتطور في الرشد والسلوك وغيرها.

وكثيرة هي المسائل والشؤون التربوية التي تُبحث ويستفاد منها عن طرق استخدام علم النفس، مثل طرق تدريس الأساليب الرامية إلى الإسراع في التعليم، وفنون التدريس وتنمية الذكاء والذهن، والإرشاد العملي، وإيجاد المهارة والعادة، وحل المشاكل النفسية، والمحافظة على الانضباط، وكيفية التوبيخ والتشجيع، وإيجاد أهداف رفيعة لدى الفرد، واستعمال دوافع الجوع والعطش والعواطف في التربية و. . . وهناك حاجة ماسة للمربي إلى هذا العلم في طرق التربية، وان الشخص الذي لا يعرف علم النفس التربوي، لا ينجح كثيراً في عمله.

٤ ـ تاريخ التربية:

نحن نعلم أن التاريخ يتناول بحث القضايا والحوادث الماضية، وفي تاريخ التربية تُبحث كيفية التربية في العصور الماضية، وسوف نتحدث هنا عن تطور وتكامل التربية على طول التاريخ وتأثير التربية والحضارات، ودور الحضارة والتاريخ في حصول التغيرات الفكرية والاجتماعية وميول وآمال التربية لدى الأقوام السابقة، ودور الثقافات والعادات والتقاليد في ذلك التغيير.

ـ ونتطرق في تاريخ التربية إلى أهداف التربية في الأزمنة الماضية، والمضامين والأساليب والطرق المتنوعة في النواحي البناءة، والأخطاء والصواب في هذا المجال ودور الحروب والنزاعات في التربية، والأماكن التربوية، والمدارس والعقائد والمؤسسات العالية، والمعلمين وطريقة عملهم و. . . وقد سعينا في هذه الدراسة إلى أخذ النواحي والنكات الإيجابية وترك النواحي السلبية.

٥ ـ الاقتصاد التربوي:

يبحث الاقتصاد في الانتاج وعلاقات الإنتاج، ويعتبر تدخله في التربية

من الأمور المهمة والأساسية، حيث ان التربية يمكن النظر إليها كنوع من الاستثمار، ولها ربح ونتاج.

وسندرس في الاقتصاد التربوي قضايا، نفقة التربية ودور الأوضاع الاقتصادية في تربية الفرد والمجتمع، وتوفير النفقات التربوية، والعلاقة بين مضمون التربية وهدفها بالإنتاج والاستهلاك، والقابلية الإنتاجية للتربية والتعليم، والرابطة بين ارتفاع الدخل والإنتاج مع التربية، وموضوع تربية القوىٰ البشرية، وحقوق الكادر التربوي وأثر التربية في النمو الاقتصادي، ونسبة الانفاق على التربية بالمقارنة مع عطائها، ودراسة هل ان التربية سلعة استهلاكية أم أنها عملية استثمار؟ وهل تشمل العموم أم تتعلق بالخاصة و. . .

وأخيراً نطرح في الاقتصاد التربوي مسألة التربية وعلاقتها بإيجاد المهارات، وتنمية الأعمال الفنية والفنون والصناعات الوطنية والوصول إلى الاكتفاء الذاتي في مجالات الصناعة والزراعة المختلفة وإيجاد الرغبة في العمل والسعي، والتبعية الاقتصادية والتخلص منها.

٦ ـ علم الاحياء التربوي:

هناك علاقة من الناحية العلمية بين الجسم والروح وسلامة البدن وكيفية السلوك مع الغدد الباطنية، وعلاقة بين كيفية التغذية والحركات والتصرف، وعلاقة بين الطباع والأمزجة مع. . . وفي علم الاحياء التربوي يرد البحث عن العلاقة بين السلوك وسلامة البدن أو سقمه، وما هي الآثار التي تتركها فينا القبائح والجمال والنواقص والضعف والآلام والأدوية والطعام، وكيف تؤثر في تربية الأفراد. وأنتم تعلمون أن كيفية عمل الغدد، وقلة أو كثرة نشاطها، ومستوى الترشح، وبطئه أو سرعته، تؤثر في التصرف فالبلوغ المبكر، مسألة بدنية وحياتية في الظاهر، ولكنها مؤثرة في سلوك وطباع وعادات ومواقف الفرد وفي طهارته أو قذارته. والوراثة لها جنبة حياتية وغريزية ظاهراً، ولكن تعديلها أو تركيزها يترك بعض الآثار في الفرد.

والخلاصة أن هذا العلم يعرّفنا بكيفية وخصائص جسم الإنسان،

وبالمخ وحجمه وعلاقته بالعقل والذكاء، وفترة الطفولة وعلاقتها بتلقي التربية، وتأثير الطعام على الذهن والذاكرة ودور الصحة في التقدم أو التأخر الذهني للفرد، وأثر الأمراض البدنية في الذهن وأسباب أمراض الأطفال وتأثير ذلك في القوى الذهنية والعقلانية والدماغية.

٧ ـ التربية التطبيقية:

إن التربية لا تختص بدولة ومنطقة معينة، بل توجد لها صورة في جميع الدول والمجتمعات، ولا شك أن هناك نقاط إيجابية في كل نظام يمكن الاستفادة منها وتطبيقها في مناطق أخرى، كما أن ثمة نقاط سلبية كثيرة أو قليلة، فيه كذلك.

وفي التربية والتعليم التطبيقي تُبذل المساعي لعقد مقارنات بين الدول والمجتمعات من خلال جمع المسائل التربوية وأهداف التربية ومضمونها وفنونها ووسائلها وميزانيتها ونتاجها واستخراج الجوانب المفيدة والراقية وتطبيقها والعمل بها.

وقد حاولنا في هذا الصدد القيام بجمع المعلومات وتدوينها وترتيبها ووضع المعلومات ذات الصلة بمجال من المجالات في خطوط متوازية، ودراسة وتطبيق واستخراج ضوابط ونتائج الأطروحة، وهذه المسألة تدرس في كثير من جامعات العالم بوصفها فرعاً من فروع التربية والتعليم.

٨ ـ فروع أخرى:

ومع انتشار هذا الفرع من المعلومات البشرية والدراسات والبحوث، فقد ظهرت فروع أخرى فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية الأخرى، ورغم أنها غير مشهورة، إلا أن دراستها قد تؤدي إلى الحصول على اكتشافات ومعلومات جديدة، ومن هذه الفروع:

ـ جغرافية التربية: التي تبحث في توزيع التربية في نقاط العالم المختلفة بشأن وضع الماء، والمناخ، والسياسة، والفقر، وثروة الشعوب، وتحررها أو تبعيتها، وحضارة أو همجية الناس.

ـ سياسة التربية: والتي تتناول المواقف المتبادلة للحكام والناس فيما

يتعلق بالتربية. فتجري محاولات لتطبيق التربية المطلوبة، بالاستفادة من علم النفس الاجتماعي.

ـ التعليم المبرمج: وفيه يُدفع الفرد إلى التعلم الذاتي من خلال إعداد الأسئلة وإعطاء الأجوبة اللازمة. إذ تُطبع الأسئلة والأجوبة الخاصة بموضوع دراسي في صفحات مختلفة من الكتاب، فيقرأ الطالب الدرس، ثم يكتب أجوبة لتلك الأسئلة، ويصحح ورقته على ضوء مراجعته لصفحة الأجوبة. وهذا العلم يوضح لنا طريقة هذا العمل.

ـ التربية ذات العلاقة بالحقوق: وفيها يطرح نوع العلاقات بين الناس على المستوى المحلي والإقليمي والوطني والدولي، ويُستفاد من ذلك في تربية الشخص الذي يفكر على المستوى العالمي أو الإقليمي أو العرقي، ويستطيع إقامة علاقة مدروسة مع جميع الناس أو بعضهم.

وفي كل البحوث المتقدمة اهتمام بمسألة التفكير الصحيح واستخدام أسلوب التعقل استناداً إلى الحسن والقبح الاجتماعي أو الديني، مع أخذ مصالح الفرد أو المجتمع بنظر الاعتبار، وكذلك مسألة اعتبار الأصالة للفرد أم للجمع، ومراعاة الأسس والقواعد المقبولة، والالتزام بالأهداف، والقيم المقبولة لدى المجتمع أو الدين أو أنظمة الحكم، وحماية الأمور الواقعية أو الحقائق. وسوف يستفاد بالإضافة إلى العلوم التي ذُكرت في هذا الصدد، من سائر فروع علم النفس وعلم الاجتماع، والطب وغيرها، وذلك في بعض الحالات.

الفصل الخامس

أسلوب التحقيق في التربية

إذا أردنا أن تأخذ التربية صورة علمية فلا بد أن نختار لها أسلوباً كما هي سائر العلوم، فنقيم الدراسات والبحوث التربوية على ذلك الأساس. إن ما نقصده من الأسلوب، هي مجموعة الوسائل والأدوات والطرق الفنية، التي تعجل بوصولنا إلى الهدف. والأسلوب العام للتحقيق في مجال التربية، هو نفس الأسلوب المستخدم في العلوم الإنسانية، ولكنه يعتمد على أساليب خاصة في علم النفس وعلم الاجتماع، والأفضل أن نقول انه مزيج من هذين الأسلوبين، مع ملاحظة مسألة أن أساس التحقيق يقوم على الحقائق. إن طريقة المشاهدة والتجربة هي أساس في الدراسات التربوية، وتُستعمل في بعض الحالات طريقة المطالعة والطريقة المكتبية، للاستفادة من التحقيقات والخبرات التي لدى الآخرين.

وبالنظر لسعة دائرة التحقيق في هذا المجال، وظهور فروع جديدة في هذا العلم، غرضها العام معرفة القواعد السلوكية للطفل بهدف إيجاد تغيير وتحول مطلوب فيه، فلا بد لنا أن نبين مسألة التحقيق في هذا العلم بدائرة أوسع وعلى شكل إشارات وفهرست، مراعات للاختصار.

الشكل العام للأساليب:

تقسم الأساليب بشكل عام إلى نوعين وفرعين هما:

أ ـ الأساليب التجريبية:

وتشمل المشاهدة، الاختبار، المعاينة والإحصاء، وفي ما يأتي شرح ودراسة لكل منها:

١ ـ طريقة المشاهدة: وهي عبارة عن دراسة الحالات والسلوك والقضايا والأمور، كما هي، أي (دراسة الحقائق)، أو هي الدراسة العينية للأمور باستعمال أداة الحس، ويستخدم هذا الأسلوب لمعرفة الفرد، واكتشاف الأسس والضوابط المتحكمة في السلوك والعلاقات الإنسانية، وكيفية السلوك وقدرة العمل ونوعه و. . .

وعند تطبيق هذا الأسلوب، على المشاهِد أن ينتبه إلى تصرفاته، بحيث لا يكون بالصورة التي تغير في عمل الفرد المشاهَد أو حالته، ومن الأفضل استخدام بعض الوسائل والأدوات مثل كاميرات التصوير وأشياء أخرى من أجل كيفية أفضل لذلك، وتُدوّن حصيلة المشاهدة تجنّباً للنسيان.

أنواع المشاهدة:

١ ـ تقسم المشاهدة من ناحية إلى قسمين: السطحية والعميقة.

ففي المشاهدة السطحية يُستند على ظواهر الأمور أو معرفة الظاهر، وفي المشاهدة العميقة يُرتكز على معرفة الباطن وعمق الأمور. وفي الحالة الأولى يمكن العمل من خلال معرفة ظاهر الفرد أما في الحالة الثانية، فثمة حاجة إلى مطالعة أعمق وإستخدام أساليب وفنون أخرى، ويجب أن يرافق المشاهدة طرح أسئلة، والقيام باختبارات ومطالعات تكوينية.

٢ ـ تقسم المشاهدة من ناحية أخرى إلى نوعين: مباشرة وغير مباشرة.

في المشاهدة المباشرة يقف الشخص المشاهِد أمام الفرد المشاهَد ويتعرف الطرفان على هدف مواجهة بعضهما الآخر، كحضور المفتش في الصف الدراسي لرؤية وضع الصف والتلاميذ. أما في المشاهدة غير المباشرة فإن الشخص المُشاهَد لا يعلم أنه عُرضة للمشاهدة، كما لو قام الشخص المشاهِد مثلاً بدارسة حالات وسلوك الفرد المشاهَد عن طريق نافذة في الغرفة أو السقف أو الشباك وغيرها.

٣ ـ والمشاهدة من ناحية أخرى، هي على قسمين: داخلية وخارجية.

فيدفع الإنسان نفسه في المشاهدة الداخلية إلى التفكير بنفسه وحالاته

ويُسجل ذلك فيقول مثلاً: لماذا هو كسول؟ لماذا يكذب؟ وما هي أسباب عدم أدائه لتكليفه، وغيرها. أما في المشاهدة الخارجية، فإن الآخرين هم الذين يقومون بعمل المشاهدة، فيدرس المربي مثلاً وضع الطالب، ويبحث أسباب كسله وكذبه وعدم أدائه لتكاليفه.

٤ ـ كما أن هناك صورتين للمشاهدة: المشاهدة الفعالة والمشاهدة المنفعلة.

فيحاول الشخص المشاهِد افتعال مشهد يوضَع فيه ذلك الفرد، فيظهر الشخص في ذلك المشهد ويتبين وضعه الباطني، وفي المشاهدة المنفعلة يترصد الشخص المشاهِد حتى يرى مشهداً ما، فيتمكن خلال فترة طويلة، معرفة حالة الفرد أو سلوكه.

٥ ـ وهناك أيضاً المشاهدة في الحالة الطبيعية، والمشاهدة في الحالة المصطنعة: والحالة الطبيعية، هي كما لو أن المربي أو المعلم يرى حركات ومدافعات وأوضاع التلميذ، وهو يلعب في فترة الاستراحة، فيدرس عمله ذلك. والمشاهدة في الحالة المصطنعة، هي مثلاً دفع أحد الأطفال من قبل طفل آخر، لفرض أن يشاهد المربي ردود فعله.

وثمة مصاعب وعقبات في مسألة المشاهدة، منها: عدم ملائمة البيئة في بعض الأحيان، وتدخّل أنماط فكرية سابقة، ومسألة العصبيات، ودرجة الصبر والتحمل، وكيفية تحليل أمر من الأمور، ووجود أدب التعامل، وتقديم ظواهر مصطنعة، والرغبة والإصرار على إخفاء الأسرار و. . .

٢ ـ طريقة الاختبار:

يعتبر الاختبار في الحقيقة، مشاهدة دقيقة ومضبوطة على شكل مداخلة، في مسألة واقعية، الغرض منه دراسة أثر عامل ما في الشخصية. وللوصول إلى هذا الهدف نسعى إلى التأثير في الفرد ثم ندرس نتائج ذلك.

ومحرك التأثير قد يكون متنوعاً وشاملاً للتلقين والإلقاء والضوء والحرارة والكلام والضغط وغيرها، وبالإمكان معرفة قدرة الفهم والإدراك والذاكرة والإرادة والقيادة والصبر والتحمل لدى الأفراد عن طريق الاختبار، وكذلك مستوى كفاءة الشخص للإدارة، وكتمان الأسرار، وقوة البيان

والمقاومة والصمود، والتقلب، والصدق والوفاء بالعهد و. . . في الأمور والحوادث، ودراسة آثارها التربوية.

ويستفاد تارة من جماعة الشهود في الامتحان، وهي الجماعة التي تختبر الأشخاص في ظروف متساوية، ولكنها لا تستخدم معهم المحركات الاختبارية. وهنا يستفاد من أفراد متشابهين أو توائم متشابهة، ويُجرى الاختبار على بعضهم، ولا تُختبر جماعة الشهود، ومن الطبيعي أن نتيجة الامتحان سوف تتفاوت بين المجموعتين، ومن خلال الاختبار يتضح مدى الاختلاف ونوعه وتظهر حصيلة الامتحان على شكل سلوكي، وأحياناً بصورة نشاط داخلي وتارة على شكل تغييرات داخلية ممكنة الوصف. وبعد أن يلاحظ المربي هذه النتائج يستطيع بيان رأيه واتخاذ طريقة وأسلوب أو موقف خاص في مجال تربية الطفل.

٣ ـ أساليب المعاينة:

وأساس العمل في هذا النمط هو دراسة ومعاينة الفرد، لمعرفته واكتشاف وتشخيص حالاته وسلوكه بهدف إصلاحه ومعالجته. وتستخدم هذه الطريقة كثيراً في الإصلاح التربوي. وتستخدم في هذا الأسلوب بعض الفنون والطرق كالأسئلة والأجوبة والأسلوب التكويني أو دراسة الرشد، كما يمكن استعمال طرق وفنون عملية في بعض الحالات.

وتستخدم فنون المقابلة وبطاقات الإمتحان في طريقة الأسئلة والأجوبة وفي دراسة الرشد، تُدرس حالات وسلوك الفرد خلال فترة طويلة مضت وحتى الآن، ونشير الآن إلى دراسة تلك الفنون والأساليب باختصار:

أ ـ المقابلة: هي لقاء مباشر ومدروس يمكن من خلاله متابعة هدف ما من أجل المعرفة، وعن طريق المقابلة يمكن اكتشاف حدود معلومات الأشخاص وقوة بيانهم ونمط تفكيرهم، وحالات وتصرفات الأفراد وأفراحهم وأحزانهم، ووضع حياة الفرد وقوة استدلاله وذكائه ورغباته.

ـ وتطرح في كل مقابلة مسألتين، إحداهما الهدف من المقابلة والأخرى أسئلتها، وعلى ضوء زمان إعداد طرح الأسئلة وهل هو قبل المقابلة أو حينها، تكون المقابلة رسمية وغير رسمية.

وعند مقابلة الشخص يكون مكانه في مواجهة السائل، فيجيب على أسئلته. والإجابة على الأسئلة يرافقها في الحقيقة نوع من المشاهدة الداخلية، ويحتمل وجود كذب وخدعة وكتمان أسرار في الأجوبة، وعلى هذا تضعف قيمتها العلمية، ويكون القائم بالمقابلة، عادة شخصاً واعياً، مطلعاً على المسائل التربوية وقادراً على عقد علاقة مع الفرد بالشكل الذي يجعل نفسه حافظاً لأسراره، ويستخدم جهاز التسجيل في تسجيل الأجوبة أو كتابتها، ثم تتم دراستها في ما بعد.

وقد تكون الأسئلة صعبة على الفرد، وفي بعض الحالات حتى على الإجابة، نتيجة تأثير ظروف معينة، أو لا يريد إعلان أسراره العائلية، ولهذا السبب قد لا تُفيد الأجوبة، ويمكن اعتبار مسألة الخوف والقلق والخجل من الحضور وعدم الاطمئنان من كتمان الأسرار عقبة في هذا الطريق فلا يتمكن السائل كسب المعلومات اللازمة من الشخص.

ب ـ ورقة الأسئلة:

هي ورقة أو كراس يتضمن بعض الأسئلة الهدف منها الحصول على معلومات من أحد الأفراد للاستفادة منها في إطار واسع أو محدود. ومثال ذلك هي المعلومات التي طرحناها في بحث الهدف. وتسمى ورقة الأسئلة بالمغلقة أو المفتوحة على أساس كون الأجوبة محدودة أو غير محدودة. وشكل الأسئلة في ورقة الأسئلة المغلقة يطرح بالشكل الذي تكون إجابته بكلمة نعم أو كلا، أو صحيح وخطأ (ص، خ) أو وضع العلامات على الأجوبة المعينة سابقاً. وتكون الأجوبة في الورقة المفتوحة، حرة بحيث يمكن كتابة الجواب بأي مقدار يريد. وعلى سبيل المثال: قد يُسأل الطفل هذا السؤال: هل تحب درس الدين؟ والجواب بالطبع سوف يكون إما نعم أو كلا، وتارة يطرح عليه السؤال هكذا: اكتب رأيك بدرس الدين، فيضطر إلى كتابة عدة سطور بشأن درس الدين، فالسؤال الأول هو من النوع المغلق، والسؤال الثاني من النوع المفتوح.

وبالإمكان إعداد أوراق الأسئلة لأغراض متنوعة، ومنها ورقة الأسئلة حول الشخصية، والتي تطرح من أجل معرفة الشخصية والأبعاد الوجودية للشخص، وهناك ورقة الأسئلة حول الرغبة، لغرض التعرف على رغبته

بعمل من الأعمال. وورقة المعلومات التي تدرس أرضية المعلومات ومستوى معلومات الفرد في فرع خاص، ورغم جميع المزايا الموجودة في بطاقات الأسئلة، إلا أن هناك هذا الضعف وهو أنه لا تُستحصل جميع المعلومات التربوية عن الطفل، بذلك الطريق. كما أن احتمال الحيلة والخدعة وارد فيها، ثم ان المعلومات المكتسبة لا يمكن أن تبين جميع حالات وتصرفات الطفل. وفي أوراق الأسئلة المفتوحة قد يختلف تقييم المربين لأجوبتها. ولهذا فالمعلومات المستقاة من ورقة الأسئلة لا تتضمن لوحدها معلومات علمية مؤكدة.

معرفة الطفل:

يهدف الجزء الكبير من أعمال وجهود المربين وإجراء الأسئلة واستخدام طرق المشاهدة والاختبار والمقابلات والأسئلة، إلى معرفة الطفل، لأن هذا الأمر هو من باب السعي إلى اكتشاف المرض قبل العلاج، والتعرف على الطفل وحالاته قبل أي إصلاح في إطار التربية.

وللتعرف على الطفل يمكن إعداد وتنظيم الأسئلة عن طريق الاستفسار من الوالدين ومن نفس الطفل ومن أصدقائه وجيرانه، ومن المعلمين والمستخدمين في المدرسة التي يدرس فيها الطفل. كما بالإمكان الطلب من الطفل بيان حالاته وشرح رؤاه وإظهار كيفية تخيلاته.

وهذه الأسئلة قد تكون تحليلية، فمثلاً يمكن سؤال الطفل عن سبب اختلافه مع أخيه، وعن سبب حالة الغضب لديه في معظم الأوقات، وعلة انعزاله، ولماذا يصرخ بوجه الآخرين، وسبب ضعف درجاته.

وبالإمكان صياغة الأسئلة بشكل صوري تثير لدى الطفل حالة الخيال وتدفعه إلى المشاهدة الداخلية وكأنه يضع نفسه مكان فرد آخر أو مكان حيوان، ثم يبين وضعه، مثل الاختبار الحيواني الذي يطبق على الأطفال من أعمار ٥ ـ ٩ سنوات، والتي يريد الطفل فيها أن يكون مثل أسد وحشي ويريد آخر أن يكون كالسمكة ليسبح في الماء، ويرغب ثالث أن يكون كالطير يحتضن أفراخه.

ويمكن تنظيم الأسئلة بالشكل الذي يتضح الوضع الباطني للطفل من

خلال أجوبته، فيطلب منه على سبيل المثال أن يكتب إنشاء يصف فيه من هو الطفل السعيد؟ وكيف يتصرف مع والديه في البيت والغرض من ذلك هو معرفة ماذا يفعل وما هي ميوله؟

عند إعداد الأسئلة:

يتم التأكيد على هذه النكات وهي، ما هي الأمور التي نسألها؟ وكيف نسأل؟ وما هي الأهداف المبتغاة من هذه الأسئلة؟ و. . .

ويجب بالطبع أن تكون الأسئلة صريحة وبسيطة ومنظمة وبينها ارتباط منطقي، وفيها خطة وهدف ومنظمة على أساس فهرستي. وأن لا تؤدي الأسئلة إلى التأثير السلبي على الطفل ولا تعلمه الكذب ولا تشهر نقاط ضعفه، وتكون الأسئلة عديدة إلى حد كبير، ولكل سؤال بُعد واحد، ويطرح السؤال بالشكل الذي لا يكون جوابه ذا طابع عام، وبعبارة علمية يجب أن يتصف السؤال بما يلي:

- يقيّم مسألة مطلوبة، وهذه الأسئلة تطرح للتعرف على مجال معين.

- بالاعتبار، أي أنه لو تكرر عدة مرات يعطي مع ذلك النتائج المقصودة.

- بالمرونة، أي بالإمكان من خلاله اكتشاف المسائل الدقيقة للحالات وتوضيح الاختلافات بصورة دقيقة.

ج - الطريقة العلمية: في بعض الحالات يمكن أن تطرح الأسئلة بطريقة علمية، فيمكن عن طريق مسابقة الركض مثلاً التعرف على قدرة الركض لديه، وعن طريق اللعب الجماعي معرفة قدرته القيادية، وبالإمكان معرفة مستوى تعاونه من خلال إدخاله في قضية من القضايا، وهناك طرق أخرى لتشخيص الجوانب المختلفة لحالاته وسلوكه.

وثمة أسئلة نستطيع بها معرفة القوة الآلية للفرد وتصوره البيئي وتجسيد الأمور وجوانب أخرى من هذا القبيل، وفي هذه الحالة من الضروري مراجعة كتب إعداد وتنفيذ الأسئلة والاختبارات النفسية وعلم النفس التربوي.

د ـ الأسلوب التكويني أو دراسة الرشد: يستخدم هذا الأسلوب، المقتبس في الحقيقة من أسلوب علم النفس، لاكتشاف سبب السلوك وحالات الفرد وأمراضه النفسية أحياناً.

ونحاول في هذا الأسلوب، والذي يطبق طولياً وعرضياً، دراسة خلفية حياة الشخص، بملاحظة بعض الجوانب، كالسلامة أو المرض، والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأسرته ومجتمعه، ونبحث الحوادث والوقائع المهمة التي وقعت في حياته، حيث ننجح أثناء هذه الدراسة في التعرف عليه، وهذا الأسلوب أقرب إلى المعاينة منه إلى أساليب المشاهدة أو الأساليب التجريبية.

ـ وفي الأسلوب الطولي لهذا النوع من الدراسات نحاول بحث جميع سوابق الفرد من زمان الحمل حتى الوقت الراهن.

أما موضوع الأسئلة الذي يمكن طرحه في هذا الجزء، فهو:

نوع زواج الوالدين، من ناحية كونه شرعياً أو غير شرعي، أمنيات وآمال الوالدين قبل الزواج وبعده، نوع العلاقات الزوجية، وضعهما الثقافي والأخلاقي، أمراض الوالدين سواء الأمراض المزمنة كمرض السكر والسفليس أو الأمراض غير المزمنة مثل الحصبة وغيرها،وكذلك الوضع الغذائي واستعمال الأدوية، والاعتيادات، وما هي المناظر والأشياء الجميلة التي يحبونها، واضطراب الوالدين خلال فترة الحمل، وضع الاستراحة، لحظة الحمل، كيفية الولادة، طبيعية أم بعملية جراحية، وتغذية الطفل، هل هي من حليب الأم أم من الحليب المجفف، زمن تكلمه وحبوه، أغذية الطفل، البيئة العائلية، الوضع الاقتصادي للأسرة، الحالة الانضباطية لدى الوالدين، خصائص علاقات الوالدين، الوضع الصحي، نوع العلاقة بين أفراد الأسرة، مستوى الرأفة والمحبة بينهم، الترفية والاستراحة والسفر، أجهزة الإعلام المستخدمة، نوع الاستفادة من الإذاعة والتلفزيون والسينما وجهاز التسجيل والتمثيليات والمسرح، كيفية قضاء أوقات الفراغ، العلاقات، الانسجام، كيفية النمو، سن البدء بالدراسة، الانحرافات والمشاكسات، النظام والترتيب في الأمور و. . . وبديهي أن إعداد ملف واضح في هذا المجال ووضعه تحت تصرف المربي، يمكن من خلاله

الحصول على معلومات منظمة ومنسجمة عن الطفل، ثم اتخاذ القرار بشأنه.

أما في الأسلوب العرضي فتدرس فترات زمنية من حياته على أساس قواعد وضوابط معينة بدلاً من دراسة خصائص الفرد من لحظة تكوين الجنين حتى الآن. وحول نوع الأسئلة فإنها من نفس الأمثلة التي وردت في الأسلوب الطولي.

٤ ـ الأسلوب الإحصائي: تستحصل في هذا الأسلوب كيفيات متشابهة على ضوء دراسة وبحث المشاهدات والاختبار ثم توضع إلى جانب بعضها الآخر وتقدم النتيجة على شكل كمية أو عددية.

وتبين الأرقام عادة على شكل نسبة مئوية، فعندما نقول ان أكثر من ثمانين بالمئة من الأطفال ترعرعوا في أسر مضطربة، فإن الغرض من ذلك هو أن ثمانين بالمئة من الأطفال المتشابهين ترعرعوا في أسر مضطربة، فإن الغرض من ذلك هو أن ثمانين بالمئة من الأطفال المتشابهين من الناحية السلوكية ولديهم نقاط ضعف، قد نشأوا في عوائل تعاني من عدم الاستقرار، وكان ذلك سبب إصابتهم بتلك الحالة، أما العشرون بالمئة فقد كانت ثمة أسباب وعوامل أخرى وراء إصابتهم. وحينما نقول ان ستين بالمئة من الأطفال البالغة أعمارهم ١٣ شهراً يتمكنون من تكرار الكلمات بسرعة، فمعنى هذا أن ستين بالمئة منهم هكذا وأربعين بالمئة ليسوا في هذا الوضع.

ومن خلال استعمال هذه الطرق والبحوث يمكن معرفة هل ان الطفل الفلاني هو من ضمن الأطفال الطبيعيين أم لا، وهل أن من اللازم أن يتصرف الطفل الفلاني ذلك التصرف أم لا، بالإضافة إلى فوائد أخرى.

ب ـ طريقة الدراسة:

الغرض من هذه الطريقة هو الاستفادة من حصيلة تجارب وبحوث المربين والعلماء الذين حققوا في هذا الموضوع أو تقييمها ودراستها مرة أخرى، فنعمل على التعميق الفني لدائرة تجاربنا ومعلوماتنا في مجال معين. وفي هذه الطريقة يتم تعيين وتحديد الموضوع، ثم جمع المصادر المطلوبة وإعداد فهرست موضوعي لها، وبعد ذلك تجري دراسة المصادر وإعداد

القسم الثالث

موضوع التربية

إن موضوع التربية في هذا البحث هو الإنسان، فجميع المباحث وجميع المسائل والأهداف والطرق التي نطرحها هنا تدور حول الإنسان، ويجب معرفته على هذا الأساس، والتعرف على أساس خلقه، فهل خُلق بفطرة طاهرة؟ أم غير طاهرة؟ وهل الطفل الذي يولد في العائلة، لديه قابلية تقبّل التربية أم لا؟ ومن يتولى تربيته، حسب الأولوية؟

وقد حاولنا في هذا الفصل الإجابة على الأسئلة المتقدمة كما طُرح رأي الإسلام باختصار بالإضافة إلى ذكر آراء بعض العقائد والفلسفات.

ومما لا شك فيه أن الدراسة الشاملة لهذا البحث ليست أمراً سهلاً، فقد أُلّفت كثير من الكتب بشأن الإنسان وأبعاده الوجودية وحدوثه وحياته وسيرته، كما أننا لا نزعم أن دراستنا قد روعي فيها جميع الأبعاد والمسائل بصورة مختصرة، وإنما نقول أن بحثنا محدود جداً ولا يقدم للقارىء إلاّ رؤية ومفهوم في الجوانب التمهيدية لإعداد الشخص المربي.

ومن ناحية أخرى يجب أن نذكر هذه النكتة وهي أن كثيراً من المسائل المطروحة في البحث بشأن الإنسان غير متفق عليها لدى الفلاسفة وأهل الرأي، وعليه فإن من شبه المستحيل بيان مسألة متفق عليها، ومع هذا حاولنا مراعاة ذلك إلى حد كبير.

الفصل السادس

الإنسان وخَلْقه

موضوعنا هو تربية الإنسان، وإذا كان الهدف هو بناءه، فمن الضروري القيام باكتشافه والتعرف عليه، فيجب أن نعرف ما هو الإنسان وما هو الأساس الذي خلق عليه وما هي جوانبه وأبعاده؟ وما هي قابلياته وميوله الفطرية؟

إن معرفة الإنسان تمثل الخطوة الأولى لتربيته، إذ بدونها لا يمكن متابعة أي هدف وبرنامج، وهذا الأمر يجب أن يتم في الوقت المناسب لأن عمر الطفل إذا ازداد، تصبح من الصعب جداً إمكانية إصلاحه وبنائه. ولا نعتزم في هذا البحث التعريف الشامل له، بل نريد المبادرة إلى ذكر الإطار العام في هذا المجال.

وقد تطرقنا في هذا التعريف إلى مسألة ما هو الإنسان؟ وما هو أساس خلقه؟ وما هي النقاط الإيجابية أو السلبية في الطبيعة الإنسانية؟ وما هو اتجاه سيره؟ وهل ثمة التزام ووظيفة مرسومة له أم لا؟

ما هو الإنسان؟

إن جميع العقائد المادية والعرفانية لديها تصورات عن الإنسان، وعلى أساسها تصف الإنسان وتعرّفه، ويختلف الماديون عن العرفاء في ذلك، فالماديون ينظرون إليه نظرتهم إلى سائر الكائنات الحية، فيعتبرونه صاحب غريزة، ويمر بمراحل نمو ورشد، ولديه رغبات وحركة، وأخيراً له حد وإطار. أما العرفاء فعلاوة على تلك الجوانب فقد ذكروا بأنه ذو روح الهية ومقام خليفة الله. وأنه كائن عالم وناطق وعاقل ومنتج وباحث عن الكمال،

واجتماعي وسياسي، وهو جاهل من حيث أصل الخلقة، إلا أن بإمكانه أن يتعلم ويختلف عن الحيوان أيضاً في أنه يستطيع نقل ما تعلمه إلى الآخرين.

وفي مجال التعليم، يتمكن أن يتقدم، ليس عن طريق التلقين، بل من خلال المطالعة والتدبر والتفكير والتعقل والاعتبار، بالإضافة إلى أنه يستطيع تزكية نفسه وتصفيتها من الرذائل والتحرك وفق أهداف ومسيرٍ مدروس. والجانب الغريزي فيه أقل من الحيوانات، ولكن قدرته على التعلّم أكثر من قدرة الحيوانات.

خلق الإنسان:

يعتبر الإنسان من أكبر معاجز الخَلْق، خاصة وأنه ليس بمَلَك ولا شيطان ولا حيوان، ولكنه يستطيع في سير حركته أن يصبح مَلَكاً، بل وأفضل من المَلَك، أو يتحول إلى شيطان، ويصبح تارة أسوء من الحيوان.

إن خلق الإنسان هو على أساس:

- الحق، وهذا لا يختص بالإنسان فقط، بل إن كل الكائنات قد خُلقت هكذا.
- هدف وخطة، وليس عبثاً وصدفة.
- قدر ومعيار وحساب، لا على فوضى واضطراب.
- الكرامة، إلى درجة يمكن القول انه تتوفر فيه كرامة وشرف ذاتي.
- الفضيلة، على كثير من مخلوقات الله.
- الحُسن والجمال في الخَلْق.

لقد خُلق الإنسان من شيئين، فهو مخلوق من التراب، ونُفخ فيه من روح الله، ويقترن خَلْقه بالعناء، ويمر بمراحل متنوعة، حتى يصبح بصورة إنسانية كاملة.

الأبعاد الوجودية للإنسان:

الإنسان في الظاهر، كائن واحد، ولكن له أبعاد وجودية عديدة وهو

مظهر لعالم كبير وكأن العالم بكل أبعاده الوجودية مُنطوٍ فيه.

إن الأبعاد الوجودية في الإنسان متنوعة وهو يختلف عن الآخرين بحيث لا يمكن اعتباره شبيهاً لإنسان آخر رغم التشابه الظاهري. وهذا التنويع في الوجود، والتفاوت عن الغير فهي نعمة للتكامل وسبب للتعارف والإلفة.

وتحتاج جميع أبعاده الوجودية إلى التربية، كما أنه لا يمكن الاهتمام برشد بُعد واحد من دون الاهتمام برشد بُعد آخر. ولا يمكن في التربية تجاهل أي بُعد من الأبعاد. إن عظمته الوجودية ورفعة أساس خلْقه، يجب أن تكون سبباً ودافعاً لهذا الاهتمام، والركن الأساسي لعمل أي مربي هو الاعتناء بهذا الجانب.

طبيعة الإنسانية:

هناك رؤى كونية متفاوتة في تعريف الطبيعة الإنسانية للإنسان، ولا مجال في هذا البحث للإشارة إلى كل تلك الجوانب، وقد كان اهتمامنا في هذا القسم بالرؤية الكونية الإسلامية، وذلك على أساس الآيات القرآنية، ونظن أن لا حاجة إلى سائر المسائل والعقائد، إذا ذكرنا هذه الجوانب وهي:

أ ـ جوانب الضعف:

وهناك آيات قرآنية عديدة تبين أن الإنسان:

- ﴿... **وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾ ٣٨ ـ النساء.
- ﴿... **انه كان ظلوماً جهولاً**﴾ ٧٣ ـ الأحزاب.
- ﴿... **وكان الإنسان عجولاً**﴾ ١١ ـ الإسراء.
- ﴿... **إن الإنسان لظلوم كفار**﴾ ٣٤ ـ ابراهيم.
- ﴿**وتحبون المال حباً جما**﴾ ٣٠ ـ الفجر.
- ﴿**إذا مسه الشر جزوعاً**﴾ ٣٠ ـ المعارج.
- ﴿**إن الإنسان ليطغى. إن رآه استغنى**﴾ ٦ ـ العلق.

- ﴿**وإذا مس الإنسان الضر دعانا...**﴾ ١٣ - يونس.

- ﴿**... وإذا مسّهُ الشرّ كان يؤساً**﴾ ٨٣ - الإسراء.

- ﴿**إن الإنسان خلق هلوعا**﴾ ١٩ - المعارج.

- ﴿**... وكان الإنسان كفوراً**﴾ ٦٧ - الإسراء.

- ﴿**أكثر شيء جدلا**﴾ ٥٤ - الكهف.

- ﴿**... واحضرت الأنفس الشح**﴾ ١٣٨ - النساء.

- ﴿**... وان مسه الشر فيؤس قنوط**﴾ ٤٩ - فصلت.

- ﴿**وإذا مسه الخير منوعا**﴾ ٣١ - المعارج.

- ﴿**وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم...**﴾ ٣٣ - الروم.

- ﴿**... وكان الإنسان قتوراً**﴾ ١٠٠ - الإسراء.

- ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾ ٨ - العاديات.

- ﴿**إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...**﴾ ٢ - ٣ - العصر.

ب - في مجال القدرة والطلب:

الإنسان موجود من قِبَل الله تعالى، ويرجع إلى الله تعالى، يحمل روح الهية، وقد خُلق في أحسن تقويم، ويحظى بتكريم الله، وهو خليفة الله في الأرض، ويستطيع التأثير في عالم الكون في ظل طاعة الله وإجراء أوامره.

إنه كائن رفيع، عالِم، حر، مختار، يسير في طريق الكمال ويبحث عن الكمال، لديه قوة العقل، وهذه القوة موجودة في الإنسان أكثر مما في جميع الحيوانات، وبإمكانها الحيلولة دون الوقوع في أخطار الانحرافات والسقوط.

ويتمتع بجانب ملكوتي، رغم حالته الترابية، ويستطيع الصعود والعروج إلى ما لا نهاية، وبإمكانه الوصول إلى الذروة، وهو مجهز بعوامل

بناءة كالفكر، وقدرة التعلم والتعليم والاتعاظ والاعتبار، ويمكنه التقدم إلى الأمام بالاستفادة منها.

ولديه المقدرة على تمييز القبيح من الحسن، والتغلب على جميع نقاط الضعف، ويستطيع التدخل في جميع الأمور والظواهر، وتغيير الحقائق لصالحه ولصالح مجتمعه، ويتمكن من البناء عن طريق تركيب ما في ذهنه، والقيام بالاختراع والتقدم.

إمكاناته: الإنسان في الظاهر كائن ضعيف وعاجز، ويحتاج إلى مرور وقت طويل للتخلص من ضعف مرحلة الطفولة، وتعتبر فترة طفولته أطول مما هي في جميع الحيوانات، وإن كانت العوامل البناءة فيه كثيرة، حتى أنه يمكن القول بأن الإنسان أكثر تجهيزاً من جميع الملائكة والحيوانات.

إنه يستطيع التعلم أو التعليم، وبإمكانه أن يكون آمراً أو مأموراً، مُساوماً أو دافعاً الآخرين إلى المساومة، متأثراً ومؤثراً، ناهياً ومتقبلاً للنهي.

له حق الاختيار، ولديه المقدرة على القبول والطرد والتمييز ومعرفة الخير من الشر واختيار أيهما، يستطيع الحركة، وبصير في استخدام إرادته. وكما أن بإمكانه التحرك نحو الفساد والسيئة أو الصلاح والحسنة. لديه نفس لوامة تسيطر عليه، وفطرته تنسجم وتحب الخير، وترفض الفساد والشر.

إنه يتمتع بالمقدرة على السير إلى ما لا نهاية،ويتمكن من الوصول إلى أعلا عليين، مثلما يستطيع في السقوط أن يصل إلى اسفل السافلين، وتارة يصل إلى مستوى الحيوان، بل أضل.

وبشكل عام، فإن أرضية الصعود والسقوط مُهيأة له، ويحتاج إلى التقليد والتعلم والتخيل والتصور للوصول إلى أحد هذين القطبين، وهو من هذه الناحية أكثر حاجة من جميع الحيوانات وطرق استفادته من الغرائز متنوعة، وهي قد تكون سبباً لتقدمه أو توقفه.

ومع ما يتمتع به من قوة، إلا أنه كائن حساس يصيبه الجزع أكثر من غيره، عند تعرضه لمشاكل ومصائب، وذلك في حالة عدم بنائه لنفسه.

سيره: إنه من التراب ومتعلق بالتراب، ولكنه يحمل نفخة من روح

الله. وهو يسير من مرحلة النبات إلى مرحلة الحيوان. وبعد الورود إلى هذا العالم والحصول على زاد وقوة، تأتي مرحلة سعي الإنسان، وفي هذا السعي، يكون الخسران والضرر، إذا لم تكون هناك خطة وبرنامج، وفي حالة التقدم في طريق الأهداف المرسومة، ستكون السعادة والخلود في النعيم.

والإنسان ملتزم ومكلف ومسؤول وموظف في مسألة بنائه لنفسه ولغيره، ولا بد له من إشباع حاجاته عن طريق القانون الإلهي، وسنة المعصومين، والأخلاق المقبولة، والعمل الصالح كما أنه ليس ثمة غرض يمكن تحقيقه، إلا عن طريق السيطرة على الميول والأهواء النفسانية وذلك ممكن في ظل تهذيب النفس. وكذلك إيجاد الشعور، في إطار المسؤولية الباطنة وتوازن الغرائز، من خلال التقوى والتربية.

إن عليه الانتباه في هذا المسير، لئلا تتهيأ عوامل فساده وسقوطه، لأن أهواءه الباطنية تدعوه إلى السوء، ويسوس في داخله الوسواس الخناس، ويدفعه إلى جهة غير مناسبة وعلى أي حال، فإن الوعي والفطنة والإيمان والعمل الصالح تقيه من الخطر.

الفصل السابع

الأساس الفطري وملكية الطفل

من الضروري قبل أية خطوة في أمر التربية، التعرف على طبيعة الطفل وقابلياته وإمكاناته والاطلاع عليها من قبل المربي. وعلى ضوء هذه المعرفة يتحدد نوع التربية والطريقة التي ينبغي استخدامها مع الفرد. وهذه المسألة تبدو أكثر ضرورة في التربية الإسلامية للأشخاص، خاصة وأن الإسلام يعتبر التربية الصحيحة للطفل جزء من حقوقه، وإن التهاون في أدائها يستلزم العقوبة. والسؤال الذي طرح هنا هو: ما هي الأرضية الفطرية للطفل المولود، فهل يولد طاهراً أم غير طاهر، سليماً أم شروراً، لاأبالياً أم يميل إلى اتجاه معين؟...

وتختلف آراء علماء النفس والفلاسفة وآراء الأديان حول الأساس الفطري للإنسان، وسوف نشير باختصار إلى بعض هذه الآراء ونذكر تلخيصاً لبعض وجهات النظر.

آراء في الأساس الفطري:

١ ـ فطرة الإنسان محايدة: يقول أنصار هذا الرأي أن الطفل عند الولادة يحمل أرضية فطرية حيادية، لا هي حسنة ولا هي سيئة، كما أن قابلياته وغرائزه لها حالة الحياد في البداية أيضاً، فهي كالكهرباء الذي بالإمكان الاستفادة منه إيجابياً وسلبياً، فإذا كانت إيجابية فهي في مسير الخير، وإذا كانت سلبية فهي في مسير الشر.

إنهم يقولون بأن كل قابليات الإنسان، من ذكاء وفكر وحتى الضمير، لها صفة الحياد، ثم تؤثر فيه عوامل من الداخل والخارج، من

القوى الذاتية والبيئة الخارجية في ظل بعض الضوابط والظروف وتطبعه بطابع معين.

وهذا الرأي يطرحه بعض المربين والفلاسفة والأشخاص مثل تولستوي حيث يقولون: (اعطني طفلاً أربّيه لك حسب رغبتك من حيث الروحية والشخصية، عند بلوغه سن الرشد). وأنتم تعلمون مقدار مخالفة هذا النظر للحقيقة.

٢ ـ فطرته طاهرة ومعصومة: قيل ان الطفل يولد طاهراً ومعصوماً ولكنه يفسد في ما بعد من أثر العلاقة والاتصال مع الأفراد والعناصر الفاسدة.

وهناك بعض الأفراد مثل جان جاك روسو يقولون: اتركوا الطفل في الطبيعة لوحده حتى ينمي قابلياته بنفسه ويبني الحضارة، لا أن يتعلم مظاهر الحضارة، وليس من اللازم أن تأتوا له بـ(   ) فيأمره وينهاه، لأنه سينقل إليه حضارته، في هذه الحالة، بل اتركوه وشأنه حتى تتجلى فطرته، وسوف يصبح بالطبع إنساناً سعيداً وجيداً. وأنتم تعرفون درجة الإفراط في هذا الرأي، لأن الطفل إن ترك وشأنه، فسوف يصبح فرداً فاسداً وشريراً وراغباً بالفساد أكثر من الصلاح، ولو كانت هذه النظرية صحيحة لكان الأفراد الذين يعيشون في بيئة وحشية، من أفضل وأصلح الناس.

٣ ـ فطرته غير سليمة: يعتقد أصحاب هذا اللون من التفكير أن الطفل فاسد وسيء بطبعه وهو يولد فاسداً ومجرماً، ويعتقدون أن منشأ هذه الحالة في الطفل تعود إلى الذنب الأول لجده آدم والذي وصله عن طريق الوراثة. وبرأيهم أن من بين كل ١٥ طفلاً هناك حوالي ١٤ طفلاً محتالون ومكارون ويمارسون الفساد والذنب ولا يراعون الأخلاق والإنسانية، ويرغبون في ارتكاب الذنب وإشاعة الفساد وإيذاء أنفسهم وغيرهم.

وأما بشأن تطهيره من الذنب والأعمال السيئة، فيعتقد الذين يطرحون هذه الفكرة باسم الدين أن ذلك يتم عن طريق الغسل العملي الذي نرى ظاهره لدى النصارى. ويعتقد الآخرون بوجوب ممارسة إجراءات انضباطية شديدة معه حتى يزول خبثه الذاتي. ويجب فرض الرغبة في العمل الصالح

عليه، وإلاّ فيُفرض عليه الشعور بلذة العمل الصالح، وإلاّ فإن الشعور بلذة العمل الصالح غير موجودة فيه بشكل فطري.

ومن بين أصحاب هذه النظرية مونتني وهو من فلاسفة القرن ١٦، ولاروشفوكو من فلاسفة القرن ١٧، وتوماس هابز أحد الفلاسفة المعاصرين. ولكنهم لم يجيبوا على هذا السؤال وهو كيف ينتقل هذا الذنب بصورة وراثية إلى الجيل اللاحق رغم كل هذه الأغسال العمدية وهذا التنفيذ الشديد للانضباط.

٤ ـ فطرته سليمة ولكنه يولد راغباً في الشر: وهذه في الحقيقة هي النظرية الرابعة التي تنظر إلى طبع الإنسان برؤية متفائلة، فأصحابها يعتقدون أن ذات الإنسان حسنة وطاهرة ولكن يلاحظ عليه الرغبة في الشر والفساد، نتيجة القيود الغريزية.

ويقوم هذا الكلام على أساس بعض التجارب العلمية، فقد أوضح علم نفس الأطفال، أن لديهم ميل إلى التخريب والتعرض والتدمير، وهذا الميل قد يعود إلى نفس الشخص أحياناً، حيث نشاهد مظهر ذلك في العنف الجنسي.

وثمة بعض العلماء مثل برتراند راسل، يعتقدون أن الأطفال يفسدون إذا لم يزودوا بمهارة وأخلاق، ويقولون بوجوب استعمال القوى النفسانية بصورة مفيدة بملاحظة هدف الحياة. وأما إذا جعلت في مسير خطر فإنها ستتحول إلى شكل منحرف.

٥ ـ الرؤية الإسلامية: ينظر الإسلام لفطرة الإنسان وطبعه نظرة متفائلة، وأنه خُلق على أساس الحُسن **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾**. ولكنه يقول أيضاً بوجود ميل إلى الشرفية وهذا الميل هو بسبب وجود الغرائز التي تحمل خاصية الطغيان والتمرد، وليس ثمة إنسان يأمن من خطرها إلاّ أن تتم السيطرة عليها.

وهذا الكلام مبني على أساس آيات وروايات كثيرة، فقد وردت في القرآن تعبيرات في وصف الإنسان من قبيل ظلوم، جهول، حريص، بخيل، عجول، و. . . وبديهي ان هذه الخصائص إن بقيت فيه ولم تعالج فإن

حصيلة ذلك هو الانحراف والفساد. وهي تنتقل عن طريق الوراثة وعن طريق البيئة، إلى الجيل اللاحق.

ونلاحظ في قصة النبي نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قوله: ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً. إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا.

وفي الروايات ورد عن الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: الشركاء من (كائن) في طبيعة كل أحد. وفي حديث آخر روي عنه:... فإن الرذائل أنت مجبول عليها.

البحوث العلمية: وتشير البحوث العلمية كذلك إلى وجود هذه الأرضية في الأطفال، فهم يقومون بالتخريب وإيجاد الفساد في المحيط الطلق، ويثيرون الضوضاء في البيئة الهادئة، بينما يجب أن يكونوا حياديين في حالة المعيشة في جو خال من أي ضغط.

كما نرى أن الطفل لا يهتم بما يتضمن ويستلزم فائدة وكأن الأرضية والرغبة الفطرية لهذا الأمر موجودة فيه، فهو غير مستعد للقبول بهذا الأمر حتى لو فرض وأجبر عليه. ثم بعد فترة طويلة يقبل هذا وذاك في ظل الفرض والرشد الفكري.

وهكذا يمكن الاستنتاج أن الطفل ليس شيئاً جامداً في يد المربي، كما أن حالة الضلالة والفساد الفطري وخبث الطينة وإحالة الوحشية التي ذكرها توماس هابزار، غير موجودة فيه.

ضرورة التربية: وعلى هذا الأساس فهناك رذائل في الإنسان تسبب الانحراف والضلال من جهة، كما أن أرضية الفضيلة موجودة في الإنسان بصورة فطرية، من جهة أخرى. فهو متعلق بالمادة والثقل من ناحية ومتعلق بالفطرة والنفخة الإلهية التي أشار إليها القرآن، من ناحية أخرى.

ومن أدلة وجود هذه الأرضيات هي العمومية، فمن الممكن أن تؤثر عوامل متنوعة في هذا الأمر وتدفعه إلى أحد القطبين، ولكن تلك العوامل لا تقدر أبداً أن تتجذر في الإنسان أو تزيل الأخرى. وعلى هذا فالتربية أمر ضروري يجب فرضه على الأفراد. وعلى أساس ذلك يصبح الطفل ملتزماً بالحدود، وهذه هي وصية من قبل المربين. وقد بُعث الأنبياء من أجل هذه

المسألة، وعملهم ينطلق من زاوية التعليم والتزكية. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: أكره نفسك على الفضائل. ويوصي الأفراد غير المؤمنين والماديين بتربية أخلاق الأفراد، ولكنهم لا يعطون للسلوك قيمة.

العامل الموجه:

ما هي العوامل التي توجه الإنسان نحو التربية؟ هناك نوعان من الإجابة: فجماعة تؤيد الرأي الأول مثل زالسمان، فهو يقول في كتاب النمل: يجب أن يترك المربي، الطفل لشأنه، ليعمل كل ما يريد، لأن تنفيذ رغباته الخاصة سيجعله يتمتع بتربية حسنة. وهذا الكلام يخالف نظرية هيكل الذي يعتقد بوجود قيود وشروط لتربية الطفل. أما الإسلام وبعض الفلاسفة فيقولون أن التربية يجب أن تفرض على الطفل من قبل عامل خارجي، ومن خلال الارتكاز على فطرته يمكن للوالدين وأبناء المجتمع القيام بدور بناء ومصيري تجاه الطفل، ولا شك أن الدوافع في الداخل والخارج والميول مثل الميل إلى التعلم والجمال والتدين والعبادة، والمحركات مثل الجوع والعطش وحب البحث والرغبة في الدفاع والمثيرات الشهوانية التي تدخل ضمن الغرائز، بإمكانها أن تكون أرضيات يستفاد منها في التربية.

العوامل المؤثرة في التربية: تقوم التربية على أساس الفطرة، وفق الرؤية الإسلامية، والمقصود من ذلك، الأحوال التي خُلق الإنسان على أساسها، أو الصفة التي تتصف بها ذات الفرد.

ويرى الإسلام أن الحركة المعادية للفطرة تؤدي إلى اضمحلال المربي والطفل كليهما، ولا يمكن لإنسان أن يدّعي أنه يستطيع الحركة في هذا الطريق دائماً. وكل ما كانت أرضية ذلك في الطفل أكثر، أصبحت إمكانية تكميلها في الإنسان متوفرة أكثر، وهو أمر يؤكد عليه الإسلام. أما في الأنظمة الأخرى التربوية فليس هناك اهتمام بهذا الأمر. ويقول الإسلام ان القابليات الفطرية والاستفادة من أرضيات طينة الإنسان بالشكل المطلوب تؤدي إلى رشد الإنسان وسعادته، وبالإمكان توجيه الطفل في مسير مناسب بالاستفادة منها. أما الذين لا يعتنون بهذا الجانب، فإنهم يحرمون الطفل من شروط السعادة.

وفي نفس الوقت يجب أن نعلم أن هناك بعض العوامل تؤثر في التربية، ويجب تعزيز نفوذ النواحي الإيجابية منها في الإنسان وتقليل قدرة النواحي السلبية فيه، وهي عوامل كثيرة أهمها: التقليد، التسابق، الجدال، الغضب، القابلية في التألم والتأثر، المواساة، الهرب، التملك، الاكتساب، السرقة، البناء، اللعب، البحث، الناحية الاجتماعية، الحياء، الرغبة في النظافة، الحب، المنافسة، الرأفة، الحسد، الخوف و . . . فبعضها تدخل في إطار الغرائز وهي ذاتية، وبعضها الآخراكتسابية من المجتمع.

ملكيته: والسؤال الآخر هو لمن يعود هذا الإنسان والذي يحمل تلك الخصائص والصفات؟ هل هناك مصداق لملكية أحد أم لا؟ وإذا كان هناك مصداق فكيف هو؟. إن الجواب على هذه الأسئلة ليس واحداً، فلكل جماعة وفئة جواب.

١ ـ قيل أن الطفل تابع لوالديه: لأنهما كانا سبباً في ظهوره، عن طريق الاتصال، وقد تحملا عناء المحافظة عليه في الرحم، وكانت مسؤولية تربيته بعد الولادة على عاتق الوالدين.

ورغم قبول جماعة بهذا النمط الفكري، إلا أن الإسلام لا يقبل بذلك، لأنه لا يحق للوالدين أكثر من تنمية وإنضاج قابلياته والمحافظة عليه من الأخطار، ولا يحق لهما ضرب الطفل، أو قتله، أو بيعه أو تخدير ذهنه أو تركه وشأنه.

٢ ـ الطفل مِلْك للحكومة والدولة: وهذا رأي فلاسفة اليونان، سقراط وأفلاطون. . . فهم يعتقدون أن من حق الحكومة اتخاذ أي قرار وإبداء أي رأي بشأن الطفل، وهي التي تستطيع أن تأخذه وتربيه بالشكل الذي تريد، ويعتبر كندرسة وهو من فلاسفة القرن ١٧ من أنصار هذه النظرية، كما أن هيگل وپستالوزي كانا يعتقدان أن تربية الطفل يجب أن يطرحها الشعب على أساس إرادة الحكومة.

وهذه النظرية غير مقبولة أيضاً، لأن الحكومة هي خادمة وعاملة للشعب وليست ولي نعمته، ويُقبل تدخلها ورأيها في الأمور على أساس رأي الشعب أو الدين، وقطعاً إن الشعب لا يعطيها هذا الحق.

٣ ـ الطفل مِلك العلماء والمعابد: وهذه نظرية زعماء الكنيسة الذين يعتبرون أن البابا خليفة عيسى وممثل الله، وأن الكنيسة خليفة الله، فالأمة هي أبناء الله وتحت تصرف ممثل الله، وكل قرار يتخذه بشأنها، صحيح. ولكننا نعلم أن الله لم يخلق ولياً آخراً بموازاته، أما زعماء الكنيسة فلا يمكنهم الادعاء أكثر من أنهم مبلّغون لرسالة الله وحكمه، إلى الناس، ولا يحق لهم التصرف في شؤون الناس إلا في نطاق ما ذكره الشرع لحفظ مصالح الناس، وعلى هذا الأساس فالطفل ليس مِلكاً للعلماء وليس من حقهم التدخل وإبداء أي رأي بشأنه.

٤ ـ الطفل مِلك لمجتمعه: المجتمع الذي يعيش فيه ويتمتع بمزاياه، أو والديه اللذين تزوجا بالاستفادة من إمكانيات المجتمع وأنجبا ذرية.

وأنتم تعلمون أن هذا نوع من طريقة التفكير الثانية، التي تعتبر الطفل للحكومة. صحيح أن الأفراد في المجتمع هم بمثابة خدام للمجتمع، إلا أنه لا يمكن اعتبارهم في عداد الأشياء المهملة، عندما يفقدون القدرة على العلم، أو إعطاء المجتمع حق إبداء الرأي وتعيين مصيرهم.

٥ ـ الطفل ملك نفسه: فهو الذي يحق له التصرف بنفسه بأي لون كان ويستطيع اتخاذ القرار بشأنه بأي شكل يريد.

وهذه النظرية غير صائبة هي الأخرى، لأن الإنسان لا يمكنه عملياً اتخاذ القرار بأية صورة أراد. ولا يحق له تخدير نفسه وإبقاء نفسه أحمقاً وأبلهاً، ولا يُسمح له توجيه صدمة لنفسه أو قتلها.

٦ ـ الطفل مِلك الله وهو أمانة الله المودعة لدى الطفل ولدى الآخرين: إن جميع الأفراد سواء الوالدين أو المربين أو الحكومة أو المجتمع، وحتى نفس الطفل، هم أمناء الله، ويجب عليهم المحافظة على الطفل وتنميته. ويحق لهم العمل على رقيّه، ولكن ليس من حقهم إسقاطه. وإذا كانت هناك ضرورة لحبسه أو ضربه وشتمه أو إعلامه أو قتله، فيجب أن تكون على أساس القانون الإلهي، ولا يمكن ضربه أو إهانته وفقاً لرغبته أو رغبة والديه أو الآخرين. وهذا هو رأي الإسلام.

الفصل الثامن

تقبّل الإنسان للتربـية

يقول البحث المتعلق بقبول الإنسان للتربية: هل الإنسان قابل للإصلاح والتربية أم لا؟ وهل ثمة طريقة للوصول إلى الكمال المطلوب، والحقيقة والتغير في الإنسان؟

وهل بالإمكان إعطاء البشر حاملاً من أجل الوصول إلى الحقائق؟ وهل من المتوقع أن يقبل به وينفذ فيه ما لو أعطي ذلك؟ وكذلك هل يمكن إيجاد وضع في الشخص ينجم عنه تقوية أو إضعاف أو إصلاح مجال من المجالات؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فما هي درجته، هل هي مطلقة أم مشروطة ومحدودة؟

أرضية خلق الإنسان:

عند الإجابة على الأسئلة المذكورة ترد أولاً هذه المسألة وهي هل ان الإنسان الطفل يولد مجبوراً أم حراً؟ وهل يتمتع بقدرة الاختيار وتنفيذ الإرادة أم لا؟

لا شك أن إمكانية إيجاد تحول وتغيير في الإنسان لا تتحقق إذا كان مجبوراً، فتصبح جهود ونشاط المربي في بلورته وتنظيم نمط فكره وبنائه، بلا فائدة وتذهب المساعي في هذا الصدد، هدراً.

أما إذا كانت المسألة خلاف ذلك فإن من الممكن التوقع أن يتقبل التربية، ويرتبط مقدار درجة النفوذ فيه بمسألة كونه مطلق الحرية أم أنه مقيد ومشروط ومحدود؟ ومن خلال دراسة هذه الجوانب يتبلور بحثنا.

آراء في خلق الإنسان:

ثمة ثلاث وجهات نظر في هذا الموضوع، ولكل منها أنصار، وعلى ضوء تلك الأسس تمارس عملها وتربيتها وهي:

أ ـ الرأي القائل بأن الإنسان يولد مجبوراً ولا تؤثر فيه بالطبع جهود المربين.

ب ـ وجهة النظر القائلة بأن الإنسان يأتي إلى الدنيا وهو في حال قابل للتغير مئة بالمئة.

ج ـ الرأي الثالث يقول ان الإنسان يولداً حراً ولكن هذه المسألة مقيدة ومشروطة فيه.

وهذه دراسة للجوانب الآنفة:

أ ـ الإنسان كائن مجبور:

يذكر أصحاب هذه النظرية أن الإنسان يولد وفق عوامل وأسس سابقة بحيث لا يمكن النفوذ فيه بأي شكل، فقد رُسمت حياته قبل الولادة وهي لا تقبل التغيير، واتباع هذا اللون الفكري هم في الحقيقة على ثلاثة أقسام: قسم يؤكد على الغريزة، وقسم على المزاج، وآخر على البيئة أو الثقافة.

١ ـ **جماعة الغرائز**: تقول أن الإنسان حينما يولد يكون متأثراً بقوة الغرائز، التي تطبع حياته وتوجهها.

المقصود من الغريزة: المقصود من الغريزة هي القوة التي توجه النشاط التنظيمي. والصفة العامة لها باعتقاد بعض العلماء ومنهم فرويد، هي الحتمية. والفرق بينها وبين القابلية هو أن القابلية عبارة عن استعداد طبيعي في الإنسان للعمل والنشاط في مجال معين. وهي قد تنمو من أثر التربية أو لا تنمو أبداً. أما الغريزة فهي حتمية البروز، وهي تنضج شئنا أم أبينا. وقد اعتبروا الغرائز انها محركات لعمل ونشاط الإنسان واعتقدوا أن زوالها يؤدي إلى عجز وبطالة الإنسان. إن الغرائز هي من أهم الدوافع الإنسانية الأساسية، فهي تدفع الإنسان إلى العمل والسعي الذي لا بد منه. وهي تنتقل عن طريق الوراثة، وهذا يؤدي إلى إمكانية التعرف على مواقف الفرد

وميوله، مسبقاً، وبيان نوع رد فعله في قضية ما. فنعرف في مسألة الغريزة الجنسية مثلاً أن نضجها ينجم عن قيام علاقات مع الجنس الآخر وهو أمر يمكن التنبؤ به قبل مرحلة البلوغ.

عددها: اختلف أنصار نظرية الغرائز في عددها، فقد ذكر بعضهم مثل ماك دوكال ثلاث عشر نوعاً لها، وذكر آخرون ٤٠ نموذجاً لذلك، وفي تقسيم الغرائز ذكر بعضهم (فرويد في سنة ١٩٣٠) غرائز الحياة كغريزة البطن والغريزة الجنسية وغيرها، بينما ذكر بعض آخر غرائز الموت مثل الهيجان والغضب، كما قسمها بعض آخر إلى قسمين: أصلية وفرعية، فالغرائز الأصلية هي الجوع والعطش والغريزة الجنسية وغريزة الأمومة وغيرها، والغرائز الفرعية مثل السعال، العطاس، الضحك، ولكل منها دور في الإنسان. هذه أسماء بعض الغرائز التي يرون لها أهمية خاصة وتوجيهية استثنائية: غريزة الأكل، الجنس، العطش، البحث، الأمومة، حب الظهور، الطاعة، التملك، العطاس، السعادة والضحك، الدفع، الموت، حب الذات، الغريزة الاجتماعية و...

ولهذه الغرائز ثلاث خصائص:

- لها جانب إدراكي فيعرف الإنسان بوجودها ويطلع على قوتها وضعفها.

- لها طابع انفعالي وتؤثر في الإنسان.

- لها صفة حركية أي أنها تدفع الكائن الحي أو الإنسان إلى الحركة، والنشاط باتجاه خاص.

دراسة هذه النظرية: ليس ثمة كلام في أن الغرائز لها تأثيرات في الإنسان، فجميعنا يعلم بنسب متفاوتة بقدرة الغرائز، إلا أننا لا نؤيد مسألة دورها كعامل سيطرة، لأننا نرى عملياً أن الإنسان يسيطر على قدرة إرادة الغرائز في ظل التربية ويغلق الطريق بوجهها.

نحن نرى بعض الأشخاص لا يستسلمون لغريزة الطعام، فينهون حياتهم بالإضراب عن الطعام، أو هناك من يرفض الغريزة الجنسية من أثر التلقين والتبليغ فيبتعد عنها بعد أن ينظر إليها كمسألة خبيثة، وكذلك الحال

بالنسبة لسائر الغرائز. وعلى هذا فإن وجود الغرائز لا يمكن أن يكون دليلاً على أن الإنسان مجبور ولا تؤثر فيه التربية أبداً.

٢ ـ نظرية المزاج: يعتقد أصحاب هذه النظرية بحالة الجبر في الإنسان، ولكن بشكل آخر. ولهذه المسألة خلفية تمتد إلى آلاف السنين. فنظرية بقراط لا يزال لها رواجاً لدى البعض حتى الآن وقد طرحت قبل الميلاد بعدة قرون.

وهذه الفكرة تقول ان وجود الإنسان قد نتج من عناصر موجودة في الأرض وأهمها أربعة عناصر: الماء، الهواء، النار، التراب. وبمقدار ارتفاع نسبة أي عنصر منها في الطبيعة الإنسانية، تؤثر في تلقين خاصيتها للإنسان.

ـ ففي بعض الأبدان يكون الماء أكثر، والماء سبب لوجود البلغم. فهو بلغمي المزاج.

ـ وفي بعض الناس تكون نسبة الهواء أو الرياح أكثر، وهو سبب في وجود الدم، فمزاجه دموي.

ـ وتكون نسبة النار في بعض الموجودات أكثر، والنار سبب السواد وهكذا إنسان يتصف بالمزاج السوداوي.

وأخيراً تكون نسبة التراب في البعض أكثر من غيرها، والتراب يسبب الصفر، فلهذا يصبح الإنسان صفراوي المزاج.

ثم ذكروا بعض الخصائص لهذه الأمزجة، فقالوا مثلاً ان الإنسان ذو المزاج السوداوي يتصف بالغضب، والإنسان البلغمي المزاج، هو شخص مسرور ومرتاح و... وعلى هذا الأساس فالناس أسرى وتابعون جبرياً للمزاج ولا يمكن النفوذ فيهم والقيام بالتغيير اللازم.

ولهذه النظرية بعض الأنصار حالياً، وهم يحاولون العمل على هذا الأساس حتى في المعالجات، فيحددون مثلاً هل أنه بلغمي المزاج أم صفراوي، ثم يعالجوه وفق بعض الضوابط. وفرقة الأشاعرة من بين الفرق الإسلامية، تعتقد بهذا الجبر، على عكس المعتزلة التي تعتقد بالحرية.

وعند دراسة هذه النظرية نلاحظ أن الحقيقة تثبت خلاف ذلك، وقد

ثبُت اليوم عدم صحة النظرية البقرطية إلى حد كبير، إذ ان بالإمكان القيام بتغييرات في البدن من أثر أنظمة بيئية وغذائية، وتبديل شخص بلغمي مثلاً إلى سوداوي أو صفراوي وتغيير الخصائص المزاجية والجسمانية في الإنسان من دون أن يضر هذا الأمر بالجوانب الذهنية والعاطفية والاجتماعية للفرد، وهذا الأمر هو عامل تلقائي لإزالة الجبر.

٣ ـ **جماعة البيئة**: إنها في الحقيقة جماعة من علماء الاجتماع التي تغالي في دور البيئة أو الثقافة وتقول ان لكل بيئة ثقافة خاصة وآداب وعادات وتقاليد ودين جاهز مسبقاً.

وهناك خصائص وتقاليد في المجتمع، وإذا لم تؤخذ ثقافة المجتمع والبيئة بنظر الاعتبار فإنه من غير الممكن حصول تغيير فيه ـ وقد قيل ان العادات السائدة في مجتمع ما وثقافة ذلك المجتمع تجعل الإنسان ملتزماً بخصائص تقاليد لا يمكن تخطيها، ولا بد للطفل من القبول بها، وتصر الدوائر الثقافية على القبول بالقواعد والأخلاق المرغوبة لدى المجتمع وفرضها على الآخرين. وعلى ضوء هذا الفرض فإن من غير الممكن تربية الطفل. وقد ألغى بعض علماء الاجتماع القدماء والمعاصرون مثل ابن خلدون وجان لاك وغيرهما قيمة وإمكانية التربية متّبعين بصورة غير مباشرة هذا التفكير، فاعتبروا المرء أسيراً للبيئة والثقافة.

وعند دراسة هذه النظرية يجب أن نذعن أن ذلك اللون من الفكر غير صائب، لأن القول بكون الإنسان يتأثر بالبيئة وتلقينها، يعني أن الإنسان يتقبل التربية، ونحن نعرف كثيراً من الأشخاص عاشوا في مجتمع ولكنهم نشأوا خلافه، وهذا الأمر سواء كان نتيجة تلقين خاص أو بسبب نفوذ بعض إرادته، فهو أمر صحيح وصادق، بالإضافة إلى الشخصيات الكبيرة التي لم تتأثر بمحيطها وما يسوده من آداب ثقافية فحسب، بل وثارت عليه وسعت إلى القيام بتغيير فيه. إن من غير الإنصاف تجاهل دور الوعي والإرادة والإيمان لدى الإنسان، واعتباره مثل حيوان أسير مملوك لغيره. إن الإنسان كائن مريد وإن قيمته وكرامته مرتبطة إلى حد كبير بكيفية استخدام هذه الإرادة.

ب ـ حر مطلق ويتأثر بشكل تام: والجماعة الثانية تقع في النقطة

المقابلة للجبريين تماماً، فهي تقول ان الإنسان قد خُلق حراً وليس هناك أي مانع وجبر في تأثير التربية فيه.

فهو مثل معدن مرن تحت تصرفنا وبإمكاننا أن نطبق عليه أي برنامج نريد.

أما علماء النفس فيقولون بشأن الإنسان أن الطفل شبيه بعجين في يد المربي، وهو باستطاعته أن يصوغه بأي شكل يرغب، إذ بالإمكان أن تؤثر التربية فيه إلى درجة أن يصبح قسيساً روحانياً أو يصبح لصّاً، يكون طبيباً أخصائياً أو شخصاً عاطلاً عن العمل، فهو تحت تصرف المربي.

إلا أننا نرى عملياً ومن خلال الدراسة أن تأثير التربية ليس بهذه السعة والامتداد، فعلى أساس علاقات العلة والمعلول والجوانب الوراثية، يُولد بعض الناس أذكياء وبعضهم أقل ذكاء. ثم ان توجيه الأفراد نحو هدف ومقصد معين يتطلب توفر أرضيات لدى الأفراد، وهي ليست بمستوى واحد عند الجميع، فلا يمكن للجميع أن يكونوا أطباء حاذقين أو مهندسين أذكياء، فالذكاء والذاكرة والقابليات تتفاوت لدى الناس.

كما أن عامل إرادة الناس لا يمكن تجاهله، فالناس ليسوا دُمى تحت تصرف المربي، إنهم يقامون كثيراً من المسائل، فقد يقبلون أمراً وينقادون إليه، أو يرفضونه ويقفون بوجهه، حيث الميول مختلفة. ويختلف التلقين وأثره في الأفراد. فليس بإمكان الكل أن يكونوا رسامين أو أطباء أخصائيين أو طيارين أو خطباء مبدعين، وعلى هذا فتلك النظرية قابلة للنقاش، إذ ليس الإنسان كائن متأثر مئة بالمئة.

ج ـ الإنسان كائن حر مشروط وتأثره محدود: يعتقد أصحاب هذا الفكر أن الإنسان لا هو مجبور مطلق ولا حر بشكل مطلق، فلا هو صلد مئة بالمئة ولا هو متأثر مئة بالمئة، وإنما في وضع وسط بينهما. ويتمتع الطفل بقوى وقابليات كافية فيه يجب أن تنمو في حدود وسعه وإمكاناته وتوضع في المسير الصحيح. وهناك بعض العلماء مثل كانت يعتقدون بأن الإنسان حر ومجبور في آن واحد. فهو حر عندما نعتبره كائناً روحياً، ومجبور في معيار الجوانب الجسمانية، حيث لا بد أن يتبع القانون الحاكم في الطبيعة.

وذكر بسيالوجي في كتاب تحت عنوان دراساتي في باب السير في الطبيعة وتكامل النوع الإنساني، أن طبيعة الإنسان مليئة بالازدواجية والتناقض، ويمكن التنسيق بينها بصعوبة (ولكنها قابلة للتنسيق)، وفي نفس الوقت يعتقد أصحاب تلك النظرية أن من الصحيح اعتبار الذهن خالياً من أية خطة ولكن ليس باستطاعتنا أن نرسم فيه أية خطة نشاء، فثمة حدود وقيود يجب أن يلحظها المربون.

الإسلام وتأثير التربية في الإنسان

تعتبر الروايات الإسلامية، الطفل حسن الفطرة ومستعد للتربية، ويعتقد الإسلام أن بالإمكان بناء الطفل وتوجيهه إلى حد كبير من خلال مراقبة قواه. وهو يحافظ على صفة قبول التغيير طيلة فترة حياته وهذا الوضع بهذا المستوى الواسع خاص بالإنسان. إن الطفل بنظر الإسلام كائن جذاب، ويتعلم بعض الأمور من حيث لا يشعر، وكثيراً منها بصورة واعية وبشرط الإرادة، وإذا أراد فبإمكانه العمل أيضاً. ومع أن بعض الناس يحملون صفات وخصائص أو نواقص وضعف، إلا أن من غير الممكن تجاهل الدور الأساسي للتربية التي تطغى على نقاط الضعف إلى حد كبير.

إن التربية تقدر على حل ورفع كثير من المشاكل والتناقضات والأمور المزدوجة، أما الميل إلى الشر في الإنسان فهو ليس بالمستوى الذي يجعل الإنسان غير قادر على حل تناقضاته.

الإسلام يقول: كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، وهذا دليل على حرية الفرد في التربية واختياره الفطري. وورد أيضاً: وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية كلما ألقي فيها شيء قبلته. وهكذا يجب ملاحظة حالة التقبل في الفرد من جهة وقدرة الإرادة والميل والمقاومة فيه من جهة أخرى، وممارسة التربية على ضوئهما.

أدلة على صحة الرؤية الإسلامية: يمكن إثبات صحة الرؤية الإسلامية في التربية بأدلة عديدة هذه بعضها:

١ ـ حين يولد الإنسان يكون جاهلاً وليس لديه علم واطلاع عن هذا

العالم، ثم يستطيع كسب العلم والمعلومات عن طريق العين والأذن والعقل والفطنة.

٢ ـ إذا أوضحنا لأشخاص طريق الفساد وطريق الصلاح، يقبله بعض باختيارهم وعلى أساس رغبتهم ويرفضه آخرون بوعي ومسألة العقل الإنساني مؤيد جيد في هذا الصدد.

٣ ـ إن عمل الأولياء والمربين وتجاربهم العملية تثبت أن كثيراً من الأشخاص تم كسبهم السير في طريق الإصلاح، وهناك بعض آخر دفعوا إلى الفساد.

٤ ـ يحمل الإنسان خاصية التلاؤم مع البيئة، فيتمكن من الانسجام مع ظروف المناخ والماء ومجتمعه ودينه ويحصل على الانس والالفة اللازمة لمواصلة حياته.

٥ ـ كما ان المربين ليسوا مبسوطي اليد في مسألة التربية كما يزعم بعض المربين، فهم يرغبون مثلاً أن يصبح أبناءهم أطباء أو مهندسون ولكنهم يراوحون في مكانهم ولا تستطيع أذهانهم التقدم أو انهم يرفضون طلب المربين ويواصلون الطريق الذي يريدونه وليس الذي يريده المربي.

عقيدة الإسلام في تأثير التربية:

يمكن إثبات عقيدة الإسلام في تأثير التربية من عدة زوايا:

١ ـ وجود أصل التكليف في الإسلام، والذي يبني ويؤيد هذا الأمر، فلو لم يكن الإنسان متقبلاً للتربية، لكان التكليف خطأ.

٢ ـ أصل إرسال الرسل من أجل هداية البشر وتوجيههم.

٣ ـ أصل الإنذار والتبشير الذي يسعى الإنسان على ضوئه إلى التعرف على القواعد المعقولة.

٤ ـ أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو واجب على الجميع والذي طُلب على ضوئه من الإنسان إصلاح نفسه.

٥ ـ إعلان الإسلام بأن الإنسان حرّ في كسب الكمال، وانه ليس مُجبراً على العبادة كالملائكة، وإنما لديه القدرة على معرفة الحقائق، كما أن طريق الصعود مفتوح أمامه، وبإمكانه أن يكون طاهراً ومتقياً، وإمكانية التقدم والحركة متوفرة له.

المربي والتربية:

توجد في الإنسان إمكانية وأرضية الرقي وقبول التربية، وكذلك وسائل التقدم، وهي الحواس التي لها وظائف مثل الرؤية، السماع، التذوق، اللمس، الشم، القيام بالتوازن و. . . ، كما أن اللسان، العقل والإرادة وسائر القابليات هي عوامل تهيئة للتربية، وباستطاعته المحافظة على التغييرات بالاستفادة من هذه الوسائل والعوامل.

ويمكن للمربي السيطرة على الطفل مستفيداً من الأمور الآنفة والقيام بأعمال تربوية تجاهه، وعلينا أن لا ننسى أنه حر ويعبر عن رأيه ويتدخل في أمر التربية، وهكذا لا يمكن تنفيذ جميع الخطط والأطروحات والرغبات التي يريد المربي القيام بها. كما أن العوامل الاجتماعية تؤثر كثيراً في مسألة تربيته.

الفصل التاسع

العوامل المساعدة في التربية

هناك فرق بين الإنسان الذي لديه إمكانات وأرضية واسعة لتقبل التربية ويتمتع بعوامل مساعدة مختلفة للتربية، والحيوان الذي ليس لديه إلا إمكانات محدودة جداً.

وتعتبر الغرائز أنها الموجه للحيوان في مجال العمل والسلوك، أما مرشد الإنسان فهو عقله، وهكذا لا بد للحيوان من اقتفاء طريق معين، في حين أن للإنسان حق الاختيار للعثور على طريق من بين طرق متنوعة.

وتوجد في الإنسان عوامل وأرضية تجعل إمكانية تقبله للتربية أكثر، ويُعد وجودها عنصر تشجيع للمربي، فهو يستطيع بالاستفادة من هذه العوامل، إرشاد الطفل وتوجيهه إلى الهدف المطلوب.

إن مما لا شك فيه أن الطفل قد يتخذ موقفاً في قبال المربي وذلك بمقتضى سنه وإدراكه ويختار طريقاً واتجاهاً خاصاً يرغبه، وهذا الأمر يدل على أن المربي قد لا يصل إحياناً إلى بعض أهدافه.

العوامل المساعدة:

أما العوامل المساعدة لنا في أمر التربية فهي كثيرة، منها:

١ ـ **الغرائز**: وهي القوى الموجودة في داخلنا والتي لها منشأ فيزيائي ـ كيميائي. وهذه الغرائز لها بُعدين على الأقل: بُعد يؤمّن بقاء الفرد كالأكل والشرب، وبُعد يضمن استمرار وبقاء النسل كالغريزة الجنسية والدفاع و. . .

إن الجانب الميلي للغريزة يؤدي إلى تطابق وانسجام الإنسان مع البيئة

بالعمل والجهد والسعي في طريق بنائه لنفسه، وبإمكان المربي القيام بالتربية وهداية الفرد بالاستفادة من هذه الأرضية.

٢ ـ **الفطرة**: ما نقصده من الفطرة في هذا البحث هو البُعد المعنوي للعوامل الموجودة في الإنسان والنابعة من الروح الإلهية، والتي تؤدي إلى سير المرء نحو الكمال والتحرك في الاتجاه اللامتناهي.

وعلى أساس الفطرة تستقطبنا كثير من المسائل والجوانب بصورة ذاتية، ونرفض بعضها الآخر، فمثلاً نهرب من الجريمة ونرغب في الأمانة، ولدينا معرفة بكثير من القبائح والحسن على أساس الأرضية الفطرية، فنرفض بعضها ونرغب في بعضها الآخر.

٣ ـ **القابليات**: لقد جعل الله في باطن كل إنسان عوامل وإمكانات يستطيع الإنسان بالاستفادة منها وتنميتها، الوصول إلى بعض الرغبات والأهداف، ويتمتع الإنسان بقابلية الحفظ والقابلية الآلية والقابلية على التفكير والتخيل والتصور وتلقين الأفكار والتقليد والاقتباس والبيان والنطق و. . . وهذه القابليات هي أمانة من الله في الإنسان، وباستطاعته على ضوئها أن يصبح عالماً في الرياضيات أو معماراً أو ميكانيكياً أو عسكرياً و. . . وتعتبر هذه العوامل مساعدة في التربية.

٤ ـ **الاستلهام**: إن المعلومات التي تصل الوجود الإنساني من الخارج، عديدة ومتنوعة، فتارة يلتفت الإنسان لاشعورياً إلى بعض المسائل ويحصل على معلومات أو يتضح له جواباً لمسألة ما، وكأن خبراً وصله بشكل رمزي. ونرى المظهر الكامل لهذا الأمر في الأنبياء، كما نرى مظاهره بصورة ضعيفة جداً في الحيوانات، وهذه الحالة في الإنسان تؤيد تأثير التربية فيه.

٥ ـ **صفة البحث**: إن الإنسان كائن باحث من أجل اكتشاف المسائل والاسرار، وهو يحب الاطلاع على كل الأسرار، ولمس كل شيء وتذوقه وشمه والانتقال من الجهل إلى العلم.

إن وجود النظرات الدقيقة والأسئلة المتواصلة والتفحص في أعمال وسلوك الوالدين والمربين والسماجة والإصرار على معرفة ما يدور حوله

والأسئلة المستمرة والتلاعب بالأشياء، كلها تشير إلى هذا الأمر وتعتبر أرضية للنجاح في أمر التربية.

٦ ـ **طلب السعادة**: لا نجد إنسان لا يطلب السعادة والخير وإنما الاختلاف هو في اختيار الطريق، فالجميع يريدون أن يكونوا سعداء وأن يبلغوا ما يرغبون، وهذا الأمر يشاهَد في الأطفال منذ بداية حياتهم، وفي حالة توفر هاد ومرشد لهم فسوف يوفّقون في هذا الأمر.

إن المهم هو وجود هذه الأرضية في الإنسان، والتي هي سبب لتقبّله التربية، وإذا استفاد المربي منها فبإمكانه توجيه الطفل نحو الهدف المطلوب.

٧ ـ **السير اللامتناهي**: الإنسان في حالة سير دائم، وهو لا يرضى مجد معين ولا يتوقف فيه لا في الجانب المادي ولا في الجانب المعنوي، وهذه الأرضية كامنة في وجودنا.

وبعبارة أخرى إن الإنسان يريد الخير والرفعة بشكل ذاتي، ويحب العلم إلى ما لانهاية وطالب للقدرة إلى ما لانهاية، وهذه أرضية للرشد والميل إلى الاستمرار في إيجاد وقبول التغيير. وباستطاعة المربي بعد بلوغ الأهداف الجديدة، طرح أهداف أخرى ثم الاستمرار في التقدم.

٨ ـ **حب البطولة**: توجد في الإنسان خاصية حب الأشخاص البارزين الذين يعتبرهم أبطالاً. وهو يسعى إلى الاقتداء بالذين يثيرون الإعجاب ويحيرون العقول والصفوة، في مجالات القدرة، الجمال، المهارة، السياسة، واتّباعهم. وإذا كانت هذه الأرضية تحت إرشاد المربين فإنها ستكون بناءة وتدفع الأشخاص إلى اتّباع الأكفاء وتقليدهم في أعمالهم، وعندما يضع المربون نماذج قيمة وممكنة الاستفادة أمام مسير الطفل فإنهم لا يتمكنون من تربيته في الاتجاه المطلوب.

٩ ـ **التعقل**: الإنسان كائن عاقل ولديه وعي عملي أو عقل، يعرف عن طريقه الخير والشر. والعقل هو مرشد المؤمن ومصباح يضيء طريق الحياة، وباستخدامه يميز المرء المسائل الصحيحة والسقيمة، والعقل في الإسلام هو معيار العقاب والثواب، وبالاستفادة منه يعين الإنسان هدفاً وبرنامجاً له

فيقبل مسألة ما أو يرفضها، ويكفي في أهميته ما ورد في وصفه بأنه رسول باطني في الإنسان، ومن خلال العقل يقيم الإنسان كل شيء. كما أن وجود العقل يؤيد أن الإنسان يتأثر بالتربية ويقبل بكلام المربي.

١٠ ـ **التفكير**: إن الإنسان كائن مفكر، فهو بعد الوصول إلى مرحلة التمييز ومعرفة العلاقات البسيطة بين العلة والمعلول، يتمكن من التفكير في مسألة ما، وحتى التعمق فيها في ما بعد.

وعلى ضوء الفكر يدرك الإنسان أنه ليس كائناً بلا هدف. ولا يمكنه أن يكون كعلف أصفر أو ألعوبة مهملة. إن من الضروري أن يفكر بشأنه ويقرر ويبادر في تعزيز خصال البناء الفكرية لديه، ويربي ويوازن نفسه ويبين بعض ملامح الكمال والرشد لديه، ويتحرك ويتقدم، وهذا نفسه عامل مساعد في التربية.

١١ ـ **القدرة على الإدراك**: من صفات الإنسان إدراك القضايا وإدراك حسن وقبح الأمور وإدراك الظواهر وخاصة علاقات العلة والمعلول فيها، وبإمكانه الاستنتاج بعد رؤية المقدمة وفيهم حقيقتها، وتوقع نتائج وعواقب من حوادث بسيطة. وتسبب هذه الأرضية حالة النظرة البعيدة، وفي النتيجة سوف تصبح إعداداً للظروف والإمكانات اللازمة لنضج وتقدم الفرد. ثم بإمكان الإنسان من خلال هذه الأرضية إدراك عواقب المسائل البسيطة وتوفير مستلزمات النضج في نفسه وهذا عامل مساعد لتقبل التوجيهات والإرشادات.

١٢ ـ **بُعد النظر**: إن الإنسان يختلف عن الحيوان، فهو لا يفكر بوضعه الحالي فقط، وإنما يفكر بالمستقبل أيضاً، وليس المستقبل القريب، بل البعيد جداً.

إنه يفكر بوجود يوم آخر غير هذا اليوم، وأيام أخر غير الغد، حتى اليوم الآخر. وهذه النظرة البعيدة تؤدي إلى إجراءين تربويين: أحدهما توفير الإمكانات من أجل حياة طويلة وممتدة، والآخر إبعاد النفس عن الأخطار والعوارض وإذا كان المربي في طرق الأطفال هذه فباستطاعته الوصول إلى نتائج وآثار قيّمة.

١٣ ـ **الاختيار**: الإنسان كائن مختار، فهو يقوم بالعمل إذا أراد ويتجاوزه إذا لم يرغب، ولا يمكن إكراهه على ذلك. ولو أكره فإنه يحاول بشكل وآخر الابتعاد عنه والتخلص من الأسر الجبري الذي تعرض له.

وهو يرى نفسه حراً في عدم القيام بكثير من المسائل، وإذا وافق على أمر في مثل هذا الحال فذلك بسبب الاضطرار. كما أن المراعاة والعواطف تؤدي في بعض الأحيان إلى قبوله بذلك الأمر الذي لا بد منه. وعلى أي حال فإن مسألة الاختيار رغم أنها قد تكون عقبة في التربية، إلا أنها تعتبر عاملاً إيجابياً كذلك.

١٤ ـ **الانتخاب**: الإنسان موجود مُنتخِب، وهو يلحظ في هذا الانتخاب جوانب الأمور، وينتخب من بين سبل متعددة، ذلك السبيل الذي يكون بناءً وموجهاً ونافعاً وكثير الفائدة له. وينتخب من بين كل شيئين، الشيء الذي يوفر له مصالح أكثر، وعلى هذا الأساس، إذا استطاع المربي أن يشرح له فوائد وأضرار الأمور وأعطاه الحرية في انتخاب الطريق، فمن المحتمل أن يصل إلى نتائج مطلوبة.

١٥ ـ **الإرادة**: يعتبر الإنسان كائن صاحب إرادة. فهو يريد أولاً ثم يسعى لتحقيق ذلك وتقوم إرادة الإنسان على تفكير ودراسة، وهو يريد شق طريقه بهذه الإرادة والتقدم على أساس ضوابط العلة والمعلول ومراعاة قواعد الدين والأخلاق، ومن الضروري مساعدة وإرشاد المربي المخلص حتى يوجهه ويدفعه إلى العمل في الطريق الذي لصالحه، وإذا استطعنا تطبيق إرادته مع إرادتنا فسوف نتمكن أن نشترك معه بالهدف والإرادة ونتقدم.

١٦ ـ **التقليد**: الإنسان موجود مقلد، وهو أكثر تقليداً من أي حيوان، ونعني بالتقليد العمل بالسلوك الذي كان الآخرون يعملون به، وهذا الميل غريزي في الإنسان، وقد يكون شعورياً وإرادياً كتقليد الصبي لبطل معين، خاصة إذا أراد بهذا التقليد إظهار نفسه أمام الأنظار أكثر والعمل بالصورة التي يرغبها الآخرون. إن المطلوب في التربية هو الاسوة المقبولة التي يجب أن تكون أمام الطفل، حتى يلتزم بالتقليد على ذلك الأساس، والخلاصة أن الرغبة في التقليد هي من العوامل المساعدة في التربية.

١٧ ـ التعلم: يستطيع الإنسان تعلم الأمر الذي يريد تعلّمه. ولا شك أن الحيوانات، وبالذات الحيوانات ذات المستوى الواطىء، ولكن إمكانية التعلم لدى الإنسان هي أكثر، كما أن وسائلها وأدواتها أوفر، والأرضية مساعدة أكثر وسعتها أكثر.

ونكتة أخرى هي أن التعلم يبقى في الإنسان فترة طويلة. على العكس من الحيوان الذي ينسى ذلك بعد زمن قليل. ثم ان تعلم الإنسان يكون أغلبه على أساس إدراك علاقات العلة والمعلول، في حين أن الحيوان يتعلم على أساس الجوانب الشرطية.

١٨ ـ القدرة والاستطاعة: إن الإنسان كائن قوي، وعن طريق الإمكانات التي لديه يستطيع تنفيذ كثيراً من المسائل التي يريدها، والقيمومة أو استغلال بعض من أبناء نوعه والسيطرة على جبل أو سهل أو بحر وغيرها. وتتغلب قواه الفكرية والذهنية على الصخور والبحار. كما أنه إذا أراد أن يسيطر على نفسه ويسحق على أهوائه ورغباته ويضغط على غرائزه وهذه أرضية إيجابية في التربية.

١٩ ـ التجربة والاستفادة: يختلف الإنسان عن الحيوان في أنه يستنتج عدة نتائج مستقلة عن بعضها الآخر من خلال ملاحظة بعض الأمور ويقوم بعدة أعمال منفصلة عن بعضها البعض. والإنسان حين يرى عملاً يقوم بتجربته واكتشاف أبعاده وجوانبه وتركيبه، كما أنه يسعى عند رؤية مسائل متعددة مستقلة عن بعضها الآخر، إلى المزج بينها واستخراج مسألة جديدة أو أسلوب جديد، ويبتكر طريقة معمارية خاصة بواسطة خلط طرق معمارية متنوعة، ويحاول من خلال المزج بين أفكار عديدة، طرح فكر جديد، وهذه نقطة إيجابية مساعدة في التربية.

٢٠ ـ الرغبة في الحرية: خُلق الإنسان حراً بالفطرة وباطنه يريد تلك الحرية، وهو على استعداد للقيام بأي عمل من أجل الحصول عليها والمحافظة عليها انه يطمح إلى الحرية في أي موقع كان ويستطيع المربي بالاستفادة من أرضية ( ) وإشباع هذه الحاجة، توجيه الطفل وتربيته تربية حسنة. وإذا عرف علل وأسباب هذه الحرية فإنه يقبل بها، وهذا هو عمل المربي، الذي يصل إلى تلك النتائج بالاستفادة من هذه الأرضية.

٢١ـ النزعة نحو الاستقلال: يصر الطفل وهو في عمر ٢ ـ ٣ أعوام على إنجاز عمله بشكل مستقل عن الوالدين، فهو يريد أن يرتدي ملابسه لوحده ويتناول الطعام بنفسه، وأن يقوم بأي عمل يريد وأن يعمل بنفسه لنفسه.

وهذه الأرضية يمكن الاستفادة منها في توجيهه نحو الجهة المطلوبة بشرط أن يعلم شروط الاستقلال وكيف يستطيع أن يتقدم حتى يحافظ على استقلاله، إذ يجب المحافظة على استقلاله عن طريق دفعه إلى القيام بالأمور المطلوبة وتعلّمها.

٢٢ ـ النواحي العاطفية: إن الصبي وبمقتضى السن والرشد والحياة، يرى أن أمنياته لا تتحقق إلا عن طريق الوالدين، فهو ينظر إلى أمه وأبيه نظرة الرازق والمُشبع للحاجات، ويشعر بالسعادة، وهما يرأفان به ويدللانه ويلتذ بلذائذ الحياة عن طريقهما، فيؤدي هذا الأمر إلى الشعور بالمراعاة فيما بينه وبينهم. وهو يستجيب لكثير من رغباتهما، من أجل مواصلة المودة بينه وبين والديه، ومن خلال الاستفادة من هذه العوامل يمكن توجيهه في اتجاه معين.

٢٣ ـ إمكانية التطابق مع البيئة: الإنسان ليس كالحيوان من حيث قابليته على التأقلم، فقابلية الحيوان قليلة جداً، أما الإنسان فقدرته على التطابق مع البيئة والظروف البيئية كبيرة. وباستطاعته الإنسجام مع مختلف الظروف من الناحية الداخلية والخارجية، فرئتيه لا تتلاءم مع دخان السجائر في الأيام الأولى، كما أن معدته لا تتقبل الشراب، إلاّ أنها تتأقلم مع ذلك بعد انقضاء فترة، وفي مسألة الحرارة والبرودة يكون الوضع هكذا أيضاً، وتوجد لديه مثل هذه الإمكانات في الجانب الفكري والذهني، وتعتبر هذه نقطة إيجابية لتربيته.

٢٤ ـ الاستفسارات: يسأل الإنسان عن كل أمر ومسألة جديدة يواجهها، وهو يرغب في اكتشاف المجاهيل، وهذه الرغبة تنجم من غريزة حب الاطلاع. والمربي لا يضعف لدى الطفل هذه الأرضية وإنما ينمّيها في بعض الحالات ويزرع الدافع لها في ذهن الصبي ثم يمكنه أن يعلمه المسائل والجوانب المتعلقة بالحياة باستخدام ذلك.

٢٥ ـ **قدرة الانتقال**: بإمكان الإنسان أن ينقل إلى الآخرين ما يتعلمه، على العكس من الحيوان، فيكون معلماً ومرشداً للآخرين. وهذا الأمر يدل على أنه يتمكن من ضغط ما تعلمه، وهو واع وفطن بذلك. وعلى هذا الأساس فإن ذهنه مخزن للمعلومات، وعندما يريد فبإمكانه استخدام ما لديه من معلومات، وهو حرّ في هذا المسير، كما أن نقل المعلومات إلى الآخرين هو عامل في ممارستها، ويكون تكراراً وتجربة جديدة ونضوج أكثر للمسألة وشعور بالالتزام بالعمل.

٢٦ ـ **الاعتبار**: يَعْتبِر انسان مما يحصل له، فحين يرى شخصاً تدهسه سيارة يفهم أن عليه أن يكون منتبهاً عند عبور الشارع. ويدرك من خلال مشاهدة حالة تهاون وسقوط الفرد، كيفية الحذر من الأخطار.

إن وجود هذه العوامل يسهل إلى حد كبير العمل التربوي، وباستطاعة المربي أن يعلم الشخص بعض المسائل بصورة مباشرة وبعضها عن طريق دفع الإنسان إلى كسب التجارب والمعلومات من الغير والاعتبار من المشاهد والقضايا.

٢٧ ـ **الاتعاظ**: يعتبر الإنسان من أهل الإدراك والفهم، وإذا تيقن أن كلام الآخرين صحيح وناصح، فهو يتقبله، ويستمع إلى نصيحة الغير. وهذه المسألة هي من أسباب السرعة في تأثير الهداية وبرامج التربية. وإذا أُريد أن ينضج الإنسان عن طريق الضرب والسب، أو يقوم بإظهار مقاومته في كل الأحوال، عند ذلك يصبح العمل صعب جداً.

والشخص بعد سماع كلام وموعظة الآخرين والشعور بأنهم يتحدثون معه من باب الصداقة يسلك طريقة المربي ويقبل به على أساس فكر ودراسة.

٢٨ ـ **الحساسية والتأثر**: المرء على خلاف الحيوان في الحساسية تجاه الأمور والقضايا التي تحيط به، فهو قد تؤثر فيه حادثة مؤلمة ودامية ويصبح في حال بحيث لا تتكرر تلك الحادثة. أو أنه يهيء وسائل وأدوات للانتقام، وهذا يؤدي إلى تحرك الذهن واستعمال الأعضاء والسعي لتعلم طرق وأساليب لمواصلة الحياة، ويصبح طبعاً سبباً في البناء والتحرك نحو اتجاه معين.

٢٩ ـ قبول النقد: الإنسان كائن ناقد، أي أنه يشاهد سلوك وأعمال الغير وينتقدهم، ومن جهة أخرى، فهو يتقبل النقد، فإذا انتقده البعض وطرحوا بعض الملاحظات على أساس معيار صحيح سيضطر إلى أقلمة نفسه على أساس المعايير المطلوبة. وكثير من الناس يحاولون أنفسهم توجيه النقد لأنفسهم وتقييم الانحراف الذي لديهم وإصلاحه، وتعتبر هذه نقطة إيجابية في الإنسان.

٣٠ ـ لعب الأدوار: يعتبر الإنسان موجود يتأثر بالأدوار وهو يتمتع بخاصية نفسية ووجودية بحيث لو لُقّن أمراً أو شاهد حادثة واهتم بها وارتاح لها، فسوف يقبل بها، فكثير من الأمور والمسائل تمر أمام عيون الصبيان فيتأثرون بها ويمارسون نفس ذلك السلوك، ووجود هذه الأرضية لدى الأفراد قد تسبب أحياناً انحرافه وترك آثار غير مطلوبة فيه، وان الوصية بإصلاح محيط الطفل ناجمة عن وجود هذه الأرضية فيه.

المربي والتربية

وثمة عوامل أخرى في الإنسان تساعدنا في أمر تربية الأطفال، مثل الوعي الذاتي والفطنة لدى الإنسان واستطاعته على الربط بين الماضي والمستقبل وقدرة التقييم والرغبة في الرقي والنمو وقدرته على إيقاف الحركة التي لا تتفق مع رغبته، الشعور بمراقبة الأعمال والسلوك و. . . وقد تجنبنا دراستها بشكل مفصل مراعاة للاختصار.

إن دور المربي في تربية الإنسان من هذه الزاوية هو توجيه وطرح المعلومات، وتمهيد الطريق للتقدم وهداية الإنسان للسير في الطريق الصحيح والسيطرة عليه في الانحرافات والسقوط، وإثراء التجارب والمكتسبات والطلب من الصبي أداء الوظيفة حسب قدرته واستطاعته وإدراكه، وأخيراً بناء فرد لائق للدخول والمساهمة في الحياة الاجتماعية.

الفصل العاشر

حق التربية

ذكرت التربية في جميع العقائد والأديان على أنها حق للطفل. كما اعتبروا التهاون فيها ذنب لا يغفر. وقد بُحث هذا الأمر في الإسلام بشكل صريح وواسع وحتى أنه رُسم له حدود.

إن الوالدين هما اللذين يتوليان مسؤولية التربية وعليهما السعي في أداء هذا الحق. وثمة وظائف في هذا الصدد تقع على عاتق المجتمع والحكومة والناس البعيدين أو القريبين. وعند طرح مسألة الحق، فذلك يعني أن هناك في قباله مسألة التكليف والمسؤولية، وبعبارة أخرى ان أبناءنا دائنون والوالدين وغيرهم مَدينون وموظفون بأداء هذا الدَّين بالصورة اللائقة. ويعتبر الأب والأم مُكلّفين بالدرجة الأولى وعليهما تربية أبناءهما بصورة صحيحة وتوفير وسائل وإمكانات ذلك، وسائر أفراد المجتمع يجب عليهم الإعانة للوالدين والمربين في أداء هذا الحق. وحقوق الأطفال عديدة وأغلبها شبيهة بحقوق الكبار، وهذه المسألة جديرة بالذكر لأن كثيراً من العقائد وجميع الأديان الصحيحة تعتقد ولو في عهدها ودورتها أن الصبي شبيه بالإنسان الكبير من حيث حمله لكرامة وقيمة، ويجب النظر إليه وكأنه إنسان كبير، ومعاملته معاملة الكبار وتجنب اعتباره ألعوبة والامتناع عن التساهل في أداء حقوقه.

حدود هذا الحق

ثمة اختلاف في وجهات النظر بشأن حدود حق الطفل وتحديد السن الذي يكون فيه ذلك حق للأطفال. وفي ما يلي الآراء ووجهات النظر المطروحة في هذا الصدد، حيث نرى المظهر•التام والكامل لها في

الإسلام. ومن الضروري أن يهتم الوالدين والمربون بالنواحي التالية التي يجب أن تحظى بدراسات المحققين في مجال التربية والتعليم. وليس لدينا فرصة وإمكانية إلاّ في حدود ذكر فهرست للمسائل ذات العلاقة بهذه الجوانب، ونترك دراستها والتحقيق فيها للباحثين.

أما حقوق الأطفال التي على عاتقنا فهي:

١ ـ **القبول بالطفل**: يجب أن يبحث في هذا السياق مسألة هل يجب القبول بالطفل أم لا؟ والموقف حيال القبح أو الجمال؟ كونه ولداً أم بنتاً؟ سلامته أو وجود نقص فيه، هل يجب أن تطرح أم لا؟

هل يجب اعتباره جزء من وجودنا أم كل وجودنا؟ وما هو الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه الألم الذي يصيبه، وكيف؟...

٢ ـ **احترام الطفل**: هل الصبي كائن جدير بالاحترام أم لا؟ وكيف يكون هذا الاحترام؟ وهل يُعد في البيت عضواً زائداً أم أنه عامل في سرور وقوة الأسرة؟ وهل يعتبر عضواً مفيداً ومؤثراً أم كائن طفيلي؟ وهل يُكرّم أم يُهان؟

٣ ـ **تسمية الطفل**: وهنا تطرح هذه المسألة وهي قضية الإسم الذي نختاره له، فمتى ننتخب له أسماء؟ وهل نسميه بالاسم والصفة التي تدل على الأخلاق والإنسانية أم التي تكون سبباً في سوء الاستفادة؟ وهل يُختار له الإسم الذي يثير الشعور بالحقارة والضعف أم الذي يثير الغرور والفخر؟ هل نسميه باسم جميل أم قبيح؟ وما هي الألقاب التي تستخدم له؟... إننا نعلم أن الإسلام يوحي باختيار الاسم الذي ينسبه إلى عبودية الله، والصفة القيمة التي تشير إلى ارتباطه بآل المعصومين.

٤ ـ **تغذيته**: ماذا يتغذى الصبي بعد الولادة؟ هل يتغذى من حليب الأم أم من حليب المرضعة؟ هل يكون غذاءه حليباً طبيعياً أم صناعياً؟ وما هو تأثير الغذاء في الطفل؟ وما هي العلاقة بين الطعام وطبع الأخلاق لدى الإنسان؟ وما هو الأساس في تغذية الصبي؟ وما هي الأغذية التي ورد تأكيد عليها؟ وما هي الأغذية التي لا تُعطى له وفي أي الأعوام؟ و...

٥ ـ **اللباس**: ما هو اللباس الذي يرتديه الطفل؟ وما هي ألوانه؟ ولماذا اللباس؟ وما هي التغييرات التي نراعيها في ملابسه؟ وما هي الرقابة التي يجب القيام بها في مجال الزي في مختلف السنين وخاصة في فترة الفتوة والشباب؟ وكيف الحال بالنسبة للملابس الداخلية؟ وما هي الرابطة بين لباسه ونظافته؟ وبين لباسه وسلامته؟

٦ ـ **صحته**: ما هي الضرورات المطروحة للمحافظة على سلامة الصبي؟ وأي أنواع الرقابة يجب القيام بها للحيلولة دون إصابته بمرض؟ وما هي الأسس التي يجب مراعاتها في الوقاية؟ وما هي النكات التي يجب الاهتمام بها في مجال المعالجة؟ وما هي أهمية الاعتناء بالصحة والنظافة في سنين الصغر؟ هل الطفل بحاجة إلى الحماية أم لا؟ ومن هم المسؤولون عن حمايته؟ وكيف يجب تعليمه العادات الصحية؟ وما هي طرق إعداده لمراعاة السلامة والمحافظة على صحته؟

٧ ـ **حماية الطفل**: هل الصبي بحاجة إلى حماية أم لا؟ ومن هم المسؤولون عن ذلك؟ ووفق أي ترتيب وأولوية؟ وماذا يجب من عمل في إطار رفع المضايقات عن الطفل؟ وما هي أنواع الرقابة التي تلحظ بالنسبة للأطفال المعلولين أو الذين لديهم عاهات؟ كيف وإلى أي مستوى نُفرح الصبي بمساعدتنا له؟ وإلى أية درجة يثق بنا؟ ماذا نعلم حتى نحول دون استغلاله لحمايتنا في إيذاء الناس؟ و. . .

٨ ـ **أمن الطفل**: هل الطفل بحاجة إلى الأمن؟ وفي أي المجالات؟ هل في المجال الفردي أم الاجتماعي أم منهما كليهما؟ وما هي العلاقة بين رشده وأمنه؟ كيف يوفر أمنه في البيت؟ وكيف في المجتمع والمدرسة؟ وما هي العلاقة بين مشاكل الوالدين وأمن الصبي؟ كيف يكون أمنه في المدرسة؟ ماذا ينبغي العمل في الحقل النفسي والفكري والعقائدي للطفل؟ هل ثمة ضرورة لتعريض أمنه إلى الخطر في بعض الأحيان؟ ولماذا؟

٩ ـ **الحرية والاستقلال**: هل يجب أن يكون الصبي حرّاً؟ في أية ظروف؟ وما هو نوع الحرية الذي يجب أن يُلحظ بشأنه؟ هل هي مشروطة أم مطلقة؟ وكيف نسيطر عليها؟ وأي القواعد الانضباطية يجب مراعاتها بشأنه؟ كيف نجددها؟ كيف نمنحه الاستقلال؟ هل بصورة آنية أم تدريجية؟

وفي أي المجالات؟ وبأية شروط؟ كيف ندفعه إلى الاستفادة من الاستقلال والحرية؟

١٠ ـ **حب الطفل**: ما هي الضرورة لهذه المحبة؟ وما هي حدودها؟ وشروطها؟ وما هي الأضرار الناجمة عن الإفراط في ذلك؟ وكيف يراعى القسط والعدل في توزيع المحبة بين الأبناء؟ ما هي الضرورة في الامتناع عن التمييز؟ وما هي حدود المحبة بين البنت والابن؟ نوع إظهار المحبة وكيفية إظهارها من قبل الأب أو الأم؟ وما هي الرقابة في إظهار المحبة في سنين معينة؟ . . .

١١ ـ **تأمين الحاجات**: نوع حاجة الأطفال، طرق إشباعها، ضرورة رعاية حد الاعتدال، الضرر المترتب على الإشباع الإفراطي للحاجات، الاهتمام بشعور الغرور وإشباعه، الاهتمام بشعور التعلق والارتباط، الممارسة التدريجية لاستقلاله، الاهتمام بوقوفه وقلة الحاجات؟ و . . .

١٢ ـ **التعليم**: ضرورة الوعي لدى الصبي، دائرة وحدود الوعي؟ المجالات اللازمة للحصول على المعلومات في النواحي السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، المعنوية، الأخلاقية. . .؟ تعلم الفنون والمهارات اللازمة في السباحة، الرمي، الركوب، تعلم القرآن، المسؤوليات، الحِرَف والمشاغل، نوع التعليم، كيفيته، تعلم الفنون ونوعها و . . .

١٣ ـ **التنمية**: تنمية البدن، تنمية النفس، تنمية الفكر والأبعاد الذهنية، تنمية الضمير، تنمية القابليات، تنمية رشد الحكم والقضاء، تنمية الفضائل، إيجاد حب السمو، السيطرة على الشرور، الألعاب، طرق إيجاب الإيمان، كيفية حفظ وإحياء الفطرة.

١٤ ـ **السيطرة**: هل يجب توفر السيطرة في تربية الأطفال؟ هل هي عوامل سيطرة، أم ضوابط؟ ما هو منشأ وأساس تلك الضوابط؟ وكيفية التنفيذ؟ ومن الذين يقومون بذلك؟ وبأي ظروف وفي أي بيئة؟ وما هي حدود ذلك وأشكاله؟ وما هي حالات تنفيذه ودرجات السيطرة؟ و . . .

ضرورة أداء الحق:

كان ذلك بعض حقوق الأطفال على الوالدين والتي يجب أن يؤديانها خلال القيام بالوظيفة التربوية. إن مسؤولية التربية الخطيرة لا يمكن أن تهمل، إذ ان الإسلام وبعض العقائد تعتبر القيام بهذه الوظيفة بالشكل الأحسن جزءً من الحقوق المسلّمة للطفل.

ويرى الإسلام أن الشخص إن لم يستطع أداء حق زوجته ولم يتمكن من اكسائها وتوفير الطعام لها، فبإمكانه طلاقها، ولكن الأمر بالنسبة للطفل ليس هكذا، حيث يجب عليه أن يقوم بإدارته وبالصورة الحسنة، وقد وردت الوصية في أن يعمل الإنسان على إنقاذ نفسه وأسرته من نار الفساد والبؤس الواسعة ويوجه العائلة إلى عبادة الله، وهي أساس جميع الأمور، والوصايا الإسلامية تقول ان التربية الصحيحة هي أهم إرث للأبناء، وذُكر أيضاً أن التربية الصحيحة هي نوع من العطية التي يقدمها الوالدين إلى أبنائهما.

إن أداء حق الصبي هو أمر ضروري خاصة وأن الطفل ضعيف وغير قادر على المحافظة على نفسه والدفاع عن حقوقه واعتباره، وهذه الرقابة والمساعي يجب أن تستمر لأعوام تصل إلى ٢١ عاماً وذلك حسب الرأي الإسلامي.

كيفية أداء الحق: يجب أن تكون كيفية التربية وأداء الحق بشكل يفضي إلى النجاح الكامل في إيجاد التغييرات المطلوبة ويتم الاهتمام بالمصالح والمنافع، ونحن نعلم أن الإسلام لا يعتبر الوالدين أحراراً بشكل مطلق في تربية أبنائهم، إذ ليس باستطاعتهم تربية أولادهم بأي صورة أرادوا، فهذا الحق يجب أن يؤدى بحيث يتربى بشكل أفضل، فيوجه توجيهاً حسناً، ويحترم احتراماً حسناً، كما تراعى مسألة تحقيق رغباته إذا كانت في طريق رضى الله، ولا تعرّض إلى صدمة.

ويجب أن تؤدى الوظيفة التربوية من خلال بيان الاسوة والإظهار العملي للقضية، حيث ان درجة التقليد لديه قوية. إن الطفل بحاجة إلى الدعم ويجب أن يتمتع بإمكانات في هذا الطريق، وقد لا تعتبر بعض العقائد أن التكليف الشاق والتشديد غير المدروس في التوجيه ودفع الطفل إلى

اتخاذ عادة وتقليد رصين، مسألة مهمة، ولكن الإسلام له كلام في هذا الصدد، فقد قال المعصوم عليه السلام: رحم الله والداً أعان ولده على بره تقبل ميسور = متجاوز معسوره ـ ولا يرهقه ولا يخرق به.

حقوق الوالدين: ويجدر الإشارة إلى هذه النكتة وهي أن تربية الطفل هي أمر واجب والامتناع عن أدائه يسبب عقوبة وجزاء وهذا هو طابع فكر كل الأديان والعقائد التي تعتقد بالحساب والعقاب والمعاد. قال النبي صلى الله عليه وآله: يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق.

وفي الأسلوب التربوي في الإسلام نرى بعض الأدعية التي تطلب العون في أمر التربية بصورة مباشرة تارة وبصورة تلويحية تارة أخرى. ومن ذلك دعاء ابراهيم النبي عليه السلام الوارد في القرآن الذي يدعو فيه لنفسه ولذريته، وهناك دعاء الإمام السجاد في رسالة الحقوق حيث يقول: وأعنّي على تربيتهم وتأديبهم وبرّهم.

ويعتبر الوالدان محوراً أساسياً في أداء واجباتهم حيث يجب أن يهيئوا هذه الأرضية في التربية وتوجيه الطرف المقابل في المسير المطلوب، وفي المراحل اللاحقة يكون الآخرون مكلفون في مسألة إصلاحه وبنائه، وهكذا يجب أن ينتبه الوالدان إلى عملهم وواجبهم، وإلى العقاب الإلهي والوجداني والاجتماعي الناجم عن تهاونهم في تربية أبنائهم.

القسم الرابع

فائدة ووظيفة التربية

تتولى التربية أمر بناء وإصلاح الإنسان، وفي ذلك تطرح مسألة الخلق مرة أخرى. إن إرادتنا في بناء إنسان يتخلى عن جميع اللذائذ وهو الشديد الإرتباط بغرائزه، ويضحي بنفسه ودمه في طريق الوصول إلى الهدف، ليس أمراً سهلاً، والتربية هي التي تتولى هذا الأمر الصعب.

وسنبحث في هذا الفصل، فوائد التربية في المجال الفردي والاجتماعي وأهمية ذلك في الجوانب والأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وسوف نثبت كيف يمكن عن طريق التربية، النجاح في إيجاد العلاقات الحسنة بين الناس والقيام بالتنمية الاقتصادية ورفع الإنتاج ونقل التراث الثقافي.

وفي فصل آخر تكلمنا عن وظيفة التربية، وسندرس ما يطرح في إطار بناء وإصلاح الإنسان وما يبذله المربي من جهود في سياق تنمية مخ وذهن ونفس الإنسان، ولا شك أن بيان وتفصيل كل بحث من البحوث الآنفة يتطلب كتباً مستقلة.

ونطرح أخيراً في جزء آخر من الفصل مسألة حدود عمل التربية وما هي الجوانب التي تتولاها أبعاد تربية الإنسان، وهل ان التربية تهدف إلى الجانب السياسي في الإنسان أم جانبه الاقتصادي والاجتماعي، وهل انها تعتمد على المجالات المادية أم المعنوية، أم كليهما؟ وسنحاول بيان جوانب وأبعاد هذه الفصول مع مراعاة الاختصار والتركيز على طرح المباحث في هذه المجالات.

الفصل الحادي عشر

فـائدة وأهمية التـربـية

إن التربية أمر مهم وذات فوائد وأدوار استثنائية في القيام بالتغيير في حياة الناس، ونتيجة لأهمية هذا الأمر فقد حظيت منذ عصور قديمة باهتمام جميع الآباء والأمهات والمربين والفلاسفة وعلماء الأخلاق، وكان البحث في شأن التربية وقواعدها وفنونها وضوابطها وشروطها وأهدافها وأساليبها، مطروحاً منذ أمد بعيد، وقد تناول أصحاب الرأي بحث ودراسة ذلك. وأدى وجود التغييرات السريعة والمستمرة في شؤون الحياة، والمرحلة الطويلة للطفولة والتي ازدادت في عصرنا، والتحولات السريعة والكثيرة في جميع شؤون حياة الإنسان، إلى ازدياد ضرورة البحث في هذا الصدد ودراسة جوانبه، ويمكن بصعوبة تحديد بيان آثار ونتائج التربية والفوائد المترتبة على ذلك، وسوف نشير باختصار إلى فقرات منها.

الأهمية الفردية للتربية:

يمكن اعتبار التربية وسيلة لإيصال الروح إلى أرفع درجات الكمال والجمال وعاملاً لسعادة الفرد وفي ظلها يستطيع المرء أن يكون إنساناً حقيقياً، فكثير من التحولات والإصلاحات قد تحصل لدى الفرد في ظل التربية أو تزول من الفرد بعض الصفات.

إن التربية تقدر على اكتشاف الجوهر الباطني للإنسان وتعزيز قواه وبلورة ذهنه وإحياء موجبات التفكير فيه، وبناء إنسان مبتكر ومنتج على مسير الخير، حر لا يؤذي الغير، وبلورة حياته الفردية وإصلاح حياته الاجتماعية. إن التربية هي أساس شخصية الفرد وهي التي تحرر الطاقات وتوجهها وتنمي الأبعاد الشخصية في الإنسان وتجعلها في مسير التكامل،

وتبني الأرضيات الباطنية في الإنسان وتدفعه إلى العمل، وعلى هذا الأساس تعتبر التربية نوع من الصناعة.

والتربية تغلق طرق الفساد بوجه الإنسان، وتقوي إرادته وتدفع المرء إلى السير في الطريق المطلوب، وتقوي الجسم، وتجعل الفكر سليماً، وتكمل الأخلاق، وتمهد الطرق للتعقل والتعلم والتدبر والتحقيق. وتهيىء موجبات القطع واليقين والوصول إلى الحجة والبرهان، ولهذه النواحي ورد في الإسلام: ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن (المستدرك ٢ ـ ص ٦٢٥ ـ علي عليه السلام).

الأهمية الاجتماعية للتربية:

إذا اعتبرنا الفرد قطعة صغيرة في هيكل الحياة الاجتماعية، فإن التربية لكل فرد من الأفراد هي بمثابة صناعة وتشغيل قطعة من الضروري وجودها في دوران عجلة الحياة. والتربية ينظر إليها أحياناً من زاوية أنها مسألة تهم الشعوب والمجتمعات، حيث ان سلوك الفرد والمجتمع يؤثران في بعضهما الآخر، فالذكاء الفردي قد يكون له تأثير كبير في الحياة والمصير الاجتماعي، وقد دلّت الحروب الكبيرة والدولية على حجم الحقوق التي أهدرتها التربية الخاطئة للفرد والمجتمع، ومقدار الحدود التي دمرتها.

إن القيام بتربية فرد أو أفراد يعني في الحقيقة السعي لتغيير وضع الفرد ومجتمعه، فيحصل تغيير في خصائص السلوك الفردي والاجتماعي، وكثير من التقسيمات المحلية للأفكار الجاهزة تحصل في ظل التربية.

وأخيراً ان أهمية التربية من الناحية الاجتماعية تصل إلى حد بحيث أن كثيراً من الشخصيات قد أنقذتهم من مرحلة الرق وأصبحوا يحملون كمالات إنسان حر وحصلوا على الاستعداد للدخول في مرحلة جديدة من الحياة، تقوم على احترام حقوقهم وحقوق غيرهم وبناء مجتمعهم ومجتمع الآخرين.

فوائد التربية:

عند بيان أهمية التربية، تكلمنا تلويحاً عن فوائدها، ومع هذا فإن من الضروري لإكمال البحث دراسة فوائد التربية من خلال رؤى وجوانب مختلفة.

١ ـ **على الصعيد الاجتماعي**: تقتضي الحياة الاجتماعية على أساس ضوابط ومقررات. وتوضع أسس وقواعد للحياة الاجتماعية، والتربية بإمكانها تلقين تلك القواعد والأسس للأفراد أو تدفع المرء إلى عرض طريقة وأسلوب جديد أفضل للحياة.

إن التربية سبب في إكمال الإنسان ورقيه الاجتماعي، وتوفر موجبات حصول حياة سليمة ومنظمة وتهيء الناس إلى المساهمة المفيدة والمؤثرة في المجتمع.

وباستطاعة التربية حل ورفع المشاكل الاجتماعية وتنظيم الأشخاص والقوى وإزالة المصاعب وإتمام الطاقات الاجتماعية والقيام بتغيير وتحول في الثقافة وفي أساس فكر الناس. ويمكن عن طريقها تخفيض نسبة الجرائم وحث الناس على بناء وإصلاح المحيط وتنمية قدرة الحكم فيهم وإثارة الرغبة في رفع واستئصال المفاسد والحيلولة دون الاستضعاف والاستغلال.

٢ ـ **على الصعيد الاجتماعي**: تستطيع التربية إعداد حكم صالح للناس ورفع مستوى النضج الفكري والسياسي والاجتماعي وتقوية قابلية مواجهة الخصم لدى الأفراد. وإحلال السلام محل الحروب والنزاعات.

إن التربية تؤدي إلى تنظيم وتخرب الأفراد الذين يحملون اتجاهاً وعقيدة واحدة، وهي تبني القائد والكادر القيادي في المجتمع والقوى التي تحرك عجلة المجتمع، وتعلم الأفراد المسؤولية وتثير فيهم حالة الدفاع عن كيانهم وشرفهم.

والتربية عامل للتفاهم على المستوى الوطني والدولي، وبإمكانها رفع الهوة والعقبات الموجودة في طريق رشد وتكامل الإنسان، فيتغلب على المشاكل، وتمهّد الأرضية لالتزام الأشخاص بالضوابط الإنسانية وتأتي بالعدالة والصفاء للبشرية.

إنها تفضي إلى التعاون الاجتماعي والتضامن بين الناس وتعزيز روح التفاهم والتعاون وإطاعة القوانين والمقررات والالتزام بالنظم والانضباط، وعن هذا الطريق يمكن توفير ظروف رشد المجتمع.

ولا يرتبط تقدم ورقي الشعوب بوجود ثروات مادية وميزانيات طائلة

بلا علاقة بالرشد الفكري والسياسي للمجتمع والذي يحصل على ضوء الاستثمار في هذا المجال، والانتصارات الثورية في كل مجتمع تنجم عن أفكار سياسية منتصرة.

٣ ـ **على الصعيد الاقتصادي**: يعتبر الأخصائيون في الاقتصاد أن التربية والتعليم هما نوع من الاستثمار للمجتمع وليس من صنف المواد الاستهلاكية، ويقولون ان كسب العلوم والمهارات وتنمية التعليم والتعليم العالي، رغم ما تتطلبه من نفقات، إلا أن هذا الأثر لا يُعد فقط جزء من الاستثمار لكل فرد بل استثمار للمجتمع أيضاً. وتشير دراسات أجريت في الاتحاد السوفيتي في مجال المنافع المترتبة على اجراء التعليم الإلزامي فترة أربع سنوات، إلى أن إنتاج ذلك كان حوالي ٤٣ ضعف النفقة التي صرف في ذلك الطريق، كما أشارت الدراسات إلى أن كل ريال يُصرف في تعليم المهارات ينتج ربحاً معادلاً لثلاثين ريالاً، وثمة علاقة بين التربية والتنمية الاقتصادية، وذلك من الناحية العلمية، من حيث ان الأفراد المتربين قليلو التعرض لخطر البطالة، وإنتاجهم يكون أكثر من غيرهم في جميع المجالات، ودخلهم غير المتوقع يكون أكثر، والسيطرة على ميزانياتهم أكثر سهولة.

وتبين الذخائر الدراسية لكل مجتمع (أي مجموع السنوات الدراسية لأفراد المجتمع مقسمة على عددهم) مستوى الثروات الوطنية. ويمكن أن تكون القدرة العملية التي تنتج هذه الذخيرة، محيرة للعقول، ولو استطاعت التربية أن تقدم للمجتمع مخترع واحد كل بضع سنين، فإن جميع الأموال المصروفة في التربية يتم جبرانها.

كما أن من الفوائد الأخرى للتربية في هذا الصدد، يمكن الإشارة مثلاً إلى أن تعليم طلاب المدارس تضميد الجروح ومراعاة الصحة والمحافظة عليها، والقدرة على الشراء والاختيار بشكل أفضل في المجتمع، تشكّل رقماً كبيراً وتحول دون إتلاف كثير من الأشياء، وهكذا الحال بالنسبة إلى الإنتاج والاستهلاك والتجارة والعمل، حيث ان تعليمها يثمر نتائج اجتماعية حسنة.

٤ ـ **على الصعيد الثقافي**: التربية أداة لنقل التراث الثقافي ونشر وتنمية

العلم والفكر وتعليم طريقة وأسلوب الحياة والعادات والتقاليد وأنماط الفكر والشعائر والفنون والمهارات وتعليم عين الحياة ونقل التراث.

وعن طريق التربية يمكن تغيير أو توجيه مضمون فكر الفرد أو المجتمع، وطرح طريقة جديدة في الحياة وتقديم أسلوب قيّم للتمتع بالحياة وتنمية القوى المادية والمعنوية للإنسان وإعداد مستلزمات الرقي والخلاص الجماعي من الاسترقاق والاستغلال.

إن التربية هي عامل لإخراج الفرد من الجهل إلى العلم ومن الظلام إلى النور ومن ضنك الحياة إلى سعتها ومن التفكير المحدود إلى التفكير الواسع، وأخيراً من الغرور والذاتية إلى الرؤية الكونية والنظرة الشمولية.

والتربية عامل في الرشد، رشد في الفكر وفي الحياة والعمل، وهي عامل لإثراء الحياة سواء في الجانب المادي أو في الجانب المعنوي، والرشد في أهداف الحياة وأخيراً إعداد مستلزمات حياة لائقة للأفراد.

وبالنتيجة: - إن التربية هي سبب رئيسي في التخلف والتقدم، فالتخلف التربوي يؤدي في ما بعد إلى التخلف الاقتصادي والسياسي، كما أن التقدم المادي أو المعنوي في التربية يفضي إلى تقدم مادي أو تقدم يحبه الله.

وتعتبر التربية صناعة يتمكن الأفراد في ظلها توجيه الأشياء والقضايا على أساس أهدافهم، فتكون أحوالهم وسلوكهم ذات أثر وتهيىء مستلزمات إصلاح الحياة. والتربية عامل للتجدد المستمر للحياة، وهي تؤثر في الكسب والجذب وفي الطرد والرفض. وإذا كان المجتمع يتمتع بقوة وأمن أو اضطراب وفوضى، فذلك ناجم عن التربية، فكثير من الأشخاص غارقون في مشاعرهم وقصر نظرهم ولا يتمكنون من الاعتماد على أنفسهم من أثر ضعف الإرادة الناجم عن ضعف التربية في المراسم والمسائل.

إن الاعتقاد بوجود هذه الفوائد والأهمية التي تضع على عاتق الوالدين مسؤولية عظيمة في هذا الصدد، ويجب فرض التربية على الأولاد من خلال الالفة والمحبة والنصيحة، وبنائهم وفق العقيدة المقبولة.

الفصل الثاني عشر

وظيفة التربـية

وُصِف الإنسان بأنه مخلوق لائق للوصول إلى مراتب الكمال وأن التربية هي وسيلة للوصول إلى هذا الهدف، وأما ما هي الوظائف التي تقع على عاتق التربية للسير نحو الهدف والنهاية، فيجب القول ان هناك وظيفتان أساسيتان: ١ ـ البناء والتشغيل ٢ ـ التخليص والتحرير.

وفي البناء يجب الاعتناء بمسألتين: البناء والإصلاح، وكلاهما عن طريق القيام بتغيير في الفرد، بهدف السير نحو الكمال وبلوغ السعادة، والغوص في التخليص هو إنقاذه من القيود والعناصر التي تكبّل الإنسان وتقف في طريق وصوله إلى السعادة والكمال.

إن العقائد الخرافية والقيود التي يقع في حبائلها الإنسان من حيث يدري أو لا يدري، كثيرة، فيتوقف عن الصعود والرقي، وكثيرة هي الصفات التي يعتبر وجودها ضرورة في الحياة الإنسانية كالشجاعة، العفو، الصدق والصفاء، الطهارة والأخلاق، الجرأة والشرف، وهي تزرع في المرء من خلال التربية وتُثبَّت جذورها.

وبالإمكان دراسة وظيفة التربية من زاويتين أُخريين: تعليم الإنسان، وتربيته.

في مجال التعليم: إن عمل التربية في هذا الإطار واسع ويشمل جميع المجالات التي يحتاجها الإنسان في الحياة الحاضرة وفي المستقبل، ونحن نعلم أن المرء يولد وهو يحمل نوعين من المعلومات الفطرية والغريزية، والتي إذا تجاهلناها فيجب القول انه لا يعلم شيئاً، فالمعلومات التي

يحتاجها يحصل عليها عن طريق تلقينات وتنبيهات الغير وتعليم المربين ومطالعة وتدبر الفرد نفسه، وما يقع على عاتق الوالدين والمربين باعتباره وظيفة تربوية، تعليم كثير الأنواع، منه:

١ ـ **التعليم في مجال العقيدة**: إن الصبي بحاجة إلى معلومات عن الدين، فعليه أن يعرف ما هو الدين؟ وما هي مسائله، وما هي مجالات تعليماته؟ وما هو الطريق الذي يقدمه للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمادية والمعنوية و. . . وما هي المعلومات التي يجب أن تكون لديه في هذا الصدد؟ وكيف يجب أن يجعل نفسه متلائماً معها؟

إن ما له صلة بالتعاليم الإسلامية هو أن عليه أن يعرف ما هي الأعمال والسلوك التي يحبها الله ولماذا يجب أن يسلك ذلك السلوك؟ أين يكمن رضى الله؟ ماذا عليه أن يعمل في أصول وفروع الدين وما هي المواقف التي يجب أن يتخذها وغير ذلك.

٢ ـ **تعليم الحدود والحقول**: نحن الاجتماعيون، وعلينا أن نعيش في المجتمع وبين الناس، والحياة الاجتماعية تابعة للنظام والقانون والحدود المعروفة، ويجب أن يتعرف الطفل على هذه القوانين والضوابط منذ البداية.

كما أن للناس مسؤولية تجاه بعضهم الآخر، وهناك حقوق وواجبات مع بعضهم البعض، وهي تختلف بين فرد وآخر. مثل حقوق الفرد تجاه نفسه، وتجاه خالقه وتجاه أمه وأبيه وزوجته وأولاده وجيرانه وأهل الكتاب و. . . وحدود كل منهم واضحة.

٣ ـ **تعليم الدفاع وإعداد الضروريات**: يحتاج الصبي أن يُربى مستقلاً وحراً بالشكل الذي يتمكن من تحمل مسؤولية حياته بنفسه في المستقبل القريب، فيوفر خبزه ومعيشته وما يحتاجه، ويدافع عن نفسه وعن كرامته وعن شرفه واعتباره.

ويجب أن يعلم الطفل كيف يبادر إلى السعي في طريق توفير المعاش، وما هو الهدف الأفضل الذي يجب وضعه في كسب الماديات، لماذا يعمل وإلى أي حد يضغط على نفسه في هذا الصدد؟ وفي أي طريق

يصرف حصيلة كسبه وسعيه، وإلى أي مستوى يكون مالكاً لدخله وثروته وبأي معيار وأي شكل يتصرف في ذلك الحق.

٤ ـ **تعليم فن التعلّم**: إن مسألة أن يعرف الصبي أي طريق يسلكه للتمكن من التعلم بأقل جهد هي مسألة هامة، وما هي الفنون التي يستخدمها حتى يتعلم بصورة أفضل، ويحول دون حصول أضرار؟ وكيف يستطيع أن يكون مربياً لنفسه، ويكتسب التجارب لإثراء معلوماته ومعرفته.

إن كثيراً من الأفراد يعملون سنين طويلة والنتيجة هي أنهم لا يعرفون كيف يضاعفون مهاراتهم وأي الطرق أسرع في التعلم ووظيفة التربية هي تعليم الأشخاص كيفية التفكير الحسن والتعلم الحسن.

٥ ـ **تعليم التراث**: ومن وظائف التربية تعليم علوم وأفكار وتقاليد المجتمع وشعائر الأديان والفنون والآداب وتاريخ الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وجعله يتمتع بطريقة استدلالية صحيحة، وتعليمه المنطق والأخلاق والمهارة و. . .

كما أن من الضروري تعليم الطفل ما له صلة بالحياة الراهنة والقادمة في هذا العالم وفي الآخرة ولا شك أن هذا التعليم يلحظ فيه مقتضى العمر والإدراك والفهم والخصائص الجنسية وحدود الشرع وحاجة الأفراد والمجتمع والجانب التاريخي، وعلى المربي الاهتمام بهذه المسائل.

في المجال التربوي: التربية هي عامل تغييري في الفرد من أجل سيره نحو الكمال وتلحظ في هذا الطريق مسألة نشوء ونمو جميع القوى الإنسانية، ومن وظائف التربية تنمية الجسم والروح والفكر والأخلاق، وعقل وقابليات الفرد، والتوازن بين حاجاته وتنظيم غرائزه وجعله صاحب قوة يستطيع على ضوئها التقدم وبناء نفسه من دون أي شعور بالضعف.

وتلحظ في هذا الصدد تنمية جميع الأبعاد الوجودية للإنسان وهي بشكل عام ثلاثة أبعاد (الجسم، الفكر والذهن، والروح) التي لا معنى لانفصالها عن بعضها الآخر.

١ ـ **الجسم**: قيل ان الجسم هو مركب الروح وأن تجلي العقل يقوم عليه، ويختلف ضعفه أو قوته في الحياة الفردية والاجتماعية، فالأجسام

المتمرسة والرشيدة تستطيع في ساحة تنازع البقاء على إنقاذ نفسها من المهالك والقيام بالوظيفة في محاربة الباطل.

والتربية موظفة ببناء بدن الإنسان وليس الغرض من هذا البناء إسقاط البدن بل ليكون وسيلة لحمل صفات الأخلاق والكمال والإنسانية.

ويتناول جزء من هذه الوظائف نضج وتنمية الحواس، لأنها نوافذ العقل، فعن طريقها يرى العقل والفكر، العالم وما فيه، وفي هذا الصدد تطرح مسألة تنمية العضلات، والتنسيق بين الأعضاء ورفع قوتها ومقاومتها ومعرفة طريقة المحافظة عليها من البلاء والأمراض والأخطار والآفات.

قسم آخر من وظائف التربية يهتم بتنمية وتوازن الغرائز وتعليم أعمالها بصورة صحيحة. ويتم التأكيد على أن لا تنضج الغرائز في الظرف الغير مناسب، وتعتبر تنميتها ضرورية من ناحية أنها أداة الحياة وسبب لبقاء النسل، والقضاء عليها أمر خلاف للعقل والشرع.

٢ ـ الذهن والعقل: لدينا وعي وأرضية لفهم وتفسير المسائل والأمور ومعرفة القبيح من الجميل والتحليل الناقد والتفكير بالعواقب وبُعد النظر و. . . ووجودها في الإنسان سبب لمنع الفرد من الوقوع في الخطر. والإنسان يحمل عقلاً، أي لديه وسيلة تحول دون قيامه بالأعمال الخاطئة.

إن وظيفة التربية هي تنمية ذهن الإنسان وعقله وتوفير مستلزمات الابتعاد عن خطر الانحراف، وعليه العمل من أجل مهارتها، وفتح نوافذ العقل لتنمية الذهن.

والتربية موظفة بتنمية العقل، لكون الإنسان مرتبط بقدرة العقل، فهو يميز الأشياء عن طريقه ويعرف الأمور من خلال الاستفادة منه ويحسّن علاقاته مع الغير ويدرك باطن الأمور بواسطة ظاهره.

وللتربية وظيفة توفير الطرق ذات العلاقة بالاكتشاف والتمييز واختيار الأجمل وتحليل المسائل ومحاكمة الرشد والتقوية الفكرية وإبداء الرأي والتفكير الحر وتنمية موجبات الدقة والمقارنة والاستدلال والبحث وبعد النظر.

٣ ـ النفس: وظيفة التربية تنمية الجوانب المتصلة بالنفس الإنسانية وتهيئة موجبات النضج والإدراك وتوجيه الرغبات والميول والإرادة والتفكير الحر والنزعة الاستقلالية في الإنسان وتربيته بالشكل الذي يكون مستعداً للتقدم في طريق الأهداف المدروسة في الحياة.

إن من وظائف التربية تنمية القابليات الفطرية في الأفراد والرغبة في التضحية والإيثار والعفو وغض الطرف والحلم والنصيحة والتفكير الصالح لدى الناس ودفعهم إلى كسب المعرفة والبحث وتوفير الشوق إلى العمل والسعي الهادف عند الأشخاص.

وقد أولت الأديان وخاصة الإسلام مسألة تنمية الروح اهتماماً كبيراً، لأن الروح تمثل وجود وقيمة الإنسان ومركز الذات البشرية وهي حارس لحياة وإرشاد الإنسان نحو الخير والنور. وعن طريقها يمكن الارتباط الحقيقي مع الله، والروح هي أشد قوة متصلة بحقائق الإنسان.

وترتبط بهذا البُعد من الحياة المسائل مثل البحث عن الحق وحب الحق وإقامة العدل والسيطرة على الأهواء وقبول الحكم والدين والعقل على الحياة والسيطرة على وجود وسلوك الإنسان من قبل الضمير والنفس اللوامة.

سائر الوظائف: لا تقتصر وظائف التربية على هذا المقدار، فجميع التغييرات التي تؤثر بشكل ما في سلوك ومصير الإنسان يجب أن تحصل من خلال التربية ومن بين هذه الوظائف رشد وتنمية جميع الأبعاد الوجودية، وكذلك إيجاد العادات المفيدة وروح الطباع الكريمة والجرأة والشهامة والابتعاد عن الانزجار والتملق، ثم تامل الحساسية تجاه الأمور الأخلاقية ويقظة الضمير الديني وتنمية الإرشاد نحو الصراط المستقيم وإقامة التوازن بين الأبعاد الوجودية والتلاؤم بين المادة والمعنى ورشد وتنمية الأمور الذوقية والفكرية، والاعتماد على النفس والخلاص من الخلافات وحب العلم والنظرة الواقعية والتوجيه نحو القيم السامية وأخيراً التمهيد للحصول على الزاد من أجل مواصلة الحياة في العالَمَيْن.

الفصل الثالث عشر

حدود الوظائف

التربية هي وسيلة لبناء الإنسان وإعداد الفرد للحياة. فإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن طول فترة هذه الحياة وفق ما أخبرت به الأديان، كثيرة جداً، وهي غير متناهية بالنسبة للآخرة ولو لحظنا هذا الاستعداد للمواجهة الشاملة مع المسائل وظواهرها، فسوف نذعن أن حدود وظائف التربية واسعة جداً.

إن وظيفة التربية هي تنمية أبعاد وجود الإنسان من جهة، وإعداده للارتباط المدروس مع العالم وما فيه، من جهة أخرى. وبالنظر إلى أن تنمية الأبعاد الوجودية للإنسان وإعداده، هو أمر اكتسابي وليس إلهامي، فلا بد لنا من اعتبار أن وظيفة التربية والمربي هي وظيفة واسعة وصعبة، ومسؤولية الوالدين والمربين كبيرة في هذا الصدد، من حيث أنه يجب أن يتحركوا في أبسط الأمور ذات العلاقة بحياة الطفل، من الطعام والشراب والنوم والاستراحة، حتى تنمية قابليات إدراك القيم وتحصيل الرغبات وتوجيه السلوك وتحريك ورشد الإرادة وتنمية ورشد الوعي والعقل وتنظيم العلاقات بشكل مدروس، ومواصلة العمل التربوي من دون اضطراب وعجلة.

وسوف نبحث حدود هذه الوظائف من زاويتين فقط مع مراعاة الاختصار:

أ ـ من زاوية العلاقات: يجب أن نرى في هذا القسم ما هي أنواع العلاقات التي لدى الإنسان في هذا العالم وما هي الضوابط التي عليه أن يلحظها في كل علاقة من تلك العلاقات وما هي وظيفة التربية في هذا الأمر؟ ومن خلال الدراسة والدقة في هذ الشأن ستتضح لنا نوع العلاقات:

١ ـ العلاقة مع نفسه: علاقة الإنسان مع نفسه تشكل جزءاً من علاقاته، والتربية مكلفة بجعل هذه العلاقات قائمة على أساس ضوابط معينة. وعلى التربية أن تسعى إلى بناء علاقات الإنسان بصورة حسنة. ودفعه إلى اكتشاف قابلياته ونضجه ورقيّه.

إن وظيفة التربية تنمية الإنسان بالشكل الذي يتحرك في طريق خيره وصلاحه وسعادته ويستفيد من الأرضية الموجودة لصالح تقدمه وتقدم مجتمعه، ولا يعرّض العقل لصدمة جسمية أو نفسية، ويبني فكره وعقيدته ويوجه عواطفه في طريق الخير ويُبعد عن نفسه الشر والفساد ويبادر لتخليص نفسه من القيود غير الصحيحة ويجعل نفسه في المجرى الصحيح الذي يحظى بتأييد الشرع.

٢ ـ العلاقة مع الخالق: خلق الإنسان من قبل الوجود المطلق، خلق من قبل الله ويعود إليه، ولهذا تسعى وترغب نفسه بالارتباط الدائمي مع الله، ومن مظاهر هذا الارتباط هو الرغبة في الخلود والوصول إلى اللانهاية والأبدية.

إن على التربية التمهيد للوصول الطبيعي للإنسان إلى هذه الأبدية، وجعل الفرد معتمداً على الله ومستعيناً برعايته وتمهيد طريق الحياة أمامه على أساس ضوابط الشرع، وربطه بالله بالصورة التي يرى فيها جميع القوى، ضعيفة، ويرى نفسه، قوياً. ويجب أن تعزز التربية الشعور الديني والاعتماد على الله، لدى الإنسان وتثير القلب ليرجع إلى الله في كل الأعمال والأمور، ويستشير قانون الله الأساسي والأبدي في كل أمر، وتُحيي في قلبه آثار الدين وتجعل الموعظة الإلهية مؤثرة في سمعه وتجعل عمله عقائدياً وتضفي على تصرفاته طابعاً دينياً.

٣ ـ العلاقة مع الناس: الإنسان كائن اجتماعي، فهو يعيش في المجتمع وبين الناس وباب علاقاته مفتوح أمام حشد كبير من البشر، ويختلف نوع هذه العلاقات من ناحية أنها أساسية أو غير أساسية، وفي علاقات الفرد الأساسية مع الغير نلاحظ ثلاثة نماذج في مجال الأسرة فقط وهي:

ـ علاقة المرأة والزوج التي تقوم على أساس المحبة والتشاور والأُنس والالفة والعفو وغض النظر والدفاع عن بعضهما الآخر والتعاون.

ـ علاقة الوالدين والأطفال في البيت ونوعها وفقاً لرؤى بعض العقائد والأديان، وخاصة الإسلام يتجسد في أربعة عشر صورة: علاقة الأم مع الزوج، الأب مع الابن، الابن مع الأب، الأب مع الأم، البنت مع الأب، الأم مع الابن، الابن مع الأم، الأب مع البنت، البنت مع الأم، الأخ مع الأخت، الأخت مع الأخت والأخ مع الأخ.

ـ علاقة الاخوة والأخوات خارج البيت وصورتها تختلف عما هي عليه في البيت.

وهناك فرق في الأساليب والضوابط في علاقة الناس مع بعضهم الآخر، على أساس دين الطرف المقابل، هل هو مسلم، أم من أهل الكتاب أم لا دين لديه. ومن العلاقات الأخرى، تطرح العلاقة مع الجار ومع أهل الكتاب ومع المشركين ومع المسؤولين في الدولة ومع المرؤوسين ومع المحارب ومع المنافق ومع المسكين ومع الأغنياء والأعيان ومع المعتدين ومع أهل العلم ومع الصديق ومع العدو، حيث يجب أن تعيّن التربية ضوابطها وتربي الأفراد على ذلك الأساس. كما أن هناك علاقات أخرى في إطار الرابطة مع الأقرباء وأفراد الأسرة والأقرباء مثل العم والعمة والخال والخالة وأبناءهم، والعلاقة مع أب الزوجة وأمها وأب الزوج وأمه وأقربائهما ولكل منها ضوابط.

٤ ـ **العلاقة مع الأرض**: والمقصود في ذلك الجبال والسهول والبحار المعادن والحجر وسائر المواد. والتربية يجب أن تعلم الصبي طريقة إعمار الأرض للاستفادة منها وتهيئة حاجات الحياة، وتعليمه كيفية تنقيبها والأداة التي يستخدمها للانتفاع من ذلك له وللمجتمع.

وفي الأرض معادن متنوعة من الجمادات والسوائل، وكل منها تستخدم بشكل من الأشكال في إثراء الحياة وتوفيرّ وسائل الحياة والدفاع، وفيها وسائل المعيشة والزينة والمعادن الثمينة، والتربية يجب أن تعلم المرء كيفية الاستفادة منها.

وثمة قسم كبير من المصادر الغذائية والجمالية موجود في البحار، وعلى التربية أن تعلم الأشخاص طريقة الاستفادة منها، وتعليمهم كيف يمكن الاستفادة من مياه البحار في المواصلات.

٥ ـ **العلاقة مع النباتات والأشجار**: وللتربية وظيفتان في هذا الصدد على الأقل، أحدهما تعليم طريقة الاستفادة منها لتنمية وتوسيع وسائل المعيشة وتنوع التغذية والاستخدام الطبي للإنسان والحيوان، والأخرى تعليم الأفراد كيفية إكثارها لسد النقص الموجود.

وللنباتات تأثير كثير في تغيير الماء والهواء وفي جمال البيئة، والأشجار مفيدة في طهارة وسلامة البيئة وجمال المنطقة للإنسان. ونحن نستخدم أخشابها وأوراقها وثمارها في جميع مراحل الحياة.

إن التربية تعلم الأشخاص طريق الاستعمال العقلاني لهذه المواد والثروات وتعلمهم أن لا يسرفوا في ذلك ويلحظوا حصة الأجيال الأخرى أيضاً، وأن يقوموا بتكثيرها وإن كانوا في أصعب الظروف.

٦ ـ **العلاقة مع الحيوانات**: يحتاج الإنسان إلى الحيوانات حاجات متنوعة، فهو يستفيد من وجودها للطعام وللنقل والحمل واللباس، وبعض الحيوانات كالوحوش والحشرات والديدان، ليس لها دور في حياتنا حسب الظاهر، إلا أن التربية تتمكن من دفع الإنسان إلى النظر إليها برؤية أعمق ومعرفة الفوائد والآثار الناجمة عنها والمنافع المترتبة عليها من جوانب متنوعة.

ومن وظائف التربية تعريف الأفراد بحقوق الحيوانات وإفهامهم وظائفهم تجاه ما يستفيدونه منها، والأسس التي عليهم مراعاتها، والمسائل التي يجب أن يلحظونها في تقديم الطعام والرقابات الأخرى، وعلى التربية أيضاً منع الناس من إيذاء الحيوانات وأنه لا يحق لهم ذلك، وتعليمهم أنواع الانتفاع والاستخدام المعقول وأن يهتموا بتكثير النسل لتستفيد الأجيال الأخرى.

٧ ـ **العلاقة مع سائر الكائنات**: والتربية موظفة أن تعرّف الإنسان بسائر

الكائنات الموجودة في هذه الأرض وفي الكرات الأخرى التي يمكن الوصول إليها وتمهد له الانتفاع منها.

وقد ورد في القرآن كلام عن تسخير الشمس والسماء والأرض والجبال والبحار وكل ما في الأرض والسماء، للإنسان، ويجب أن توجه التربية، بني آدم نحو الاستفادة منها باستخدام الطاقة والقدرة وكذلك العوامل التي لدى الناس وتعمل عن هذا الطريق على إثراء الثقافة الإنسانية. ويكون التأكيد في كل الأحوال على أن تكون النظرة الودية للطبيعة أساساً في التربية.

ب ـ من حيث جوانب الحياة: يواجه الإنسان في مسير الحياة حقائق متنوعة، ومن الضروري أن يتخذ موقفاً خاصاً تجاهها. فنحن نواجه في مجرى حياتنا الاجتماعية، حقائق سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، وعلى التربية أن تعلمنا كيف نتخذ المواقف تجاه هذه الأمور والمسائل.

١ ـ من الناحية السياسية: وظيفة التربية هي تعليم أفراد المجتمع لتوعيتهم بالتيارات السياسية واتخاذ المواقف الحسنة في تلك المجالات. ويجب أن تبني التربية الإنسان لائقاً لامتلاك تبعية لجهة لائقة وإقامة علاقات متبادلة مع الهيئة الحاكمة وتعليمه العادات والتقاليد والتحزب والتنظيم، وتربيته موالياً للحق والعدل وطالباً للحرية والتحرر. وتعليمه فنون وطرق الدفاع والجهاد وجعله فرداً متحركاً وساعياً في خدمة الناس على المستوى الوطني، وبنائه إنساناً متحداً ومتعاوناً مع سائر الناس، على المستوى الدولي وذلك بشرط الوحدة في العقيدة. وتربيته محباً للخير ومُعيناً في طريق التعايش السلمي. وتوعيته بعالم السياسة وبالتيارات الموجودة في مجتمعنا والمجتمعات الأخرى. وصياغته عضواً مفيداً في المجتمع.

٢ ـ من الناحية الاجتماعية: للتربية وظيفة بناء الحالة الاجتماعية لدى الأفراد، لا بمعنى التسليم للمجتمع في كل الأحوال بل بهدف أن يعيش مع المجتمع ويسعى مواصلة الحياة على أساس الأهداف الاجتماعية والإنسانية وطبقاً للأسلوب الذي يرضاه الله، ويوجه الغير أيضاً على ذلك الأساس.

إن بعض وظائف التربية له علاقة ببناء أخلاق مدروسة في الأفراد بحيث تنفذ في حياته العملية ويكون الفرد متلائماً، لا أن يكون مُسالِماً من

دون حساب، تربطه مع المؤمنين علاقة أخوية، ويكون صميمياً وفي صلح وصفاء مع سائر الأفراد لكونهم متماثلون في الخلق. ولا نعني أن يكون كبضاعة مشتراة، بل يعيش في المجتمع على أساس الأهداف المرسومة، سواء قُبِل في المجتمع أو طُرِد. ولا شك أن الوالدين والمربين يجب أن يكونوا اسوة عملية في وصوله إلى هذا الهدف ويتعلم منهم الطريق والنهج أكثر من غيرهم.

٣ ـ **من الناحية الاقتصادية**: للإنسان وظيفة تعلّم كيفية توفير المعاش ومعرفة عمل ما وفن ما. وأن يتعلم عملاً من الأعمال ومسؤولية ما، ويتمرّن على تهيئة الطعام والمعيشة، ويتحمل مسؤولية ويبذل كل جهده وسعيه في القيام بها.

وعلى التربية أن توضح أي عمل وحرفة يرغبها المرء؟ وهل بإمكانه كسب مهارة في هذا المجال؟ وكيف هو ذوقه في هذا الطريق؟ وهل يمكن أن تكون رغبته في حالة القيام بها، خطوة في طريق رفع حاجة البلد؟ وفي المجال الاقتصادي، على التربية أن تعلم الأفراد فن الحصول على الأموال، من ناحية وفن صرفها والمحافظة عليها من ناحية أخرى، وهو أمر مهم، في أن يتمكن الإنسان النجاح في هذا الصدد.

٤ ـ **من الناحية الثقافية**: وظيفة التربية تعريف الأفراد بأسرار الحياة الفردية والجسمية وكذلك الكائنات التي تحيط به، وتعليمهم طريقة المعيشة، وتضع تحت تصرفهم فلسفة صحيحة للمعيشة وتوعّيهم بالعوارض والانحرافات التي يصاب بها الأشخاص الجاهلون.

وعلى التربية تعريف الأطفال بالعالم المتفاوت للمرأة والرجل، وتعليمهم طريقة العيش الجيد وإنضاج الميول الصحيحة فيهم، وتوعيتهم بظروف الحياة ومراحل فترة الرشد وتعريفهم بالبيئة ووضع تجارب ووعي الغير وتراث الجيل الماضي تحت تصرفهم.

ومن وظائف التربية دفع الفرد إلى تقييم التراث الثقافي وتعليمه طريقة إنضاج وإثراء الثقافة ودراسة القيم والآداب والعادات والأهداف وتوجيه ميوله وأمنياته في طريق سعادة الفرد والمجتمع.

والخلاصة:

والخلاصة أن وظيفة التربية توفير الأرضية لرفع الحاجات الشرعية والأساسية للفرد وتعريفه بالبيئة وما فيها، ودفع الإنسان إلى تعزيز وضعه ومكانته والأخذ بنظر الاعتبار الوجوه المشتركة للتواريخ والحضارات، وإبداء رأيه وعقيدته، مع احترام أفكار وعقائد الغير.

وللتربية وظيفة جعل الحياة قائمة على أساس التعاون والتكافل والتضامن الاجتماعي وتعليم الإنسان كيفية العلاقة والمؤانسة مع الصالحين، وتوعية أهل الأعمال السيئة، بأعمالهم المذمومة، وحب الخير لمخلوقات الله. وحثه على السعي الذي تكون حصيلته ارتباط الأفكار ووحدة والفة الناس والمحافظة على المصالح المشتركة وحب الخير لبعضهم الآخر.

القسم الخامس

عناصر التربـية

هناك ثلاثة عناصر تؤثر في بناء الإنسان وهي الوراثة والبيئة والفكر والتفكير الشخصي والقرارات الناجمة عنه، والمقصود من الوراثة هي الخصائص والصفات والشروط التي ينقلها الوالدين والأجداد إلى الإنسان مثل الشكل والحجم ولون الجلد والقبح والجمال وهيئة الهيكل العظمي والذكاء والغرائز وبعض الأمراض والخُلق والطبع الذي يكون على شكل ملكة في الإنسان وغيرها.

نعني بالبيئة مجموعة الظروف والعناصر التي تؤثر في الأشخاص كعنصر الغذاء والدواء والثقافة والأخلاق والعناصر الطبيعية كالضوء والحرارة والصوت، والعناصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والظروف الطبيعية والجغرافية و. . .

والمقصود من التفكير الشخصي، هي المحاسبات والقرارات الصائبة أو غير الصائبة لنفس الشخص والتي تؤدي إلى حصول تغيير إيجابي أو سلبي في الإنسان، ومصادرنا الفكرية، سواء كانت ناجمة عن تدربنا وتفكيرنا أو تفكير الغير فإنها تسبب ظهور تحولات في سلوكنا.

ومجموع ما ورد ذكره تعد عاملاً وسبباً لبناء الإنسان، ويمكن تقسيمها إلى قسمين، عوامل إنسانية وغير إنسانية، وفي هذا القسم سوف نشير إلى جوانبها وأبعادها، وفي فصل آخر سنتحدث عن شروط ونجاح العوامل الإنسانية في التربية وكيفية الاستفادة من العوامل غير الإنسانية في التربية.

الفصل الرابع عشر

العوامل الإنسانية في التربية

الناس هم بُناة مجتمعنا في المرحلة الأولى، أي الآباء والأمهات والمربين والمعلم والمدير والأخ والأخت والأقرباء والأصدقاء والأصحاب وقادة المجتمع وسائر أفراد المجتمع.

ويختلف نوع التربية باختلاف الأفكار والعقائد وهل المتعلمين يؤيدون الدين أم يعارضونه؟ وهل يتبعون العصبيات والتقليد الأعمى أم لا؟ وما هو مستوى فكرهم وثقافتهم، وما هي الضوابط والقانون الذي يعملون على أساسه، وما هو الفكر والفلسفة التي يعتقدون بها، وسوف نتناول شرح هذه العوامل وفقاً لجوانب وأبعاد المسألة.

١ ـ **الأسرة**: يتأثر الصبي بأسرته، والأسرة قد تبني الطفل وقد تهدمه، ومحيط الأسرة شبيه بالجامعة التي قد تدرس فيها دروس الإنسانية والأخلاق أو ما يعاكسها، ويعتبر عنصر العائلة مصيري للصبي.

وعندما يطرح حديث الأسرة يتبادر إلى الذهن والد الطفل، فهو يتعلم من الأم درس الحياة والحب والمحبة، ومن الأب درس القوة والانضباط وكيفية التعامل مع مسائل الحياة الاجتماعية.

وبالإمكان دراسة دور الوالدين تجاه الابن من جهتين: من جهة الوراثة التي ينتقل من خلالها إلى الطفل لون البدن والهيكل العظمي وكثير من الأخلاق والطباع والأمراض، والأخرى هي البيئة التي يتعلم الصبي بواسطتها نمط الفكر والآداب والسلوك وكيفية النطق والمعاشرة، وعند دراسة مستوى دور وتأثير ونفوذ الوالدين يجب أن نتكلم أكثر عن دور المهم

الأكثر أهمية من دور الأب، لأن أساس تصرف الطفل وخُلُقه وطبعه وأرضية معارفه تتأثر بالأم.

دور الأم: لكل من الأم والأب دور ونفوذ وراثي في الطفل، إلا أن هناك فرق في أن العلاقة الوراثية بين الأب والابن تنتهي بعد انتقال النطفة، بينما العلاقة الوراثية بين الأم والابن تستمر بعد انتقال النطفة في فترة الحمل وبعدها، أي في جميع المدة التي يتغذى خلالها الصبي من ثدي الأم.

وفي البيئة يجب أن نذكر بأن الأب والأم لهما دور وتأثير بيئي مشترك في الطفل، ولكن مع ذلك يمكن القول ان دور الأم في هذه الأرضية أكثر تأثيراً، وذلك لأن الطفل:

- يعيش فترة ٩ شهور في رحم الأم، وفي ذلك المكان يتبلور شكله ويكون تحت تأثير ظروف كيماوية وغذائية.

- يقضي الصبي مدة عامين في حضن أمه أو إلى جانبها بعد ولادته، ويتعلم منها المشي والتكلم.

- يعيش في الأسرة وإلى جانب الأم حتى بلوغه سنين الدراسة، فيتلقى منها درس الحياة، ويتعرف على مسائل الحياة.

- والأم بعد ذلك هي محل أسرار الطفل والجهة التي يراجعها ويلوذ بها.

- وعلى أي حال فإن الأم هي نموذج لفترة طفولة الصبي. وفي ظلها يتحرك ويتعرف على ما يحيط به ويميز الأشياء الحسنة والسيئة، المفيدة والضارة، ويتعرف على العالم.

دور الأب: دور الأب مع الطفل دور وراثي ودور بيئي، فهو ينقل إلى الطفل آثار له ولأجداده على شكل غرائز وجواذب أولية، كما أنه يسيطر على سلوك الطفل بسبب موقعه الظريف، ويبلوره.

وللأب دور الآمر في البيت ومظهر للقانون والعدل والانضباط. وهو يقدر على ضمان الأمن في حالات الخوف واليأس والحرمان ويعطي الصبي جرأة. وفي نفس الوقت فإن كثيراً من العصيان والانحرافات عند الاطفال

ناجمة عن حالات الغضب وإثارة الرعب والظلم التي يقوم بها الأب. وتؤدي الإهانات والضعف في الإدارة لدى الأب إلى ظهور آثار غير مطلوبة في الطفل.

٢ ـ **أعضاء الأسرة**: الأب والأم يعتبران النواة الأساسية للعائلة، فهما في تماس دائم مع الأبناء، ولهما علاقة وراثية مع الطفل بالإضافة إلى الدور البيئي، وفي نفس الوقت لا يمكن التغافل عن دور وتأثير الاخوة والأخوات في البيت، خاصة إذا كان للطفل أخ أو أخت كبيرة، والفرق بين عمرهما كبير.

ويلاحظ أن البيوت التي فيها أولاد شباب أو أشبال، ويولد فيها أطفال جدد، فإن الأخت الكبيرة تلعب دور الأم مع الصبي ويلعب الأخ الكبير دور الأب. ولكي يأمن الطفل من شرّهما خاصة في حالة غفلة الوالدين عن مراقبته وتأمينه، يعمل على تطبيق تصرفاته وفقاً لما يريدانه.

ومن الضروري الإشارة إلى أن وجود أخ أو أخت للطفل يساعد في استقرار العلاقات بين الفرد والمجتمع، ويصبح التعامل أكثر نظماً ويرتفع الخطر أكثر في حالة سيطرة الوالدين. ويجب أن تحصل المسائل الأساسية في التربية والأمر والنهي من قبل الوالدين عادة. ويكون الأخ والأخت منفذان لآراء الوالدين.

ومن ناحية أخرى يجب الالتفات إلى مسألة أن وجود طفل واحد للوالدين في الأسرة يعتبر حالة ناقصة، وأغلب الأبناء الوحيدين في العوائل غير سعداء، لعدم وجود التوازن فيها، ووجود الطفل الثاني في البيت يسد هذا النقص.

وعلى أي حال فإن الأولاد يشكلون في المنزل جمعاً صغيراً، وهم يقيمون النظم مع كل ما يحصل من مخاصمات وضجيج لهم، وقد يؤدي التهاون في الرقابة إلى ظهور عيوب في الأسرة ليس فيها صلاح الأبناء.

٣ ـ **الأقرباء**: وهم الذين يقعون في الدرجة الثانية من الأهمية من حيث العلاقات والتأثيرات البيئية مثل الجد والجدة والعم والخالة والخال وأبناءهم وكذلك الأصدقاء والمعارف الذين يُعدون في مستوى الأقارب من ناحية درجة الاتصال والعلاقات.

إن تأثيرهم ودورهم في التربية ليس شيئاً قليلاً، فكثير من الأطفال يتأثرون بأقاربهم، فيصلحون أو يفسدون، ونوعية التعامل واتصالهم مع الصبي يمكن أن يكون مصيرياً في بعض الأحيان. وقد تكون العلاقات بين الأسر وأقاربها وذويها مفتوحة أو مغلقة وذلك على أساس الحرية في العلاقات، فالأسرة المنفتحة هي التي لا تعتقد بالقيود والحدود في علاقاتها مع الغير، والأسرة المنغلقة هي التي تقوم روابطها مع الأقرباء والمعارف على أساس معيار. وتمتاز العائلة المنفتحة بأن الطفل يطلع على ثقافات متنوعة ويتقبل أخلاق وشمائل متفاوتة، ولكن فيها هذا الضعف وهو أن بالإمكان أن تنتقل إليه تربية سيئة.

وتمتاز العائلة المغلقة بأن الصبي تحت تصرف الأسرة تماماً ويتأثر بطريقتها، ولكن فيها نقص وهو أن الطفل يتربى وهو يحمل رؤية محددة ولا يتعلم غير الرؤية المحددة للأسرة.

٤ ـ **مجموعة الزملاء**: وهم الذين يصادقهم الطفل ويعاشرهم. فيشكلون كتلة اجتماعية، وتؤثر كثيراً علاقات الصبي مع الأصدقاء، خاصة أنه يستمع بأذن صاغية لأصدقائه في بعض المراحل ويكون أصدقاء الطفل عادة من أصحاب النفوذ، وتؤثر تظاهراتهم ووجهات نظرهم ونمط أفكارهم وسلوكهم، وحتى أن بعض الانحرافات التي تحصل لبعضهم من حيث المنشأ هي بشكل وصورة بحيث أنهم يتمنون لو أنهم لم يختاروا فلاناً صديقاً.

ودور هذه المجموعة أكثر حتى من دور الأم والأب وذلك في ثلاث حالات:

ـ في حالة انتقال الأسرة إلى بيئة جديدة، ففي هذه الحالة، يتعرف الطفل على صبيان المنطقة الجديدة وثقافتهم ويقبل بخصالهم، وذلك بسبب الرغبة القوية في اللعب والصداقة.

ـ في مرحلة البلوغ والفتوة، والتي تحصل فيها حالة تبادل الأسرار والمحافظة على الأسرار مع الأصدقاء المساوين له في العمر، والصداقات القوية والعداوات القوية، إذ يكونوا متأثرين بشدة بأصدقائهم، فيرتدون الموديلات ويلعبون الأدوار التي يحبها الأصدقاء.

ـ في الحالة التي تكون فيها العائلة مشتتة وغير منظمة، فيشعر الطفل أن الأسرة ليست ملاذاً يمكن الوثوق به، فيلجأ إلى الأصدقاء ويطلب مساعدتهم. ونقصد بالأسرة المضطربة أنها الأسرة التي يكون فيها الطفل يتيماً، لفقدانه أبيه أو أمه.

ـ في حالة انفصال الوالدين عن بعضهما، فيكون الصبي تحت إشراف زوج الأم أو زوجة الأب أو الأقرباء.

ـ عندما يكون الأب والأم في حال نزاع.

فالوالدين هنا أحياء، إلا أن درجة غيبتهم عن الطفل هي إلى حد بحيث يمكن اعتبار الصبي بمنزلة اليتيم.

٥ ـ **المعلم وأعضاء المدرسة**: إن دور المعلم في بناء أو هدم البناء الأخلاقي للأطفال، كبير، فالأطفال يتأثرون بمعلميهم قليلاً أو كثيراً. وحتى أن بعض المؤرخين يلقون التقصير على عاتق المربين والمعلمين بشأن سقوط أو انحطاط المجتمع، وقد ذكروا أن سقوط المسلمين في الأندلس كان بسبب تربية الأطفال على أيدي مربين مسيحيين ومعلمين مسلمين في الظاهر وكذلك دراسة الأطفال في المدارس المسيحية، والصبي يتأثر بالمعلم من خلال طريقة عمله وكيفية القيام بانضباطه ونمط تعامله مع التلاميذ وقدرته في الجذب والدفع وكيفية تلقّي الطلاب منه، وتشجيعه وتوبيخه... والوضع بهذا الشكل بالنسبة لتأثر التلميذ بالمدير وناظم المدرسة والمسؤول التربوي والمستخدم والخادم وجميع الأشخاص الذين يمارسون بشأنه دور مجموعة الضغط، حيث ان كثيراً من الأطفال يتعلمون منهم الطباع والسلوك. ويفرغون العُقد الناجمة عن ضغوط أولئك على اخوتهم وأخواتهم أو على سائر أفراد المجتمع.

٦ ـ **قادة المجتمع**: وهم الذين يقومون بدور الضغط في الجانب المادي للمجتمع والذين يقومون بإعطاء الأوامر والنهي والأمر ومن هؤلاء يمكن أن نذكر الشرطة، المأمورين الاجتماعيين، الروحانيين وسائر الأشخاص من هذا القبيل، حيث يؤثر في الأطفال كيفية عمل الشرطة مع المعتدين وكيفية سلوك الروحاني في المجتمع، وما هو الأساس والمعيار

الذي يقوم عليه الأمر والنهي في المجتمع وأخيراً نوع السلوك والموقف الذي يتخذونه في المجتمع.

وحول القادة الدينيين يجب القول ان دورهم في المجتمع الديني هو أكثر من غيرهم، فالأفراد ينظمون عملهم وموقفهم على ذلك الأساس. وكما أن أمرهم ونهيهم يؤثر في الآخرين، فإن سوء سلوكهم يكون له أثر سلبي بنفس الدرجة. والتأثر بهم له جنبة عملية في الغالب، لأن الإنسان يتقبل ذلك تحت تأثير منطقهم وبعد القبول الفكري.

٧ ـ **سائر الأفراد**: يحتل الشكل التلقائي جزءاً كبيراً من التربية، بمعنى أن الفرد يتعلم ما في المجتمع من دون أي حساب وكتاب ويطبقه في الحياة. فالناس إذا كانوا متقين في حياتهم، فإن الآخرين يتأسون بهم ويكونوا مثلهم، وإذا كانت البيئة رذيلة، فسوف يسلك الآخرون نفس ذلك السلوك.

فالصبيان يتأثرون حين يكونوا في مجتمع المهرجين، وفي مجتمع الفنانين والواعين يسير الأطفال في طريقهم، وعلى هذا فبالإمكان القول ان الشخصية الأساسية لكل فرد هي عبارة عن مجموع الصفات التي توجد لدى أكثرية أفراد المجتمع والتي تميز ذلك المجتمع عن المجتمعات الأخرى. وعلى أي حال فإنه ليس ممكناً تجاهل دور المجتمع، فيتأسى أبناؤبنا بالبقال والعطار والخباز الحمال والعابر. . .، وكثير من الطروحات والخطط يرسمها الوالدان في مجال التربية، ولكن المجتمع يفسدها ويزيلها.

٨ ـ **الفرد نفسه**: لا يُبنى الناس دائماً من قبل الآخرين، فأحياناً يمارس الإنسان بناءَه لنفسه وتربيته لها عن طريق التدبر والتأمل والتفكر، فيغير سلوكه وحالاته، وهذه التربية أكثر تأثيراً وأكثر نفاذاً.

وعلى أثر الفعل والانفعالات التي تحصل ينجح المرء في كسب التجارب والمعلومات في مجال الطريقة المستخدمة في المستقبل، فيسعى إلى بناء نفسه وتوجيهها على ذلك الأساس، ويبذل الجهود للقيام بالعمل على ضوء الوعي والإيمان والاعتماد على صلاح العمل وخلوصه ويسعى لإشباع حاجات الحياة والقبول والتغيير في جميع الأبعاد الوجودية. ويؤكد

الإسلام على السعي الأكثر لتطبيق هذه التربية، لأن العمل والسعي في ظلها يكون أنفذ وتكون الحاجة إلى سعي المربي أقل، ولا يلزمه الا هاد وموجه حتى لا ينحرف عن هذا الطريق.

وأخيراً: إن العوامل المذكورة تحصل عن طريق حصول الفكر والفلسفة والفن والأدب والآداب والرسوم والشعائر والمناسك والعلم والعقيدة والرؤية الكونية وبعد النظر، وتحصل من خلال قبول هذه الأبعاد من العقيدة والدين، والبيئة والطريقة والسلوك التي تبني الفرد. وهذه هي العوامل الإنسانية في التربية، وأما الشروط اللازمة لنجاح العمل التربوي، فسوف نذكرها في فصل آخر قريباً.

الفصل الخامس عشر

العوامل غير الإنسانـية فـي التربـية

هناك مئات العوامل والحوادث التي تؤثر في الطفل في الوقت الراهن. وكثير منها يؤثر بشكل متعمد، وبعضها بصورة غير متعمدة، فثمة عوامل تقدم بتغييرات في الإنسان، في حين ان هناك عوامل تؤثر فيه شاء أم أبى.

وقد قسمنا هذه العوامل في هذا البحث إلى قسمين، إنسانية وغير إنسانية، ولكن يجب القول ان غرضنا من هذا التقسيم هو مجرد ترتيب لدراسة المسألة وليس التأكيد على الجانب الإنساني أو غير الإنساني. وهناك بين العوامل والحوادث غير الإنسانية توجد جوانب ناجمة عن الإنسان نفسه مثل برامج ومسائل الإعلام والمجلات والجرائد، ولعله كان من الأفضل أن نبحث جميع العوامل البناءة أو الهدامة لحياة الإنسان، إلا أن هذا الأمر لا ينسجم مع النظم الكلاسيكي لمضمون هذا الكتاب.

وعلى أي حال، فإن ثمة عوامل كثيرة غير التي طرحناها في الفصل السابق، وهي تؤثر فينا بشكل إرادي وواعي أو على العكس من ذلك. وجميع ما هي في داخل وجودنا أو خارجه تؤثر فينا ولا بد لنا من حسابها من أجل السيطرة عليها وعلى أنفسنا تجنباً للآثار السيئة.

العوامل المؤثرة في التربية:

وهي عوامل كثيرة وتشمل في الحقيقة جميع الأمور والمسائل التي تدخل تحت عنوان البيئة (الداخلية والخارجية) وتحركنا فيها، وفي ما يلي طرح ودراسة لكل واحدة منها مع مراعاة الاختصار:

١ ـ **العوامل الإنسانية**: وهي الوالدين والمجتمع والمعلم والمدير والمستخدم والقادة الاجتماعيين ورؤساء ومدراء المؤسسات والدوائر والأصدقاء و. . . وقد تقدم ذكرها.

٢ ـ **العوامل العقلانية**: كثيرة هي الانتصارات أو الانكسارات التي تحصل في حياة الإنسان، والتي هي حصيلة عقل وذكاء الإنسان. إن قلة أو زيادة الذكاء مؤثرة في الإنسان ولا يستطيع المرء تجنب عوارضها أو تأثيراتها بشكل مطلق.

والأفكار الناجمة عن عقل الإنسان لها دور وتأثير استثنائي فيه، فهي تحدد له مسير الحياة وتكون سبباً لاختيار طريق الخير أو الشر، والأعمال قبل أن تأخذ شكلاً خارجياً فإنه يُخطط لها عن طريق الفكر، وتُرسم في الذهن خريطة كيفية العمل.

إن الفلسفة التي تسود في حياتنا، تؤثر بشكل غير اعتيادي فينا وفي حياتنا، وإن كون رؤيتنا وفلسفتنا إيجابية أو سلبية، فنرى العالم من خلال النظارة أحمراً أو أسوداً أو بلا لون، لها تأثير في حالاتنا وفينا بالتأكيد، ويمتد شعاع هذا الأثر إلى الآخرين أيضاً.

٣ ـ **العوامل النفسية**: كثيرة هي أهداف وآمال الإنسان وعلائقه وأفكاره، وكثيرة هي الأهداف البعيدة أو القريبة التي يفكر المرء على أساسها بنظرة قصيرة أو بعيدة، أو يكون جاداً أو متهاوناً. وكثيرة هي الرغبات والآمال التي تجعلنا أسرى لها ومحدودين بها، وقد تؤدي شدتها وحدّتها إلى أسرنا.

إن الرؤية التي لدينا والناتجة طبعاً عن تلقينات الآخرين وتجاربنا العملية تسبب في اتجاهنا إلى العمل الحسن أو غير المقبول، واهتمامنا بتكامل أنفسنا، أو العمل على تدمير بناء حياتنا وحياة الغير.

وتؤثر الأماني والرغبات التي لدينا بشكل من الأشكال، وما أكثر الآمال البعيدة والأحلام التي تجعلنا عبيد لها، وتؤدي بالإنسان إلى التخلي عن الأخلاق والإنسانية من أجل الوصول إليها، وقد ينسى حتى عقيدته وشرفه. إن المناظر والمشاهد التي نلاحظها تسبب أحياناً الاستقطاب وتوفر

مستلزمات رغبتنا أو كراهيتنا، وبشكل عام تؤثر في تصرفاتنا وحالاتنا.

٤ ـ **العوامل العاطفية**: يحمل الناس عواطف ومشاعر ويتأثرون بمتعلقاتها بشدة. ونحن نتأثر بعوامل مثل الحب والحقد والانتقام والخوف والاضطراب والوسوسة والتخاصم والصداقة واللذة والألم والفرح والحزن و. . .

والعواطف تثير الدفء في حياتنا وتدفعنا إلى الرغبة في مواصلة الحياة أو الهرب منها. والعاطفة العائلية تسبب حصول تعاون وتكافل في الحياة العائلية، في حالة وجود محبة بين الزوجين ومحبة تجاه الأبناء وانضباط سائد في البيت، وفي مناخ العائلة. وتوفر مستلزمات استمرار وبقاء النسل وحصول السكون والهدوء.

وحالة التعصب التي تحصل في الإنسان تسبب وقوف المرء أمام الشيء غير المناسب، والدفاع عن نفسه وكرامته، وإبعاد العدو عن نفسه. والخوف يؤدي إلى ابتعاد الإنسان عن الخطر والتقدم باحتياط.

٥ ـ **العوامل الباطنية**: وفي هذا الصدد نذكر أسماء العوامل ذات الصلة بالمحيط الداخلي للإنسان وأهمها الوراثة والغدد والغرائز والفطرة وضغط الدم ودقات القلب و. . . تختلف خاصية تصرفاتنا باختلاف كيفية الوراثة والخصائص التي نرثها عن الآباء والأجداد، وينتقل عن طريق الوراثة اللون والشكل والطبع والذكاء وحتى بعض الأمراض ونقاط الضعف الوراثي، والتي قد تكون لها آثار إيجابية أو سلبية. كما يؤثر نمط عمل الغدد ودرجة ترشحها، في شمائلنا وسلوكنا وفي هدوئنا واضطرابنا، وفي قلة أو قوة ذكائنا وفي رشده وتوقفه، وكثير من النواقص ونقاط الضعف التي تؤدي إلى حصول خلل في التصرفات، ناجمة عن الغدد.

والغرائز تؤثر فينا، فغريزة الجوع والعطش والغريزة الجنسية، وغريزة الأمومة وغريزة البحث والغضب، وغيرها، لها تأثير في سلوكنا ومواقفنا.

وهكذا الحال بالنسبة لسائر الجوانب الفطرية والداخلية لدى الإنسان، فضغط الدم من حيث القلة والارتفاع مثلاً ودقات القلب من حيث السرعة أو البطء، تؤثر في تصرفاتنا وحالاتنا، رغم أنها عارضة ذات صلة بالخَلقة.

٦ ـ **العوامل الغذائية**: للطعام تأثير غير عادي في الحياة العقلانية والسلوكية والخلقية للإنسان، وكما يقول علماء التغذية: قل أولاً ماذا تأكل، حتى أقول من أنت، وبعبارة أخرى أن الغذاء يؤثر في خلقنا وطباعنا.

وقد ورد اهتمام كثير بهذه المسألة في نظام الحياة الإسلامية، ولو تأملنا جيداً في حلية وحرمة الأغذية وفي استحبابها وكراهيتها لاكتشفنا أسراراً.

إن عامل التغذية يمكنه التأثير في نمو أو ضعف الذكاء والخلايا المخية، كما أن سوء التغذية يؤدي إلى هبوط مستوى العمل وحتى الدراسة.

وعن طريق الطعام يمكن العمل على إضعاف المحبة والرأفة أو تقويتها من خلال (   ) وترقيق العاطفة أو قساوتها، ويؤثر فينا الماء والخبز واللحم وأنواعها، والفيتامينات والخضروات وحتى أنه كان يوضع لحم قطط في طعام إحدى الفئات المحاربة في أحد العصور القديمة، من أجل أن تنمو فيها طباع العصابات والوحشية والمقاومة والهجوم.

٧ ـ **العوامل الجغرافية**: يتخذ الإنسان حالات وكيفيات مختلفة باختلاف الظروف الجغرافية، ويأخذ عبرة من عواملها، فيؤثر فيه الجبل والسهل والصحراء والغابة والمنخفض والمرتفع والوفرة وعدم الوفرة.

والإنسان أكثر مقاومة وأشد في البيئة الجبلية، أما في البيئة السهلية فهو أكثر هدوءاً وأقل تحركاً. فأهالي البيئة الجبلية لديهم تحرك خاص بسبب الوضع الخاص للجبل والصخور والطرق، بينما في بيئة السهل يعتاد الناس على الكسل وقلة الحركة لعدم الحاجة إلى ذلك التحرك.

ويختلف السلوك والسعي في الأماكن التي فيها وفرة عن ما هو عليه في الأماكن التي تفتقد الوفرة، فأصحاب المزارع والبساتين في منطقة يزد وكرمان الذين يعانون من قلة الماء، يبذلون من الجهد الذي لا يلاحظ ظاهره لدى المزارعين وأصحاب البساتين في الشمال ومنطقة گيلان. وهكذا الحال بالنسبة لحياة الناس في المنطقة الصحراوية ومنطقة الغابات والتي ينجم عنها حصول روحيات متنوعة.

٨ ـ **العوامل الطبيعية**: والمقصود منها وجود البرودة والحرارة والماء والمناخات المتفاوتة والغيوم والمطر والثلج والشمس شديدة الحرارة أو قليلة الضوء والحرارة ودرجة الرطوبة والضوء والظلام في المنطقة والتي لها تأثير في السلوك والخلق والطباع والحالات والأفكار.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الروحيات في الأجواء الطوفانية. تكون متصفة بحالة الأمواج والعواصف، وإذا كان ضغط الهواء منخفضاً تغلب على الإنسان حالة النسيان، وهذا النسيان يزداد في الأيام الممطرة وفقاً لما دلت عليه التجارب، والهواء (الشرجي) يضعف الروحيات، وتؤثر البرودة والحرارة والتغييرات الجوية والمائية في الخلق والطباع.

كما دلت البحوث أن تغييرات الهواء قد تثير الأعصاب وتحرك الإنسان، كما أن المناخ المكفهر يثير حالة الغم والتعب، ولا شك أن عامل الإرادة والسيطرة على النفس يستطيع التغلب على كثير من المصاعب الآنفة، ولكن هذا الأمر غير ممكن للأكثرية وعموم الأفراد في مجال العمل.

٩ ـ **عوامل الضغط**: وفي هذا السياق يجب ذكر أسماء مسائل عديدة وهي السياسة، الاقتصاد، القانون، الحكمة، الشروط والمسائل الانضباطية، القواعد والمقررات و. . . والتي تؤثر في التصرفات والمواقف، حيث تختلف أنماط الأفكار في المجتمع الذي تحكمه سياسة مرنة وسهلة عن المجتمع الذي تحكمه سياسة متشددة. وتختلف في حالة كون التحزب إجبارياً أو حراً، وهل السلطة الحاكمة استبدادية أو شعبية، وهل الحرية القائمة مشروطة ومقيدة أم بلا قيود، وهل هناك حق للكلام وإبداء الرأي أم لا، وهل السلطة الحاكمة بوليسية أم ان الأفراد بإمكانهم السير الإنساني في ظل الأمن. وتتفاوت التصرفات والحالات في المجتمع الذي يقوم اقتصاده على أساس أصالة الفرد عنه في المجتمع الذي يقوم على أصالة الجمع، وتختلف في النظام الرأسمالي عن الاشتراكي، وفي الاقتصاد الحر عن المشروط، وفي الحالة التي تكون طرق كسب الدخل مفتوحة أم مغلقة، وفي الاقتصاد السائر على طريق ضوابط الشرع، أم الفرد، وفي كون الملكية محدودة أم مقيدة.

١٠ ـ **العوامل الثقافية**: ويلزم في هذا الصدد ذكر عوامل متعددة

كالعلم والفكر والفلسفة والفن والأدب والرسوم والاختراعات والتقاليد والشعائر ووسائل الإعلام وأمثالها.

فالأعمال والحالات تختلف في المجتمع الذي يكون فيه من أجل العلم، أو يكون من أجل الخدمة، وكونه في سبيل الله ولكسب رضاه، أم لكسب رضى الناس. وتتفاوت الجهود العلمية إذا كان الحصول على العلم هو من أجل العمل والعثور على شغل، أو إذا كان كسب العلم يستهدف الخدمة، وإذا كانت الوثيقة الدراسية تستلزم الحصول على مزايا ورتبة فإن ذلك يختلف عما إذا كانت سنداً لعرض المهارة وإبداء الرأي. كما أن سلوكنا وحالاتنا تتنوع بتنوع الآداب والعادات والتقاليد والشعائر الاجتماعية، وكونها قائمة على تأييد الأكثرية أم لا، وهل هي طبقاً لمصالح طبقة خاصة أم طبقاً لمصالح أكثرية حية، وهل مبنية على تجارب ومعلومات مدروسة أم أنها مجرد ارث من الأجداد أو المجتمعات الأخرى، وهل انها مخدرة أم محركة؟

ويشمل الوسط الثقافي كلاً من المطبوعات وأسلوب حياة وسائل الإعلام والأفكار والمشاعر والأعمال وسلوك الحركات والكتب والجرائد والمباحث البوليسية والجنائية والحب الرائج، وهي قد تؤدي إلى السقوط والخطر، ولذا يجب السيطرة عليها خاصة وأن الثقافات ليست خالصة ولا توجد ضوابط للواردات الثقافية.

١١ ـ **الوسط التعليمي والتربوي**: للمدرسة والمعلم والكتاب والأسلوب والكيفية والانضباطية تأثير في الأفراد، ويرى بعض المربين أن بالإمكان اعتبار المدرسة في الدرجة الأولى من الأهمية بعد الأسرة من حيث التأثيرات، كما أنها ذات أثر غير اعتيادي في مصير الصبي.

وأشارت إحدى الإحصائيات التي أُجريت في إحدى الدول الأجنبية إلى أن ٣٥٪ من الأطفال يرغبون أن يكونوا مثل معلميهم وأن يقتدوا بهم، وقد كانوا يعتبرون بشكل عام أن المدرسة هي سند الحياة ونموذج الحياة الاجتماعية المطلوبة، وان وجهات نظر المدرسة أهم من آراء الأب والأم.

وتؤثر في الأفراد، أساليب التعامل والسجايا الأخلاقية وحتى رذائل

البيئة الإنسانية، وكذلك الاكتسابات الذهنية من المدرسة والتي تتضمن التاريخ والقانون والأخلاق والعلم ونمط إبداء ردود الفعل، وقد يتطبع المرء بطابع البيئة أحياناً، وأحياناً يتمرد عليها، فتارة يؤمن بعقيدتها وتارة يرفضها.

١٢ ـ **العوامل العملية**: نوع العمل الذي يمارسه الوالدان والإنسان نفسه، أو نوع العمل الذي يرغبه تؤثر في سلوكه وحالاته وأعماله ـ وقد دلت البحوث العلمية بوجود تأثير للعوامل العملية من حيث الصفة الدخل، إثارة الضجيج، خشونة ونعومة الوسائل والأدوات، برودتها وحرارتها، مستوى العمل، التعب أو الاستراحة الناجمة عن ذلك.

وأحياناً ليس هناك دخل لعمل من الأعمال ولكنه مرغوب من حيث المكانة فيفخر الإنسان فيه، وبعض الأعمال ذات دخل مادي وافر ولكنها تفتقد إلى العناوين الرنانة ولذا فهي لا تستقطب الكثير من الناس.

وقد تسبب المشاغل في بعض الحالات ضجيجاً كأعمال النجارة أو الحدادة وإنتاج الحلويات والصفارة وغيرها، وقد أثبتت الدراسات ان الضجيج في أماكن العمل يسبب ضعف الأعصاب وقصر العمر وأحياناً النوبات المفاجئة، كما أن كيفية التعامل مع الأجهزة يؤثر فينا أيضاً، فالشخص الذي يمارس عمله في النجارة يختلف سلوكه وتصرفه عن الذي يعمل في الحدادة، مثلاً.

١٣ ـ **عامل السياسة**: ذكرنا في الرقم التاسع من هذا البحث أن العامل السياسي يدخل ضمن عوامل الضغط ولكننا نريد طرح المسألة هنا من زاوية أخرى، وهي هل ان القوانين والأنظمة في بلد ما هي مظهر لإرادة الشعب أم طبقة خاصة؟ وهل الشعب هو الذي طرحها أم الفلاسفة وأصحاب العقائد، أم من قبل الله الخالق؟ وبديهي أن المواقف تجاهها، وقبولها أو رفضها يتباين في كل واحدة من الحالات الآنفة. ثم إن نوع سلوك الأفراد وحالات عملهم تتفاوت بتفاوت كون الحكم القائم حكم مرن أم لا؟ وهل ينطبق مع روح الشعب أم في الاتجاه المعاكس، وهل يدعم الملكية الفردية أم الجماعية، وهل يروج للحياة الغربية أم الشرقية، وهل يستهدف الإيذاء أم الهدوء، وهل يسير في اتجاه إعداد الفرد للتزكية أم الدماء، وهل سياسته عادلة أم ظالمة، وهل يعمل على نشر المساواة

والعدالة في المجتمع أم التمييز، وهل يهتم بالمصالح العامة أم مصالح طبقة معينة؟ و. . .

١٤ ـ **العوامل الدينية**: للدين دور استثنائي في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية وفي نمط التصرفات والمواقف، وفي امتلاك نظرة كونية محدودة أم واسعة.

وتختلف كيفية سلوك وأعمال الأشخاص ومواقفهم تجاه الأمور باختلاف الدين الذي يتبعونه، والبُعد والحدود التي يبحثون الدين في إطارها، وهل الدين للدنيا أم للآخرة أم كلاهما، وهل يهتم بالجانب المادي أم المعنوي أم المادي والمعنوي؟ سمح أم متشدد، يدفع الإنسان إلى العصبية أم إلى سعة النظر، تقدمي أم رجعي، في خدمة الجماهير أم الأعيان، يتلاءم مع الحضارة ومظاهرها أم لا، وما هي القيم التي يقبلها، وما هي الأمور التي يحاربها، وما هي علاقته مع الحكم والحاكم، كيف ينظر إلى العدالة الاجتماعية، وما هو رأيه بالسياسة والاقتصاد والمجتمع، وهل هو دين الأقلية أم الأكثرية، وما هي حدود ومساحة تعاليمه؟. . .

١٥ ـ **العوامل النباتية والحيوانية**: ما هي البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وما هي الظواهر والكائنات التي يواجهها، هل يعيش في بيئة خضراء جميلة أم بيئة يابسة صحراوية، وهل يسكن في غابة أم في مكان خال من الزرع؟ هذه العوامل لها أثر في تغييراتنا السلوكية وفي حالاتنا.

كما ان موقفه في السلوك وفي التجارب العملية يختلف من حيث اختلاف نوع الحيوانات التي يواجهها الإنسان، خطيرة أم أليفة، وحشية أم لا، مجترة أم طائرة، مؤذية أم مساعدة. فكثيرة من المعلومات والحيل والمهارات التي لدى الأشخاص الساكنين في بيئة توجد فيها الوحوش، يفتقدها غيرهم، فالذي يتعامل مع الأبقار والغنم والابل وأعداء هذه الحيوانات، يتصف بنوع من السلوك والمواقف، والذي يسكن في أماكن صحراوية ويواجه الأفاعي والأسود والنمور، يتصف بعادات وتقاليد وسلوك آخر، فهذا يعرف ماذا يفعل إذا تمرد حصانه وبعيره، وذاك يفهم ماذا يصنع إذا هاجمه نمر أو أفعى.

١٦ ـ عوامل أخرى: العوامل التي تؤثر في سلوكنا وأعمالنا، كثيرة، فتعمل على بنائنا أو تدميرنا، ونحن نتأثر بأشياء وظواهر كثيرة في هذه الكرة والكرات الأخرى ويؤثر فينا ضوء وأشعة الشمس وسائر الكواكب وحتى انها تؤثر في أغذيتنا ومائنا وهوائنا.

ونتأثر بنسب مختلفة بالأبنية والأشخاص والثقافة والسياسة والقوانين والآداب والأعراف والتاريخ والوقائع والحوادث والخسوف والكسوف والزلازل والمؤسسات والمصادر التي فوق الأرض وتحتها والجوانب الإرادية والانعكاسية والعقلية والأخطاء والمسائل الفوقية والأساسية.

وهناك حالات كثيرة نجعل أنفسنا متأثرين بها بشكل واع ونستفيد من مزاياها، ويحاول المعلمون والمربون أحياناً تعريضنا لها، وعلى أي حال فنحن نتأثر بشدة وضعف بجميع الظواهر في هذا العالم وبالاكتشافات والاختراعات.

استنتاج: النتيجة المستخرجة من هذا البحث هي أن التربية لا تنحصر فقط بالبيت والمدرسة والعوامل الإنسانية المتعلقة بها.

ويجدر الإشارة إلى أن ما نتعلمه في المنزل والمدرسة له صورة رسمية من حيث أنه يقوم على أساس ضوابط وأطروحات ومخطط له ومدروس، ولكن علينا أن لا ننسى أن ما نتلقاه من هنا وهناك والتأثيرات التي نستقبلها من هذا الجانب هي أوسع بمراتب من الجوانب الرسمية.

ومن الضروري ممارسة السيطرة في أمر التربية للوصول إلى الجمال والخير المطلق وتجنب الشرور والقبح، وأن تحظى الشروط بقبول الأولياء والمربين وسوف نتحدث عن هذه المسألة في بحث لاحق.

الفصل السادس عشر

شرط النـجاح فـي التربـية

التربية أمر واع وعمدي، ولا يمكن للفوضى النجاح في هذا الطريق، والذي لا يعلم ماذا عليه أن يفعل في العمل التربوي لا يستطيع الوصول إلى الهدف المطلوب. والتربية غير الواعية لا تفضي إلى نتيجة مطلوبة.

إن النجاح في مسألة التربية وفقاً لما دلت عليه التجارب الماضية والحاضرة مرهون ببعض الشروط التي لا تتوفر كلها لجميع الناس، إلا أن الاطلاع عليها والسعي لتحصيلها وكسبها ولو بمستوى أقل من المئة بالمئة يؤدي إلى إثراء وزيادة رونق العمل التربوي، وسوف نسعى إلى طرح نكات بشأن العوامل الإنسانية وغير الإنسانية من أجل بحث هذه الشروط.

أ ـ العوامل الإنسانية: قلنا ان الإنسان يتأرجح منذ ولادته حتى نهاية عمره بين عوامل متنوعة، إنسانية، غذائية، مناخية وعوامل الماء والبرودة والحرارة و. . . ، فيتعلم من الناس درس الأخلاق والإيمان والعمل، ومن الحيوانات العبرة ومن دوران الأرض والكرات درس التحول والتغيير والحركة والسير وعشرات النكات والمسائل الأخرى.

وأما ما هي الشروط والأركان التي يقوم عليها البناء التربوي، فجواب ذلك هو أنه يقوم على ثلاثة أركان هي الوعي والإيمان والعمل، وهذه دراسة لكل واحدة منها:

شرط الوعي:

باستطاعة كل فرد بالغ أن يتزوج فيستقر ويسكن عن هذا الطريق، ولكنه إذا أراد أن ينجب ولداً أو يقوم بالعمل فمن الضروري أن يحصل على

معلومات تمثل شروط التربية، فيدخل في هذا الطريق وهو على علم، وهذا الوعي يكون في بعض المجالات، وأهمها ما يلي:

١ ـ **الوعي الديني**: الناس العقلاء لديهم التزام بعقيدة ونمط فكري معين، ولكل شخص أو جماعة عقيدة ودين يعتقدون به ويعملون بتعاليمه، وليس هناك فرد لا يؤمن بأي نظام، وحتى الذين يعتبرون أنفسهم بلا دين ولا نظام. فإنهم يتبعون نظاماً وقيوداً وقاعدة وضابطة معينة.

وينبغي على العامل في مجال التربية أن يكون لديه اطلاع على عقيدته ودينه، فيعلم ماذا تقول تعاليم ذلك الدين في الأمور المختلفة، وما هو الأساس والأركان التي تقوم عليها رؤيته الكونية، وما هي أسسه العقائدية، وما هي الضوابط التي يضعها للإنسان، وما هي دعوته، وما هي فلسفته الوجودية؟ و. . .

٢ ـ **هدف الحياة**: يجب أن يحمل الشخص العامل في النشاط التربوي رؤية واضحة لفلسفة الحياة فيعلم الهدف من الخلق، والحياة والعمل والطعام، والهدف من تشكيل الأسرة ولماذا يموت.

ويجب أن يتضح للمربي الهدف الذي يسعى إليه في الجوانب الاقتصادية وفي السياسة والثقافة والمجتمع والحرب والسلم؟ وما هو هدفه في الحياة؟ وفي أية نقطة هو الآن؟ إلى أية نطقة يريد الوصول؟ وما هو السير الذي يريده ولماذا؟ وأي طريقة عليه استخدامها للبلوغ إلى الهدف النهائي، وكيف يعيش وكيف يموت؟. . .

إن المعرفة بهذه المسائل ضرورية للشخص العامل في المجال التربوي، لأن الطفل يتعلم منه هذه الجوانب، والمربي ينقل إلى الصبي هذه الجوانب من خلال التعليم.

٣ ـ **الفرد المتربي**: الناس ليسوا مثل إنتاج معمل من المعامل، فهم من منشأ ومبدأ واحد، لكنهم يختلفون عن بعضهم البعض، وتنتقل إلى الأفراد عوامل وظروف متنوعة بيئية واجتماعية واقتصادية وثقافية وأفكار مختلفة وطباع وأمزجة وحالات وسلوك الوالدين والأجداد بنسب متفاوتة.

ويجب أن يعلم العامل في المجال التربوي ماهية الشخص الذي

يتعامل معه؟ من هو، وما هي خصائصه، وكيفية مستواه الإدراكي واستنباطه وذاكرته وقدرته وتحركه و. . .؟ ويجب أن تتضح من سنين التمييز والرشد العقلاني والفكري نمط فكره ورغباته وآماله وأمنياته وذوقه وميله إلى الأمور والمسائل الداخلية ومدى رغبته بالفنون والحرف والعلم و. . . حتى يعمل على سد نقاط الضعف وتقوية نقاط القوة.

٤ ـ **طريقة التربية**: إن موضوع عملنا هو الإنسان وتربيته، الإنسان الذي يولد وهو يحمل ثروات وعوامل متنوعة ومتفاوتة مع الآخرين، فهو يحمل غرائز يجب توازنها ولديه جوانب فطرية يجب رشدها وتنميتها وتتوفر فيه قابليات يجب تفعيلها وأخيراً يريد السير في طريق العبودية حيث يجب أن يكون قادراً على ذلك.

إن القيام بهذه الرغبات لا يمكن من دون امتلاك مقدورات ووعي بطريق وكيفية التربية، والمربي ليس باستطاعته توجيه الأفراد المرؤوسين من دون المعرفة بالطرق والأساليب، فيعرّفهم على المقررات والقوانين المرسومة ويقوم بالاحياء الفطري المهمل ويعمل من الإنسان المتعلق بنفسه وبالتراب الفردي إنساناً صافياً من العوارض المادية إنساناً ذو صميمية وإخلاص وأُنس مع سائر الناس ومواس للمحرومين.

ومن ناحية أخرى عليه أن يكون عارفاً بفنون التربية وطريقة انتقال العلم إلى الأفراد، خاصة وأن الأعمار محدودة والمعلومات المطلوبة والتجارب والوعي والعلوم والفنون والابتكارات والاختراعات غير المحدودة.

٥ ـ **القضايا**: السياسية والاقتصادية والثقافية والإدارية والعسكرية والاجتماعية سواء منها التي داخل مجتمع الإنسان المتربي أما خارجه والتي تؤثر فيه وتجره بشكل ما إلى المواجهة وتدفعه إلى اتخاذ موقف خاص.

إن الإنسان في العالم المعاصر يواجه عشرات المسائل، وإن الغفلة عن أي منها يؤدي إلى تعرضه إلى صدمة وكذلك تعرّض سيره ومشيه الذي اختاره في الحياة، فنحن نعيش في عالم متصل بحيث انه إذا وقع نزاع واختلاف في مغرب الأرض، فإن الناس في شرقها لا يكونوا في مأمن من

انعكاساته. ورغم أن وجود الحدود بين الناس قد فصل بينهم، إلا أن وجود وسائل الإعلام قد رفع الحدود من جهة أخرى وعرّف بين الناس وأصبح كل منهم يؤثر ويتأثر بالآخر. والمربي إذا كان جاهلاً بالزمان والمكان وما نسميه بتاريخه وثقافته فسوف لا يوفق في العمل التربوي.

٦ ـ **الوظيفة**: وأخيراً فإن ما هو أهم من كل شيء بالنسبة للوالدين هو أن يعرفوا وظيفتهم وأن يعملوا بها، ويعلموا ماذا عليهم أن يفعلوا الآن وما هي الوظيفة والجهد الذي يجب القيام به.

إن الصبي المولود، يعيش في المجتمع، وعلى جميع أفراد المجتمع وليس الوالدين فقط، أن ينظروا إليه نظرة إنسانية ويعتبروه من الناحية الإسلامية، أمانة من الله.

وبرأينا ان الشخص السعيد والموفق في أمر التربية، هو الذي يعرف هذه الوظيفة ويسعى لأدائها وفقاً للفكر والوعي والإيمان وعليه أن يعلم ماذا يصنع تجاه هذا الفرد الذي هو اليوم تحت إشرافه وتأثيره، وكيف يقوم بوظيفته.

شرط الإيمان:

الشرط الثاني لنجاح العاملين في مجال بناء الفرد وتغييره، وهي العقيدة والإيمان. الإيمان بالعقيدة وبالوظيفة وبظهور نتائج العمل. الإيمان هو مصدر إيجاد واستمرار كل الفضائل وسبب حصول القوة وعامل لحصول رؤية في انتخاب الطريق وفي المسير.

إن وجود الإيمان عند المربي للقيام بالتربية له أهمية حيوية، حيث يؤدي إلى اعتماد الطفل عليه، ومتابعته خطوة خطوة، ثم انه لا يمكن تجاهل تأثيره الروحي في التلاميذ. وإيمان المربي والمعلم هو كمصباح يضيء حياة الطفل ويطبعها بطابع معين. ولا يمكن انتظار حصول إضاءة مفيدة وبناءة من معلم ضعيف الإيمان وآباء فاسدي العقيدة. والعبارة التي تقول ان الكلام إذا خرج من القلب استقر في القلب صحيحة إلى حد كبير خاصة للذين لديهم أرضية مساعدة، ونحن نعرف أن المدارس التربوية القائمة والتي أغلبها عبارة عن نتائج نمط فكر رنسانس، وتجديد الحياة في

الغرب، قد وضعت من أجل إصلاح الجوانب المادية للإنسان ولم تهتم بالجانب المعنوي والإيماني والعقائدي للأفراد، فكانت النتيجة ظهور الفضائح وأعمال التدمير التي رأينا مظهرها في الحرب العالمية الأولى والثانية.

إن أفضل أنواع التربية، لا يعطي ثمرة مفيدة وقيمة، إذا قام به مربون لا إيمان لهم، ونحن نعلم أن تعلم المسائل في النظام التربوي الإسلامي، لا عيب فيه ولو كان من أفراد كافرين أو مشركين، ولكن علينا أن لا ننسى أن تعلم المسائل من فرد يختلف عن تسليم أمور تربية وحياة الفرد بيد إنسان مشرك، هذا أولاً، وثانياً إن هذا الكلام يصدق على الذين تبلور طابعهم وشكلهم العقائدي ويتمتعون بأرضية عقائدية قوية، فيستطيعون التمييز بين الخير والشر، ولهذا فإن إعطاء أمر التربية لأشخاص من الكافرين والمشركين وأهل الوجهين والمنافقين، لا يثمر إلا ازدياد الكافرين والمنافقين.

شرط العمل: يحصل القسم الأكثر من معلومات الإنسان واكتساباته عن طريق العمل. وهذا الأمر يصدق في الجانب المادي للتربية وفي الجانب غير المادي. وأبناؤنا يتعلمون المهارة والكفاءة في أداء العمل وكيفية بناء الأشياء وأدوات الزراعة والصناعة والمسائل ذات العلاقة بالفنون والحرف من خلال عمل المربي، وهم يرون أعمالنا ويتأسون بنا في الأدب والثقافة والأخلاق والعبادة والتقوى وحب الخير وخدمة الناس والإعانة والتعاون وحسن النية والأنانية والغرور والفساد والخيانة والصميمية والإخلاص وحب الحق والعدالة و. . .

وعلى هذا الأساس يمكن القول ان روح التربية تظهر في ظل العمل التربوي، والعمل يحدد قيمة الإنسان وحقيقة عمله، وإذا كان هناك جيل غير عامل أو لا يتقدم وفقاً للأهداف المرسومة، فذلك بسبب أنه لم يترب للعمل ولم تتوفر له أسوة وطريقة لائقة.

العمل في التربية الإسلامية:

هناك اهتمام وافر في التربية الإسلامية بعمل المربي وصلاحه،

وشاهدنا على هذا الادعاء هي آيات عديدة في القرآن، فحيثما يرد الكلام عن الإيمان يتبعه الكلام عن العمل الصالح.

إن روح تعاليم القرآن هو العمل، المقرون بالفضيلة والإيمان، العمل اللائق المفيد، والقرآن يقول: ﴿**إن الإنسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾. يجب أن يكون المربي نموذجاً عملياً للفكرة والعقيدة التي يدافع عنها، فإذا تكلم عن الالتزام بالقرآن، فعليه أن يكون قرآناً متجسداً.

والوصية القرآنية تقول بأن على المؤمنين أن يتأسوا بابراهيم، وفي آية أخرى التأسي الحسن بعمل رسول الله ﷺ. كما أن القرآن يطالب بأمة أسوة ونموذجية، الأمة التي تجعل نبيّها اسوة لها وتبلور عملها على أساس طريقته وعمله.

خصائص العمل:

ما هي الخصائص التي يجب أن يتصف بها عمل المربي؟ الجواب هو أنه يجب أن يتصف بالخصائص والشروط الآتية:

١ ـ **أن يكون صالح**: وهي الصلاحية التي تؤيدها العقيدة التي يؤمن بها.

٢ ـ **أن يكون راسخاً وثابتاً**: بالشكل الذي يكون ملكة عند المربي ويكون من ضمن سلوكه وحالاته.

٣ ـ **أن يكون مدروساً**: بالصورة التي تُلحظ فيها الجوانب الإيجابية.

٤ ـ **أن يكون إيجابياً**: بمعنى أن يكون في طريق الخير وفي اتجاه حل المشاكل والمسائل، ولا يكون سلبياً ولاابالياً.

٥ ـ **في طريق الهدف**: فيكون إتمام كل مرحلة منه خطوة في طريق الوصول إلى الهدف أو الأهداف المطلوبة.

٦ ـ **قائماً على خطة**: بالشكل الذي يُنجز مراحل زمنية ووفقاً لضابطة معينة.

٧ ـ **مبنياً على الأخلاق**: وهي الأخلاق التي تؤيد أبعادها العقيدة التي

يؤمن بها، وهي الدين الإلهي، أو العقيدة الاجتماعية ويكون أساسها الفكري مقبولاً.

رقابات للمربين: إن على الوالدين والمربين أن يلحظوا مسألة أن الجيل الموجود هو انعكاس لنمط فكر وعمل مربين سابقين، والأبناء هم في الغالب انعكاس لوالديهم. وقد قال أهل العلم: أرني طفلك أولاً حتى أقول لك من أنت.

إن على الآباء والأمهات والمربين أن يكونوا مدافعين عن الفكرة والعقيدة التي يؤمنون بها وأن يطبعوا بيئة الطفل من المهد إلى اللحد بطابع تعاليم تلك العقيدة، ويكونوا أنفسهم من المتربين وأهل الكمال وبعيدين عن الفوضى والانحراف، وكلامهم وقلبهم واحد وعاملين بخطة ولديهم وعي بفلسفة الحياة وعندهم نظم وبرنامج وهدف وشخصية متحركة ومحبين للصدق والحق ويكونوا مثالاً حياً للتربية.

ويجب أن يكون المربون، سواء منهم المعلمون أو الآباء اسوة للأطفال في الكمال والأخلاق، وعارفون بتكاليفهم ولديهم اعتقاد وتوكل وليسوا مرائين أو منافقين ولا يختلف قولهم عن عملهم، ويلحظوا المصالح المستقبلية للصبي بالإضافة إلى المصالح الآنية، وتكون نظرياتهم ممكنة التطبيق وتعليماتهم مستطاعة العمل.

ب ـ العوامل غير الإنسانية: العوامل غير الإنسانية تؤثر فينا من حيث نشعر أو لا نشعر، إذ نتأثر بالظواهر المتنوعة، من جبال وسهول وبحار ومناظر خضراء وماء وهواء ونبات وشجر وتراب وصحراء وجفاف ورطوبة وعوامل جغرافية ومواد غذائية وكيماوية وحيوانات مختلفة و. . .

وفي ما له علاقة بهذه الجوانب يتم التأكيد على:

١ ـ السيطرة على العوامل المذكورة بالحدود الممكنة.

٢ ـ يُعرّض الإنسان إلى الجوانب المفيدة والبناءة منها.

٣ ـ أن تكون الظروف والبيئة لصالح البناء وإصلاح الإنسان.

٤ ـ تمهيد الطرق لتعليمه في الحالة التي فيها عبرة.

٥ ـ أن تكون التغييرات المتنوعة درساً للبناء.

٦ ـ توفير مستلزمات الاستثمار والكيفية الأفضل لذلك من الجماد والنبات والحيوان.

٧ ـ السعي في الحدود الممكنة في أن تنطبق البيئة مع الأهداف.

٨ ـ الحيلولة كثيراً دون التعليمات السيئة والشمائل غير المناسبة.

٩ ـ إيجاد التعرف والانس إلى حد ما بالمصاعب الموجودة في البيئة.

١٠ ـ وأخيراً تكون البيئة في خدمة الإنسان وليس العكس، إلا أن تكون تلك الخدمة طريقاً للاستفادة الأكثر له وللأجيال من المواهب الطبيعية.

القسم السادس

في مجال الأهداف

التربية في أي نظام كانت، تقوم على أساس مسير وهدف معين، ونقصد بالهدف هي النقطة التي نعتزم الوصول إليها. ومن الضروري لكل نظام تربوي وجود وتعيين الهدف. والنظام الذي لا يُعترف فيه أين يريد أن يصل المرء هو كسفينة وسط أمواج بحر لا تعرف أين تريد الرسو.

وقد سعينا في هذا القسم إلى طرح عموميات في مجال الأهداف من منظار الفلاسفة والعقائد والعلماء وأهل الرأي وتوضيح الرؤية الإسلامية في هذا الصدد مع مراعاة الاختصار.

وفي فصل آخر من هذا القسم حاولنا أن نطرح آفاقاً للأهداف المتنوعة طبقاً للتقسيمات المتوفرة لدينا عن حقائق المجتمع، وطرح الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمعنوية. وقد جرى التأكيد في هذا القسم على تقديم لمحة وصورة لما يمكن بحثه في سياق الأهداف.

وأخيراً فقد طرحت في الفصل الثالث من هذا القسم مسألة مصدر الأهداف ومعيارها، فهل العقائد هي مصدر الهدف، أم إرادة الناس، أم على أساس المعايير العقلية والعلمية، أم الدين؟ ونطرح في هذا الصدد الرؤية الإسلامية حتى تكون قاعدة لجهود الذين يسيرون في هذا الإطار.

الفصل السابع عشر

مسائل عامة في أهداف التربية

للتربية جانب علمي في عصرنا، وتتحقق التربية والتعليم من خلال لحاظ الأهداف ومراعاة القواعد والأساليب ذات الصلة. وهكذا فإن ما يذكر عن الهدف يقصد به الجانب الإرادي منه وإلاّ فالإنسان يتأثر من حيث يرغب أو لا يرغب، بعوامل كثيرة تؤثر في الإنسان حتى من دون خطة وأطروحة مرسومة.

وإذا أردنا أن يكون لدينا أشخاص واثقون، مصممون، مستقلون، واعون، رحماء، نشطون ولديهم مقام ورتبة خليفة الله، فلا بد لنا من جعل هذه الجوانب هدفاً لنا. وغرضنا من تعيين الهدف هو أن نرى ماذا نريد أن نبني من هذا الفرد المولود حديثاً والذي هو كمادة خام في يد المربي؟ وإلى أي مكان نريد إيصاله؟ وما هي العوامل التي تُعجل أو تُبطىء إمكانية بلوغنا الهدف؟ وكيف بالإمكان تقوية العوامل الإيجابية وتقليل آثار العوامل السلبية ونفوذها.

مسألة مهمة:

يجب الالتفات إلى مسألة التفريق بين الهدف والطريق والكيفية والأداة، فلا نضع أي منها محل الآخر، فنحول دون الخلط بين المباحث:

١ ـ إن الهدف هو النقطة التي ننوي الوصول إليها، وتلك النقطة قد تكون بعيدة أو قريبة، قريبة الوصول أو بعيدة الوصول، ممكنة الوصول أو محالة الوصول، سهلة الوصول أو صعبة الوصول و. . .

٢ ـ الكيفية هي مجموعة الجهود والوسائل التي يمكننا بالاستفادة منها الوصول إلى الهدف بشكل سريع.

٣ ـ الطريقة أو السير، وهي الأسلوب الذي نختاره لبلوغ الهدف، وهي قد تكون سريعة أو بطيئة، مباشرة أو غير مباشرة، في مناخ مضغوط أو طبيعي و. . .

٤ ـ إن المساعدات هي في الحقيقة أداء أو محامل تساعدنا في طريق الوصول إلى الهدف، وهذه المساعدة تكون في مجال التعليم وفي مجال التربية كذلك.

الأساس الفكري في تعيين الأهداف:

سبق أن قلنا ان الأساس الفكري في تعين الأهداف هو أن يكون للنظام التربوي منحى واتجاهاً يأخذ بيد الطفل ويوصله إلى المقصد. والنظام التربوي إذا أخذ بنظر الاعتبار الأفراد الذين يريدون التربية على أساس فهو بمثابة سفينة فيها ركاب كثيرون وسط أمواج البحر، ويطرح عليهم هذا السؤال، وهو إلى أية جهة ومقصد تتحرك السفينة. وعلى هذا فإن وجود الهدف في كل نظام تربوي شبيه بالساحل بالنسبة للسفينة، حيث يمكن بلوغ النقطة المطلوبة باستعمال اسطرلاب العقيدة والتربية بمعزل عن الهدف مثل سفينة من دون مقصد، تتجاذبها الأمواج إلى هنا وهناك.

فوائد وأهمية تعيين الهدف:

وهكذا يمكن القول ان وجود الهدف للنظام، دليل على وجود ذلك النظام وقيمته الوجودية، فهو يحول دون الاهواء والانفلات، ويبني مسؤولين تربويين ملتزمين يسيرون في الاتجاه المقصود وينجون من الضياع. ويحدد وجود الأهداف في أي نظام نوع الجهود وكيفية النشاطات، ويوضح للمربي ماذا عليه أن يفعل، وهل ان ما يقوم به يعتبر كافياً؟ ويقف بوجه النشاطات غير المثمرة ويحول دون المساعي التي لا طائل منها وإضاعة الوقت والاستثمار.

إن وجود الهدف يحدد لنا مقدار الاستثمار في مجال من المجالات، وهل هذا الاستثمار له قيمة أم لا؟ وما هي التنظيمات التي تطرح في هذا الطريق وكيف ينبغي تقدمها؟ وأخيراً إن وجود الهدف هو مقياس لعمل وجهود المربين وحدود وشروط الأعمال وإعداد الوسائل والإمكانات وتوجيه

الحركة والنشاط وتعيين الشروط والضوابط وتمتع النظام بالاعتبار، وفي ظله يمكن معرفة خواء وضعف النظام، أو منزلته.

تعيين الأهداف:

يتم في تعيين الأهداف التأكيد على بيان نوع الناس الذين يحتاجهم البلد والمجتمع، وكيفية الأفراد الذين يجب أن تخرجهم الأسرة والمدرسة؟ وما هي القابليات والمهارات التي تتوفر فيهم؟ وكيف تكون صفاتهم الفكرية والعاطفية والعقلية والدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والإدارية؟ وما هو البناء الذي يدخلون به المجتمع وما هو المسار الذي يسيرون عليه؟ ويجب أن نرى أي الرجال يقبلهم نظامنا المطلوب في الحياة الاجتماعية، وأي النساء يراها صالحة وذات قيمة؟ وكيف هو الإنسان المتربي والكامل بنظره؟

إن الأهداف تتفاوت باختلاف البلدان والمجتمعات، وتتدخل في ذلك المسائل التاريخية والسياسية والثقافية والاقتصادية والدينية لكل مجتمع، كما تؤثر مسألة الزمان والمكان في بلورة الأهداف وحدودها مثلما تؤثر التجارب والإرادات البشرية وفلسفة الحياة والرؤى والفهم للحياة.

وبلحاظ هذه الجوانب والأبعاد وفهم وإدراك العلة الغائية للخلق تبذل الجهود لتعيين الأهداف وتقديمها على شكلين عام وتفصيلي.

عموميات الأهداف: إن هدف جميع أنواع التربية والأنظمة التربوية بشكل عام هو سعادة الإنسان أي الأمر الذي يبحث عنه الناس قليلاً أو كثيراً، ولكن ما هي السعادة؟ وما هي سعتها وحدودها؟ وهل تتحقق في ظل الماديات البحتة أم المعنويات وحدها أم من كليهما؟ وفي هذا الصدد لا تتفق الثقافات والعلماء على رأي واحد. ولهذا فهناك اختلاف في الرأي في مجال الوسائل التي تلحظ الوصول إلى الأهداف وتوجد هذه الفكرة بارزة في قضية سعادة الفرد، حيث يعتقدون أن الإنسان يكون سعيداً حين يتمتع بسلامة البدن ورشد الفكر في مسير الفضيلة، وبنفس قوية وحرة، وفي نفس الوقت نحن نعلم أن هذا الأمر لا يعتقد به جميع الفلاسفة والعقائد والأديان، ثم أن هناك اختلاف حول سعته وحدوده.

وتطرح أيضاً مسألة أن السعادة لا تحصل للإنسان في الخلاء، وإنما في هذه الأرض وبين المجتمع، ولكن كيف تتحقق السعادة مع وجود الصدام والتناقضات والتضاد، فذلك محل بحث وكلام.

ومن أجل أن نأخذ بنظر الاعتبار أفقاً لأهداف التربية بصورة عامة من دون الالتفات إلى جوانبها التحليلية، فسنحاول عرض وجهات نظر بعض العلماء والعقائد والمجتمعات، ثم الإسلام، في هذا الصدد.

الأهداف بنظر العلماء:

في ما يلي آراء بعض العلماء والفلاسفة الذي تلوا رنسانس، أو الذين ظهروا في القرون الأربعة أو الخمسة الأخيرة، إذ أننا نعرف أن هناك وجهات نظر في هذه القضية منذ عصور بعيدة، ونواجه بحوثاً كثيرة في هذا السياق في تعاليم الأنبياء وفي آراء رجال كبار عاشوا في زمن قديم:

١ ـ يعتبر كمنيوس أن هدف التربية، هو العلم والأخلاق والدين، ويقول ان على التربية من خلال لحاظ المسائل الآنفة، إعداد الأفراد للحياة، وهذه الإمكانية يجب أن تكون موجودة لجميع الطبقات والأجيال من أولاد وبنات.

٢ ـ ويقول جون لاك البريطاني في كتاب أفكار في التربية: ان الهدف من التربية بناء الجسم والأخلاق والفضيلة والعلم، وهو يعتقد أن ارتكاز التربية، هو على إنضاج الشخصية الأخلاقية ويجب أن يكون الأشخاص النبلاء(جنتلمن) قدوة في التربية.

إن الهدف من ذلك هو إيجاد النظم في ذهن الصبي بملاحظة البيئة وبصورة غير دينية، ويجب الاهتمام بالقوانين العقلية في هذا الصدد.

٣ ـ ويرى روسو أن هدف التربية هو توجيه الميول الطبيعية بشكل عقلاني ومناسب وبطريقة بعيدة عن الضغط، والتعرف على الطبيعة الإنسانية وتأمين حريته، وهو يقترح العودة إلى الطبيعة والتغير إلى إنسان طبيعي للوصول إلى هذا الهدف.

ويعتبر بستالوزي وهو مربي سويسري أن هدف التربية هو إنضاج

وتفتح جميع بذور القابلية بشكل موزون وانسجام أو تكامل القوى الباطنية والقابليات الذاتية للإنسان لبناء فرد إنساني طاهر وهذا الهدف الذي يثمر إصلاح وضع الناس، يجب أن يشمل جميع الأفراد من وضيعهم وكبيرهم.

٥ ـ أما هيربارت فيرى أن التربية تستهدف الفضيلة والسجايا والأخلاق والملكات الفاضلة، والمقصود من الملكات الفاضلة هي الرغبة في الحرية الباطنية والرغبة في الكمال والخير والعدالة والإنصاف، الموجودة في الفطرة الإنسانية، والشخص المتربي هو الذي تكون الجوانب الخمسة المتقدمة، مرشداً لخلقه وطباعه، ويكون شخصاً مؤمناً.

٦ ـ ويعتبر فرويل أن الهدف من التربية هو بناء القوة المبتكرة في الأفراد من أجل حياة أفضل وأكمل.

٧ ـ ورونون مالينسون، العالِم في التربية والتعليم التطبيقي، يذكر أن هدف التربية هو المحافظة على الحضارة والثقافة أو المجتمع، ونقل إعادة النظر وتكامل موازينها، وغرضها تربية إنسان مُحب للوطن.

٨ ـ ويعتبر سبنسر وهو مؤسس التربية الجديدة في الغرب أن هدف التربية والتعليم هو:

ـ رشد الشخصية، إيجاد الإمكانات.

ـ العمل على إرضاء البال والسرور والحياة السعيدة.

ـ أداء الوظائف الأبوية.

ـ تربية السلوك للقيام بالوظائف الاجتماعية والسياسية.

ـ الإستفادة المناسبة من أوقات الفراغ والترفيه.

وقد وجه كل اهتمامه بالتربية الأخلاقية، وهو يرى أن التربية تشمل التربية البدنية والعقلية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية و. . .

٩ ـ ودوركيم يرى أن الهدف من التربية هو العمل على رقي بعض الحالات الجسمانية والعقلانية والأخلاقية لدى الصبيان وإعدادهم للحياة في مجتمعهم السياسي والاجتماعي.

١٠ ـ وبرأي كريك ان التربية تستهدف البلورة الطبيعية والاجتماعية للإنسان في الجسم والخلق والشمائل، وهو يعتقد أن الإنسان يتربى بصورة غير إرادية وليس على أساس خطة سبق رسمها.

١١ ـ ويعتبر بادن بوول مؤسس المقدمة في الحرب العالمية الأولى أن الهدف من التربية هو تنمية الشخصية عن طريق الرياضة والألعاب التربوية وتوزيع المسؤوليات على ذلك الأساس.

١٢ ـ وأخيراً يقول أفراد مثل زالسمان ان الغرض من التربية هو إنضاج الفرد لرفع حاجة المجتمع، في حين يرى ولزگويد أن الهدف من التربية هو إخراج الفكر عند انسداد الطريق.

وثمة آراء أخرى لا نستعرضها مراعاة للاختصار.

الأهداف من منظار العقائد والمجتمعات:

اتخذت الدول التي تُدار وفق نمط فكري عقائدي وفلسفي خاص، والمجتمعات التي تقوم طريقة إدارتها على فلسفة سياسية واجتماعية عامة، أهدافاً لشعوبها، يمكن اعتبارها كهدف للتعليم والتربية لديهم. ومن ذلك ما يلي:

ـ الهدف من التربية والتعليم في الاتحاد السوڤيتي هو تربية أفراد يكونوا عاملين لرفع حاجات الحكومة، فهم يريدون، بعبارة أخرى، تربية أفراد يبذلون كل قواهم وجهودهم لتحقيق أهداف الحكومة، والتي تختلف بما يناسب السنين والشهور.

ـ وفي المانيا، يستهدف من التربية بناء الأفراد من أجل المحافظة على الوحدة الوطنية.

ـ والهدف من التربية في فرنسا المحافظة على مركزية الوحدة الوطنية.

ـ والتربية في انگلترا هي من أجل قبول المسؤولية الفردية وإدراك اللذة.

ـ وفي أمريكا ومنذ سنة ١٩٣٠ اعتبر الهدف أنه معرفة الذات وتربيتها

(أو الرشد الشخصي) وتأمين العلاقات الإنسانية والرشد واللياقة الإنسانية، والشعور بالمسؤوليات البدنية والاجتماعية والسياسية وتعميمها.

- والهدف من التربية في الدول الشيوعية هو إعداد مسؤولين ممتازين وماهرين وتربية مقاتلين يحاربون العدو، وإخراج الأمور من الإطار النظري.

- الهدف في البلدان غير الشيوعية هو تربية المواطن بالاعتماد على الأخلاق العرفية أو الدينية.

- وفي دول العالم الثالث اعتبر التغيير والتحول في المجتمع الذي يعيش حالة الانتاج الخام، هو الهدف والغرض منه إيصال المجتمع إلى مستوى مجتمع شبه صناعي.

- والهدف برأي القوميين هو التربية العقلية والاجتماعية والأخلاقية للأطفال، ويرى المثاليون وعلماء الطبيعة أهدافاً أخرى.

وتهتم جميع هذه الأفكار والأهداف بالحصول على حياة أفضل وأحلى، ويختلف معنى الأحلى والأفضل باختلاف المجتمعات والعقائد.

الأهداف من منظار الإسلام:

من الضروري التذكير هنا بأن ما يطرح تحت عنوان وجهة نظر الإسلام يختلف عما يطرح تحت عنوان آراء العلماء وأحياناً آراء الجماعات الإسلامية، فمثلاً هدف التربية برأي الغزالي هو معرفة الله عن طريق التصوف والعرفان وجهاد النفس والرياضة، في حين يصف ابن مسكويه الهدف بأنه الوصول إلى الحق والسعادة والجمال. أما جماعة اخوان الصفا فتقول ان الهدف من التربية هو تقوية أسس الأفكار الفلسفية والعقائد السياسية، وطبيعي أن هذين الفكرين لا يمثلان الرأي الذي طرحه الإسلام، فالهدف العام في الإسلام هو إيصال الفرد إلى مقام العبودية أو تربية العبد الصالح ولمعرفة الخصائص والعلاقات التي يتصف بها هذا العبد، فإنه يجب مراجعة المصادر الإسلامية، ولكن الهدف أساساً هو:

- أن تكون علاقته مع نفسه، علاقة ترمي إلى التعرف واكتشاف نفسه، وإدراك نقاط ضعفه وقوته والعمل على إكمال وتكامل نفسه، ونمو وتفجير

الطاقات والتخلص من الميول الغريزية الحادة والنجاة من الفساد، ورفض العوامل القبيحة والأمور الدنيئة، وكسب الفضائل و. . . بناء روحية المقاومة والالتزام المقرون بالعواطف.

- وبشأن العلاقة مع الله، يكون الهدف معرفة الله وعبادته والاستعانة به وذكره وشكره وإطاعته والتلاؤم مع السنن الإلهية وتعظيم الشعائر.

- والهدف في العلاقة مع الناس هو الاهتمام بالحقوق والواجبات المتبادلة، والأنس والالفة والعشرة الحسنة وتعزيز روحية التعاون والمساهمة الصحيحة في الأمور، واحترام الكبار والرأفة بالصغار، وتنمية سعة الصدر وإصلاح ذات البين والدعوة والوصية بالخير.

- وفي العلاقة مع العالم يجري الاستخدام والاستفادة المناسبة من الحيوان والنبات، وإعمار الأرض والانتفاع بها، وتستخدم العلوم والفنون والابتكارات في هذا الصدد. وطبيعي أن هناك أهداف وأغراض في المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والعسكرية، لا يمكن الإشارة إليها كلها في هذا القسم.

والخلاصة أن ما يريده الإسلام هو حصول تحول وتغيير وحركة في الفرد حتى يقدر على التخرج من دروس هذا العالم وهذه المدرسة ويكون أهلاً للوصول إلى مقام العبودية ولائقاً للرجوع إلى الرب ولقائه.

الهدف والقيمة:

المهم هو أن العقائد والأديان لا تطرح أي هدف، وإنما تطرح أهدافاً تتمتع بقيمة وقدسية مقبولة وطهارة ونزاهة وتوجد فيها الأهلية في تفسير وتوضيح معنى الحياة.

وتحاول الأنظمة التربوية تجاهل الأهداف الوضيعة والصغيرة والتحرك باتجاه الأهداف التي لها قيمة مطلقة.

والغرض من هذه الأهداف هو بناء أفراد يمثلون مظهراً للقيم المقبولة في المجتمع ولا تتعارض رغباتهم مع النوايا السامية للمجتمع. وهم يتخلصون من الضياع عن طريق جعل الأهداف موضع اهتمام والتحرك في الطريق الذي يوصلهم إلى الهدف بلا خسائر.

الفصل الثامن عشر

تقسيـم الأهداف

من الضروري استعراض المسائل المطروحة في قضية الأهداف بصورة دقيقة ومفصلة من أجل إمكانية دراستها، وأما كليات الموضوع فهي بالشكل الذي أشرنا إليه في الفصل السابق.

وهذا التقسيم الذي هو في الحقيقة من أجل البيان التفصيلي، ممكن من ناحيتين: إحداهما من زاوية علاقات الإنسان مع الكائنات التي تحيط به، والأخرى من زاوية حقائق المجتمع، وأسلوب العمل في كلا الحالتين عادة هو تقسيم الهدف العام إلى أقسام أصغر وتقديم رؤية أوسع في هذا الصدد. ويجب الإشارة إلى أنه لا يمكن الانتظار من هذا التقسيم، دراسة المسائل من جميع الجوانب، وإنما الغرض هو طرح الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً مما مر في البحث السابق.

الأهداف من زاوية نوع علاقات الإنسان:

وفي هذا الصدد يمكن بحث الأهداف من هذه الجوانب:

١ ـ الأهداف ذات العلاقة بروابط الإنسان مع نفسه.

٢ ـ الأهداف ذات الصلة بعلاقة الإنسان مع خالقه.

٣ ـ الأهداف المتعلقة بعلاقات الإنسان مع سائر أبناء نوعه في الأسرة والمجتمع.

٤ ـ الأهداف المتصلة بعلاقات الإنسان مع العالم.

وبالإمكان طرح بعض المسائل بشكل تفصيلي بشأن الحالات

المتقدمة، وسوف نذكرها بشكل آخر في التقسيمات اللاحقة، وأما ما يتعلق بعلاقات الإنسان مع العالم فيجب القول:

نحن ننظر إلى العالم ككتلة متصلة ومترابطة مؤلفة من الكائنات ونحن نرتبط بها ونحيط بها في بعض الحالات، بعض هذه الكائنات نلمسها عن طريق الحواس وبصورة مباشرة، وبعضها نعرفها وندركها من خلال الحواس المجهزة، وكلاهما يدخلان تحت عنوان عالم الشهود، بينما نتعرف على قسم آخر عن طريق آثارها ونعجز عن إدراكها بالحس واللمس المباشر، كالمسائل ذات العلاقة بالمعنويات وهي تسمى في التقسيم بعالم الغيب.

إننا نرتبط مادياً`بالعالم عن طريق التراب والهواء، ونرتبط معنوياً من خلال الفكر والتدبر أو أسراره، ومن الضروري في أهداف التربية التي تلحظ من هذه الزاوية، تحديد المواقف ليتضح لماذا نسعى للارتباط معها.

الأهداف من زاوية الحقائق الموجودة:

تقسم حقائق المجتمع عادة إلى أربعة أقسام (سياسية، اجتماعية، ثقافية، واقتصادية) وسوف نبحثها وندرسها، ومن أجل القيام بدراسة أشمل للأهداف في هذا البحث فلا بد لنا من توسيع هذا التقسيم قليلاً، فنضيف إليه الأهداف الشخصية والمعنوية مع جوانبها وأبعادها.

والنكتة الأخرى المطروحة في هذا التقسيم هي أن مضمون كل قسم قد نظم بشكل بحيث يمكن القول بقليل من المسامحة، ان المعايير المطروحة بشأن أهداف التربية يمكن أن تنطبق على وجهة نظر الإسلام أيضاً. وليس بالاستطاعة ملاحظة تفاصيل الأهداف من هذه الزاوية، إلا أنه بالإمكان تقديم أفق لذلك من خلال الشرح التالي:

١ ـ الأهداف في الجانب الشخصي:

في هذا القسم يطرح الإنسان وأبعاده الوجودية، ونريد أن نعلم ما هو الهدف الذي نريد تحقيقه في مجال الإنسان وما هي الطموحات التي نبحث عنها.

لا شك أن الهدف هو بناء الإنسان وإيصاله إلى أرفع مرتبة من الجمال

والكمال، أو بعبارة أخرى إيصاله إلى مقام العبودية. نريد بناءه بالشكل الذي تنسجم وتنمو وتنضج أبعاد شخصيته، ويختار في حدود الإمكان والاستطاعة مسيراً مدروساً للسعي واستمرار الحياة، وتكون رغباته وأعماله في اتجاه رشده ورقيه وابتعاده عن الرذائل.

وأخيراً فالغرض العام هو إيصاله إلى الدرجة التي يصبح أهلاً لمقام خليفة الله، والوصول به عن طريق العبودية إلى منتهى درجة سيره الإمكاني وجعله يسعى في سبيل الله، ويطلب رضاه، ويحب في سبيله، ويبغض في سبيله، ويغضب من أجل رضاه و...

والأهداف المطروحة في مجال التربية الشخصية يمكن تقسيمها من زاوية أبعاده الوجودية، فمثلاً:

١ ـ **في مجال البدن**: يمكن أن يكون الهدف هنا هو التنمية المتوازنة للبدن والغرائز وبناء أرضية الصبر والمقاومة، من أجل أن يتمكن من الوقوف أمام الشدائد والمصاعب، وتؤثر سلامة البدن في الرشد والسلامة العقلية ولهذا يؤخذ بنظر الاعتبار الاهتمام بجمع الأمور التي تؤمن هذه الأغراض. إن التمتع بالطيبات والتغذية المناسبة، والعناية بصحة ونظافة الجسم، والاهتمام بالأمور المؤثرة في قوة البدن واستعمال السوائل المناسبة والابتعاد عن الاضرار والأمراض يدخل ضمن الأهداف التربوية في هذا الموضوع.

٢ ـ **على صعيد الفكر والذهن**: يمكن اعتبار نشوء ونمو القوى العقلية والإدراكية في الإنسان ونمو الفهم وقدرة التمييز، وبناء العقل لتمييز الحق من الباطل وبناء وتوجيه الإنسان والمحافظة عليه من خطر الانحراف، من الأهداف المهمة للتربية. وما أكثر المجاهيل التي تكتشف في ظل التعقل والتفكير وما أكثر الحالات التي يسيطر فيها العقل والتفكير على الذكاء القوي.

ومن الأهداف الأُخرى في هذا الصدد إعداد الأرضية المناسبة للإدراك والتشخيص، وتكامل الأسلوب الفكري ومستلزمات رشد المجال الاستنباطي للتمارين والممارسات من أجل مهارة وتوجيه الفكر والعقل نحو الاكتشاف والاختراع.

٣ ـ في مجال النفس: والهدف هو إحياء وتفجير الطاقات، والرشد الطبيعي، التدريجي والتلاؤم بينهما، ومعرفة القابليات الفطرية ونضوجها، تفعيل الإمكانات، رشد وتنمية الرغبات الإيجابية وتوجيهها نحو الخير والكمال وانطباقها الصحيح مع الأسس والضوابط الإنسانية وتوازن غريزة المنافسة والتملك والسرور واللذة والتقليد والتبعية و. . .

ويجب الاعتناء بالرغبة في كسب الوعي ودراسة الذاكرة وتنمية القابليات العامة مثل الدقة، المقارنة، الاستدلال، البحث، تجنب عوامل إضعاف النفس واختلال الدماغ. كما يتم الاهتمام بتنمية القابليات، لأنها رأسمال الإنسان ووجود الإنسان قائم عليها، وهي في الحقيقة عامل في سعادته.

وعلى أي حال فإن بناء النفس هو من الأهداف المهمة في التربية، فالنفس هي مركز اللذات البشرية وهي حارس الحياة ومرشد إلى النور والخير، وسبب في إقامة العلاقة مع الله، وهي أقوى القوى المتصلة بحقائق الإنسان.

وعلى الصعيد الشخصي تطرح مسألة الاهتمام بالنفس وبالبعد الإلهي للإنسان والعظمة والكرامة والوجودية وضبط النفس أمام المشكلات ومحاسبتها في الأمور والقضايا، وتزكية وجوده وابعاد النفس عن الرذائل والأمور الدنيئة واكتساب النظم والضابطة على النفس، والسعي لاكتساب المكارم الأخلاقية وتنمية حالة الالتزام والمسؤولية والعواطف الإنسانية.

٢ ـ الأهداف الاجتماعية:

يجب القول في هذا الصدد ان هدف التربية هو إعداد الفرد للحياة في المجتمع حيث تُلحظ بالتأكيد قضية مراعاة حقوق كل الناس.

كما يُراعى الإنصاف والاحترام في التعامل، والتمتع بسعة الصدر في العِشرة، ومراعاة التفاهم والانضباط في العلاقات الفردية والاجتماعية، والتعاضد في مجرى الحياة وتعزيز العلاقات البناءة واحترام الكبار والرأفة بالصغار والعِشرة الحسنة مع الجميع والقيام بالوظائف التبادل والتعاون والمساهمة في الأمور الاجتماعية.

في إطار الأسرة: بعض الأهداف هنا ذات صلة بتشكيل الأسرة والاهتمام بقدسيتها من أجل حصول السكون بين الزوجين وإكمال وتكامل الاثنين والحصول على المودة والصفاء الخالص وتكثير النسل من أجل استمراره وبقائه والتربية الصحيحة لأفراد العائلة، وتعيين حدود وظائف وحقوق بعضهما الآخر، وتأمين العلاقات العائلية وتنمية روحية الأدب والاحترام بينهم ومراعاة حرمة الوالدين وخاصة الأم والدفاع عن حقوق الأبناء وخاصة البنت.

في مجال الأخلاق: من الأهداف المطروحة على هذا الصعيد الاهتمام بإقامة علاقة إنسانية بين الأفراد والتعاون في أعمال الخير والتضحية والإيثار في الحالات اللازمة والتعاضد والتكافل الاجتماعي وترسيخ روحية حب العدالة والمساواة واستئصال الجور والتمييز، والرغبة في الاهتمام بأمور المسلمين والأخوة مع المؤمنين والنصيحة للعامة، والدفاع عن المظلوم والوقوف بوجه الظالمين والسعي لإصلاح ذات البين، والشعور بالالتزام تجاه الناس والدعوة إلى الخير والتواصي بالصبر ورفع العدوان وذمّه وقمع المعتدي والحكم بالحق والعدل والقبول بالحق وإن كان فيه ضرر وتقوية روح التفاهم والإدراك والسعي في إرشاد وهداية الناس والرأفة بالناس ومراعاة الإنصاف في التعامل والمشاورة وتبادل الآراء وتجنب الاستبداد و. . .

٣ ـ في المجال الثقافي: وأهداف التربية هنا تتضمن اتخاذ الموقف الصحيح في مجال العلم والفلسفة والأدب والفن والشعائر والمناسب والآداب والتقاليد والاختراعات والأمور الاجتماعية الأخرى. والتأكيد على نشر العلم الذي يسير في طريق رشد وسمو الشخصية ويمهد لوصولها إلى مقام القرب والعبودية الخالصة، وتقوية الروحية العلمية وبناء وتشغيل الفكر والذهن ومواصلة السعي في التعليم والتعلم من أجل رشد مستمر.

ويُؤكّد في الفكر والفلسفة على الإطلاع على الأفكار والفلسفات ونمط فكر أصحاب العقائد والأفكار وتقييمها واختيار أفضلها، ويجب في هذا الطريق العمل على تكامل الأساليب والأفكار من خلال الوعي والعمل بطريقة التحقيق والقبول بالفكر والفلسفة التي تستهدف هداية الإنسان ورشده ووعيه وكماله.

والتركيز على معرفة اللغة المحكية والعقيدة حتى يمكن الاستفادة من المعارف والذخائر على ضوء ذلك والاعتناء بتنمية الذوق الفني وإنضاجه وتلطيفه لغرض إدراك ما في العالم من جمال والاستفادة من المواهب الإلهية.

ومن أهداف التربية، تقييم الآداب والتقاليد القيمة والاستفادة منها، بالحدود التي تتلاءم مع فطرة الإنسان، والمحافظة عليها ونشرها. وبذل الجهد في الالتزام وتعظيم الشعائر ومكانة الجماعات والمراكز العبادية.

والفن القيّم والمُوقظ يحظى بالتأييد، والشعائر التي تتفق مع الأهداف الإنسانية، ومعرفة الحق من الباطل والصواب من الخطأ، يمكن أن تكون هدفاً، من أجل الأمر والإرشاد إلى المعروف والنهي عن المنكر والأمور المذمومة، كما أن المحافظة على التراث الثقافي النفيس، والاستفادة منه في اتجاه التنمية والانتفاع وتنمية وتشجيع الابتكار والاختراع وكذلك التجارب القيمة التي لدى الآخرين، بالإمكان أن تعتبر هدفاً في هذا الشأن.

ويتم في جميع الحالات التأكيد على ضغط ونشر الثقافة الإنسانية والسعي لإثرائهما مع التركيز على الاستقلال الثقافي.

٤ ـ في إطار الأهداف الاقتصادية:

الهدف هنا هو تربية أفراد باستطاعتهم المحافظة على استقلالهم الاقتصادي من خلال الارتكاز على سعيهم وجهده، فلا يكونوا جنوداً لغيرهم. وبجهودهم يُعينون غيرهم والذين ليس لديهم القدرة على العمل، بالإضافة إلى وصولهم إلى الأهداف الاقتصادية في حياتهم، ويبنون بشكل عام اقتصاداً مستقلاً يتمتع بالاكتفاء الذاتي.

ومن أهداف التربية الاعتقاد بالملكية المطلقة لله، والملكية النسبية والاعتبارية لهم وأن الإنسان يحق له الانتفاع في ظل العملي المفيد، وأن عليه في نفس الوقت المحافظة على الأمانات الإلهية بوصفها نِعَم الله.

وثمة هدف آخر هو تربية أشخاص يتقدمون بما يتناسب وطاقتهم وقابليتهم، ويكتسبون الفنون والمهارات اللازمة للعمل ورفع الانتاج. وفي هذا الطريق يعلّمون عباد الله، ما لديهم من إمكانات وطاقات، وينظرون إلى

احترام العمل والسعي لإعمار الأرض والمحافظة على المصادر والاستفادة الصحيحة منها، بوصفها عباد.

ويمكن اعتبار رشد وتنمية روحية القناعة والاقتصاد على طريق مراعاة العدالة الاجتماعية، وتجنب الإسراف والتبذير من أجل رفع حاجة الآخرين وتقوية وتنمية الجهود الجماعية والتعاون ونشر فكرة الإنفاق والإيثار والمساهمة في أعمال الخير ووقف الأموال، إنها من أهداف التربية الاقتصادية.

وأخيراً فإن العمل على إعمار الأرض واستخراج المعادن ومراعاة الحق والعدل والقسط والابتعاد عن الاستغلال والانتفاع الظالم، وتأسيس المؤسسات ذات النفع العام وخدمة المحرومين والمستضعفين تشكل هدفاً من الأهداف في هذا الصدد.

٥ ـ الأهداف السياسية:

ويعتبر الهدف في هذا المجال هو السعي للقيام بدور الإنسان في المجتمع بوصفه عضواً سياسياً مؤثراً وبنّاءً، ومعرفة الحكم والتعاون مع المنظمات السياسية القانونية الحقة ومراعاة الحقوق والحدود وحرية الأفراد في إطار القانون والشرع، والإشراف على التيار السياسي وحسن إجراء القوانين وإرشاد وتنبيه وتحذير المؤسسات والأجهزة، والامتناع عن القبول الإجباري للعقائد والأفكار السياسية والمقررات التي تخالف الاعتبار ومسير التكامل في الإنسان، والعمل على تأسيس مؤسسة وتنظيم وتحزّب على أساس الأرضية الفطرية والغريزة، ومعرفة فنون الدفاع والمواجهة في الحالات الضرورية، حيث المحافظة على الشرف والإنسانية. ولمراعاة الترتيب في هذا البحث، يجب التحدث في ثلاث مسائل:

أ ـ على صعيد السياسة الداخلية: وتستعرض فيه ضرورة القائد والقانون والمقررات والسعي لإيصال الإنسان إلى مرحلة التبعية المشروعة والمعقولة بالارتكاز على مراعاة القوانين والمقررات المقدسة، احترام القانون الشرعي، دعم التيارات السياسية البناءة ومحاربة الاستكبار والاستضعاف واستغلال الناس والاستفادة من الجماعات والمجتمعات

لتحقيق الوحدة ورفع مستوى المعرفة الإجتماعية والسياسية للشعب وتقوية روحية التفاهم والتعايش السلمي من أجل حل مسائل المجتمع الاجتماعية والسياسية، والسعي إلى التنظيم والتحزب من أجل التواجد في قضايا الحياة السياسية وتعيين الوضع الاجتماعي والسياسي للناس والشعور بالالتزام والمسؤولية تجاه المسائل والقضايا والإشراف على حسن إجراء القوانين والحث على مشاركة الشعب الفعالة في النشاطات السياسية والتعاون الاجتماعي وتعزيز روح الطموح لغرض البناء المستمر، وبذل الجهود لتحقيق الاستقلال السياسي من خلال تنظيم الأفراد وبالتوكل على القدرة الإلهية والاستفادة من الحريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ب ـ على صعيد السياسة الخارجية: وتتضمن إعلان السلام والتعايش السلمي مع جميع الناس الراغبين بالسلام والأمن، وإقامة علاقات أخوية مع دول العالم الإسلامي والعلاقات العادلة مع أهل الكتاب ومع الذين يتفقون معنا في التوحيد والمعاد، ومراعاة الاستقلال، وعدم القبول بولاية غير المسلمين بشكل مطلق، وإقامة علاقات إنسانية وعادلة ومنصفة مع جميع شعوب العالم وتنمية العلاقات من أجل التفاهم عن طريق التركيز على النقاط المشتركة في الثقافة والأخلاق والتبادل الثقافي والاقتصادي مع مراعاة حقوق الناس، وإقامة علاقات سياسية واقتصادية مع المجتمعات التي لا تحاربنا، والسعي لتعزيز علاقات المودة والاخوة بين الشعوب الإسلامية لغرض تشكيل مجتمع وأمة واحدة، ومراعاة حق الجوار مع إدراك مكانة الدول، ومحاربة العدوان والاستكبار ومساعدة الحركات التحررية والعادلة، والعمل على إصلاح العلاقات عن طريق التضامن والتفاهم ورفع العقبات الموجودة في طريق التعاون ووحدة الفكر واحترام الإنسانية مع مراعاة الأولوية في احترام العقائد والأفكار المشتركة والاهتمام بالقسط والعدل المقبول عند الله، وأخيراً الدعوة إلى التعاون والنصيحة والإنصاف.

ج ـ على الصعيد الدفاعي: العمل على إعداد جميع الأفراد من النساء والرجال والشيوخ والشباب، عسكرياً لغرض التمكن من الدفاع عن كرامتهم وشرفهم وإنسانيتهم وعقيدتهم وثروتهم ومعنويتهم ومجتمعهم. وتهيئة القوى اللازمة وفقاً لضرورات العصر واستعراضها من أجل إرعاب العدو وتنمية

وتقوية الرغبة في الشهادة والإيثار والتضحية من أجل التقدم وعدم الخوف في محاربة الخصم والتركيز على سلامة الجسم، وصحة النفس وقدسية الإرادة وقوة الصبر والثبات لدى لأفراد وتعزيز روحية الشجاعة والشهامة من أجل الحرب والجهاد في سبيل الله، وإثارة الرغبة عند الأفراد لإيصال كلمة الله، وإعلان الحق في الداخل والخارج والجهاد التحرري ضد جميع السائرين في طريق الاستضعاف والاستغلال والسعي لإقامة حكومة الحق واستمرارها، واستخدام طرق التعايش السلمي أو المواجهة المسلحة بتوجيه من قيادة شرعية وحقة، وأخيراً تعزيز روحية طلب الشهادة من أجل كسب رضى الله، وصرف المال والنفس والكرامة في هذا الطريق.

الأهداف المعنوية:

وذلك بإقامة علاقة مع مبدء الخلق والكمال والوجود والاستعانة به وطلب الهداية منه بهدف قطع الطريق والبلوغ إلى الكمال. والهدف في هذا الطريق هي معرفة الله بواسطة مطالعة ومعاينة الآثار والتفكر والتدبر في الخلق وسير الكائنات وإدراك ومعرفة علاقات الإنسان مع الله وعلاقات الله معه، والغرض هو فهم علاقة الخالق معه ليعرف الموقف الذي عليه أن يتخذه تجاهه. ولا شك أن علاقة الخالق معه هي علاقة مالك بمملوك ورب بمربوب ورازق بمرزوق وراحم بمرحوم ومولى بعبد و... وعلاقة العبد مع الله هي علاقة خضوع وخشوع ودعاء ومناجاة وشكر للنعم وسير وانسجام مع سنن الله والالتزام والطاعة لأوامره، وذكر الله والانس معه والإيمان بالأنبياء واحترامهم هم وخلفاءهم، وكذلك الذين لهم مقام الولاية على الناس بعدهم أو في غيبتهم.

وأخيراً فالهدف هو أن يرى الإنسان نفسه مسؤولاً أمامه، ويتجنب التهاون في أداء وظيفته ويسعى إلى توجيه إمكاناته نحو الخير، بالاتكال والتوكل عليه وجعل المفاهيم المعنوية الأصيلة مؤثرة في جميع الشؤون المادية.

الفصل التاسع عشر

مصدر الأهداف وكيفيتها

نتناول في هذا الفصل مسألة المصدر الذي تستخرج منه الأهداف والمسائل ذات العلاقة بها وما هي القواعد التي تقوم عليها؟ وكيف تُحدد الأهداف وتُنتخب؟ وما هي الأبعاد التي يجب أن تتوفر فيها؟ وما هو اتجاهها؟ وما هي نقطة الارتكاز؟ وهل تكون على مرحلة واحدة أو عدة مراحل، وما هي النقطة العامة والنهائية لها و. . .

إن الخطوة الأولى لكل عملية تخطيط، هي تعيين الأهداف وجوانبها وفقاً للمسائل المتقدمة، وما لم تتضح هذه الجوانب فإنه لا يمكن تحديد المضمون والتجديد التربوي وإعداد المعلم ورسم الاتجاهات والمواقف.

وتختلف المجتمعات والعقائد والأديان في الإجابة على هذه الأسئلة، وقد كان طرح ذلك من أجل القيام بمزيد من البحث والعثور على فكر ورؤية ما ونشرها، وسوف نشير في هذا البحث إلى بعض وجهات النظر والمواقف، باختصار:

أ ـ رأي المجتمعات: هناك ثلاثة أشكال لمصادر الأهداف في المجتمعات المختلفة:

١ ـ العقائد والفلسفات: في البلدان التي يطرح فيها الحكم فلسفة أو عقيدة معينة، تكون مصادر تعيين الأهداف، عادة، هي الرؤية العقائدية أو الفلسفية تلك. فمصادر الأهداف في الدول الاشتراكية مثلاً تستخرج من الفلسفة الاشتراكية، وفي المجتمعات الماركسية تكون مصادر الأهداف من نمط الفكر الماركسي، وتتصف الحكومة القائمة على عقيدة أو فلسفة ما بالعمق في ذلك المجال، وتبنى على ذلك الأساس جميع الخطط العسكرية

والسياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية، وهذا بالطبع نوع من الادعاء النظري، إذ قد تكون هناك مستلزمات وأرضية منحرفة من الناحية العملية، حيث يمكن القول على سبيل المثال ان ما هو مطروح في الاتحاد السوفيتي هو ماركسي بالاسم، وفي العمل عبارة عن أنماط فكرية ملتقطة من الآخرين.

٢ ـ **إرادة الشعب**: تعتقد كثير من المجتمعات الغربية المتبعة لفكر بعض العلماء مثل كرشن شتاينر، ان قواعد وأهداف التربية يجب أن تبنى على أساس إرادة وطموحات الشعب وما يريده من النظام التربوي، ويجب أن تكون الأسرة والمدرسة مراكز لممارسة الحياة الاجتماعية. ويجب أن تكون لدى المعلمين والمخططين معلومات جامعة حول رغبات شعوبهم المعاصرة، ليمارسوا التربية على ذلك الأساس.

وهذا المسار والأسلوب يطبق اسمياً في المجتمعات البرجوازية، إلا أن الخطط والإجراءات في الحقيقة ليست إلا تجسيداً لإرادة بعض الأفراد والحكام الذين هم على رأس الأمور، فيقولبون إرادتهم ويقدمونها إلى الشعب باستخدام الوسائل والإمكانات الإعلامية التي تحت تصرفهم.

٣ ـ **موازين العقل والعلم**: وتعتقد جماعة من العلماء بوجوب دراسة أفكار العقائد والفلسفات المختلفة في إطار تقييم علمي على المستوى الدولي وتطبيق العلمي منها سواء بشكل مستقل أو بصورة خلط. وهناك دول ومجتمعات تزعم ان ذلك موجود لديهم ويُعمل به بوصفه هدفاً، واننا نعلم أن هذا الاعداء وإن كان صادقاً في حدود قليلة جداً، فهو عملياً يمثل إرادة ورأي عدد قليل من المشهورين الذين يؤطرون وجهات نظرهم باسم العلم ويقدمونها للاستهلاك، وإلا فالشيء الذي يدخل في معيار العقل السليم والعلم لا يمكن أن يسبب كل هذه الخسائر.

ب ـ **رأي الإسلام**: إن للإسلام رأياً أبعد من آراء الفلاسفة وأصحاب العقائد والحكام والمسؤولين المعاصرين، إن الإسلام لا يقبل بالأهداف التربوية التي يطرحها الفلاسفة والعقائد وأصحاب العمل والفكر، وإن كانوا واعين ومن أهل الرأي، فهو يعتبر أهداف التربية مرتبطة كثيراً بأوضاع وأعمار الناس، ولأن أولئك غير مصانين من الخطأ والاشتباه وليس

باستطاعتهم رؤية الماضي والمستقبل كما كان وسوف يكون، كما أنه لا يمكن الوثوق بإخلاص نية وصدق جميع الذين يتصدون لأمر بناء وإرشاد الجيل، فكثير منهم قد باعوا أنفسهم واشتروا رضى أسيادهم.

ثم ان تحديد الأهداف يتطلب امتلاك علم ووعي شامل للأبعاد الوجودية للإنسان وعلاقته مع الظواهر المختلفة والتأثيرات والتأثرات المختلفة، والتأثيرات والتأثرات المختلفة، كما أن من الضروري أن يتوفر لدى مصمم الأهداف اطلاع على الماضي والمستقبل كالاطلاع على الحال الراهن، ويكون محيطاً بجوانب الخلق، ولا يمكن أن يكون إلا الخالق.

١ ـ وعلى هذا فيجب القول ان الله تعالى هو مصدر الأهداف، وهو مطلع على جميع جوانب وأبعاد الإنسان، فهو خالق الإنسان، وعارف برغباته وتعلقاته وأسراره ودقائق سلوكه وكنهه، وأهم من ذلك، هو أن الله لا ينافس الإنسان لا يحسده ولا يستغله ولا يستفيد منه، بل يريد لهم الخير والسعادة، والأفضل تسليم مصير حياة الإنسان إلى هذا الأخصائي الذي يريد له الخير.

٢ ـ ومصدر الأهداف من ناحية أخرى هو الأرضية الفطرية والغريزية والطبيعية فيه، فوجود كل عنصر في الإنسان يدل على طلب حق من الإنسان. إن كيفية العمل المشروع للأعضاء والأغراض والأهداف المرسومة للأعضاء، بالإمكان أن تكون موجهاً للإنسان في مسير تحديد الأهداف. يجب التعرف على الغرض من خلق العين والأذن وسائر الأعضاء من خلال الرؤية الكونية ورؤية الخالق، وما هي المراحل والأهداف التي يجب أخذها بنظر الاعتبار لبلوغ ذلك الغرض.

٣ ـ وهناك مصدر آخر، يمكن أن يكون إرادة وحاجة المجتمع الإسلامي، حيث يجب ملاحظة ما هي رغبة مجتمع ما وما هو الاتجاه الذي عليه أن يتحرك نحوه؟ وما هي مرحلة النمو التي يمر بها المجتمع؟ وما هو اتجاهه؟ هل هو صناعي أم زراعي، هل هو تابعاً أم مكتفياً ذاتياً، وما هي الطموحات المتوقعة من هذه المسائل؟ ولا شك أن التأكيد في هذا الصدد سوف ينصب على الحاجات المشروعة والحقيقية وليس الحاجات الكاذبة وغير المشروعة. وعلى هذا الأساس فإن المصادر التي تعيّن الأهداف بنظر

الإسلام هي إرادة الله وكتابه وأوليائه، أي القرآن والعترة، وتحدد الأهداف من القرآن والسنة عن طريق تبيين العترة، ومما لا شك فيهم أن إرادات الفلسفات والشعب والعلم المتقن والعقل السليم يمكن أن تحظى بالتأييد، ما دامت في مسير الحق والصواب وقائمة على أساس ضوابط الشرع، فتعتبر كمصدر في هذا المجال.

مسألة في تحديد الأهداف:

يلحظ المخططون والباحثون في التربية في تعيين أهدافها، عادة، النظام الفلسفي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والدفاعي والثقافي... الحاكم، ويأخذون بنظر الاعتبار الآداب والعادات والشعائر والمؤسسات والحياة الجماعية والعقائد والقيم وتقاليد المجتمع الحاكمة و...

ورغم أن هذا الأمر قد يصمم لهذا الوقت، ولكن آثار الاختيار وتعيين الأهداف لا تحدد بعد مرور سنة ولا حتى بعد عشر سنين، لأن إجراء الأهداف للأطفال يستمر إلى أن يبلغوا سنين الرشد ويدخلون المجتمع ويطبقون فيه ما تعلّموه، ولهذا فمن الضروري اليقظة والقيام بالإشراف على هذا التعيين.

جوانب الهدف:

تبغي الأهداف بالنتيجة النهائية أحد الأشكال الثلاثة الآتية:

١ ـ **الغاية المادية البحتة**: وهي التي يريدها الذين لا يعتقدون بالمعاد والآخرة، ويرون الحياة وجوانبها منحصرة في هذا العالم، حيث يكون شعارهم من نوع: كل والبس واشرب.

٢ ـ **الغاية المعنوية البحتة**: وهي عند من لا ينظر إلى الماديات أبداً، ويريد الوصول إلى المعنوية فقط، ويطلبها من أجل الحياة في العالم الآخر.

٣ ـ **الغاية المادية ـ المعنوية**: وفيها تكون الماديات وسائل لاستمرار الحياة والحصول على زاد السفر والسير نحو الكمالات، ولا يعتقد فيها بإلغاء الماديات، وإنما يجب الاهتمام بالماديات والأمور في هذا العالم وكذلك بالمعنويات وأمور ذلك العالم.

أبعاد الهدف:

وهنا تطرح هذه النكتة، وهي هل ان الأهداف ذات بُعد واحد أم أبعاد متعددة؟ وهل تهتم بالناحية البدنية والمادية للإنسان أم الناحية المعنوية؟ أم أبعاده المادية والمعنوية؟ وجواب ذلك ليس واحداً لدى كل الناس وكل العقائد، فالتربية وأهدافها، في عقيدتنا تتضمن جميع الأبعاد الوجودية للإنسان، وتسير في طريق التربية المتوازنة لجميع القوى، فهي تؤثر وتتأثر في بعضها الآخر ولا يمكن فصل الأهداف عن بعضها البعض.

الأهداف من ناحية الوصول:

أهداف التربية من حيث إمكانية الوصول، على شكلين: ممكنة الوصول ومحالة الوصول.

ـ فتنظم الأهداف الممكنة الوصول بالشكل الذي بالإمكان بلوغها في هذا العالم.

ـ وفي الأهداف المحالة الوصول نظمت الأهداف بالطريقة التي ليس باستطاعة الإنسان الوصول إليها في هذا العالم، وإذا كانت ثمة إمكانية لبلوغها، فذلك في الآخرة، لهذا يجب القبول بالحد الأدنى في هذا العالم لنيل الخير والسعادة في الدار الآخرة.

الأهداف من حيث كيفية الوصول:

يمكن تقسيم الأهداف إلى قسمين من ناحية سهولة أو صعوبة الحصول عليها:

سهلة الوصول وصعبة الوصول.

ـ نسمي الهدف سهل الوصول حين يمكن الوصول إليه بأقل جهد ومسعى.

ـ ويسمى الهدف صعب الوصول عندما يستطاع الوصول إليه بعد معاناة وتحمل أتعاب ومصائب.

ولا شك أن لكليهما مزايا ومساوىء، ولعل المثالي هو ذلك الذي لا

يكون سهلاً جداً فيصبح الإنسان مغروراً، ولا صعباً جداً فيثير اليأس وفقدان الأمل.

على صعيد النقطة المطلوبة:

ومن حيث النقطة الملحوظة التي يراد إيصال الصبي إليها في ظل التربية، قد يكون الهدف قريب الوصول أو بعيد الوصول.

- ويسمى الهدف قريب الوصول حين يمكن بلوغه بقطع طريق قصير كاستهداف الخبز والسكن وسائر الجوانب المادية التي تصل حسنتها بسرعة، ومساوئها هي اللاهدفية بعد الوصول والشعور باليأس.

- ونسمي الهدف بعيد الوصول عندما تكون النقطة المطلوبة بعيدة عن متناول اليد، ولا بد لنا من قطع الطريق مرحلة بعد مرحلة لبلوغها، وبعد قطع المصاعب وتحمل التعب والوصول إلى الهدف، تكون هناك إمكانية للصعود والسير، فميزته إمكانية الصعود والحصول على أرضية للرشد ومساوئهم تتمثل في الشعور باليأس منذ بداية السير والسلوك، ويجب اختيار الهدف الذي تتوفر فيه مزايا هاتين الناحيتين والافتقاد إلى مساوئهما.

على صعيد قطع الطريق:

الغرض هو السير نحو الهدف والذي قد يكون على مرحلة واحدة أو عدة مراحل، والهدف ذو المرحلة الواحدة يثير اليأس خاصة إذا كانت النقطة المطلوبة بعيدة المنال. أما في الهدف ذو المراحل العديدة فإن المسافة بين النقطة الموجودة والنقطة المستهدفة تقسم إلى عدة أقسام، فسيسير المرء بشغف نحو المحطة الأولى وبعد الوصول يشعر بالهدوء والسكون ثم يقيم وضعه وحاله وبعد ذلك يتجه نحو النقطة والمحطة الثانية، وهذا يمثل عامل أمل. والمهم في هذا السير هو أن يكون في طريق الهدف وفي الصراط المطلوب، فهو قد يبلغ نقطة خاصة ولكنه لا يصل إلى النقطة الأساسية، رغم أن عدم الوصول إليها لا يستدعي كثيراً من التوبيخ، فالمهم أن يكون الإنسان على الطريق.

السرعة: والمقصود هو نوع السير نحو الهدف، فهل الحركة بطيئة كحركة السلحفاة، أم أنها سريعة مقرونة بالعجلة؟ في المسير البطيء تتوفر

إمكانية التذاذ البدن والارتياح والاستفادة من اللذات، بينما الأساس في الحركة السريعة هو بلوغ الإنسان الهدف والتمتع باللذائذ والماديات في حدود استخدامها كوسيلة في هذا الطريق. والصحيح بالطبع أن تكون سرعة السير نحو الهدف، سرعة متوازنة حتى لا تسبب التكاسل ولا التعب والألم.

اتجاه الهدف: والكلام هنا هو هل ان اتجاه الهدف إيجابي أم سلبي؟ وهذا مرهون بكيفية الهدف التربوي المختار، هل هو قيم أم لا؟ وهل ان غاية الإنسان بناء الفرد أم استرقاقه؟ هل يراد تربية فرد أخلاقي أم لص؟ وطبيعي أن كل العاملين في المجال التربوي يتصورون أن اتجاه أهدافهم هو اتجاه إيجابي، ولكن بالإمكان الحكم عليه بملاحظة المعايير الدينية والأخلاقية.

شكل المسير باتجاه الهدف:

يمكن اتخاذ إحدى الصور الأربع التالية في التحرك نحو الهدف:

١ ـ **المحافظة على الظروف القائمة**: بمعنى أن يتلخص الهدف من التربية في أخذ الظرف الراهن بعين الاعتبار.

٢ ـ **إحياء الماضي**: وذلك بإحياء أهداف وأنماط الأفكار والعادات والتقاليد التي كان عليها الماضون.

٣ ـ **الاهتمام بالمستقبل**: أي الاعتناء بهدف مثالي وتربية الأفراد للمستقبل من خلال منع الاهتمام باللذائذ الموجودة.

٤ ـ **الالتفات إلى الماضي والحاضر والمستقبل**: وذلك بالاستفادة من الجوانب الإيجابية للماضي والانتفاع بالوضع الحالي وتهيئة النفس للمستقبل البعيد والقريب، وهذا هو النمط الفكري للإسلام.

صورة المسير: تكون صورة المسير باتجاه الهدف، أفقية من جهة، بمعنى أنهما تنطلق من نقطة وتنتهي عند نقطة أخرى، وهي عمودية من جهة أخرى، بمعنى أنها توفر مستلزمات الرشد والكمال والرقي للإنسان ويتم تجنب الأهداف التي تجعل الإنسان يراوح مكانه كالحيوان.

النقطة العامة والنهائية:

تختلف النقطة العامة والنهائية للسير في الوصول إلى الأهداف، لدى العقائد المادية والإلهية، فالمحطة النهائية عند الماديين هي بلوغ اللذات المادية وأخيراً الموت الذي يعتبرونه الفناء المطلق، فالموت بنظرهم يعني انتهاء كل شيء وصيرورة الإنسان جزء من التراب.

أما بنظر الإلهيين فهو يعني لقاء الله، حيث تبدء بعد الموت حياة جديدة، ويصل إلى عالم الحساب ثم العقوبة أو الانعام، وهذا الفكر قد بيّن بصورة خاصة في الكتاب السماوي للإسلام وهو القرآن، حيث تبين آيات عديدة، هذه المفاهيم.

﴿إلى الله تصير الأمور﴾ (الشورى/ ٥٣).

﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ (البقرة/ ٢١٠).

﴿ان إلى ربّك الرجعى﴾ (العلق/ ٨).

﴿وان إلى ربّك المنتهى﴾ (النجم/ ٤٢).

﴿وانا إليه راجعون﴾ (البقرة/ ١٥٦).

نرجع إلى الله وننال لقاءه، وهدفنا الوصول إلى الرحمة والعلم والقدرة المطلقة، والوصول إلى اللانهاية وإلى مرحلة التخلق بالأخلاق الإلهية.

الأرجحية في الأهداف:

يمكن طرح الأرجحية في الأهداف من وجهات نظر مختلفة:

- في النظام الماركسي تكون الأرجحية للاقتصاد، إذ يعتبر الأساس.

- والأرجحية عند الفرويدية هي للغريزة الجنسية، حيث توضح جميع أنواع السلوك على ضوئها.

- والأرجحية في الإسلام هي في الاتصاف بصفات الله والاستفادة من الإمكانات للوصول إلى ذلك الهدف.

إن الغرض العام هو أن الهدف أرفع من البطن والجنس، وان جهاد

وسعي الإنسان له قدر وقيمة أسمى من التفكير بالخبز والسكن، ويكون التركيز على أن يتصف الإنسان بصفات الخير وُيكون مظهراً للرحمن الرحيم، الغفار الوهاب، العادل، الستار، اللطيف، الكريم، الودود، الشهيد، الحليم، الرؤوف، الحكيم، البصير، العلوم، العزيز، السميع، السلام و. . . ويكون كل شيء في اتجاه رضى الله والانطباع بالطابع الإلهي. وهذا هو الهدف الذي يجب التحرك نحوه والاستفادة من جميع الوسائل والإمكانات من أجل بلوغه، وبمقدار درجة إمكاناتنا وسعينا نحصل على النجاح في هذا الطريق.

القسم السابع

مضمون التربية

يجب أن نتحدث في هذا المبحث عن مضمون التربية والتعليم وعن الثقافة والتراث الذي يجب انتقاله إلى الجيل الجديد. ونقصد بمضمون أو خطة التربية، مجموعة الفرص من إمكانات تعليمية، وبناء وإعمار وفنون ومهارات بعضها يمثل حصيلة الاكتسابات من الأجيال السالفة، وبعضها الآخر هو نتيجة الأفكار والابتكارات والاختراعات الراهنة.

إن التعرف على الحدود والمضمون والخطة التي نريد القيام بها للأفراد، هو من الشروط المهمة لكل أنواع التربية، والذي يجدر الاهتمام به كثيراً، خاصة من ناحية معرفة الأسس والمعايير التي تقوم عليها هذه المسائل المهمة، وذلك الشيء الذي يطرح على الفرد.

وسنتكلم في فصل من هذا البحث عن دائرة وأبعاد المضمون وما ننتظره منه، خاصة من النواحي الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية والسياسية والاقتصادية، وسوف نشير إلى المسائل التي تقع خارج إطار الخطة.

ونطرح في فصل آخر بحوثاً في مجال التربية وفقاً للجنس والعمر ومراحل الحياة وملاحظة نقاط التفاوت ومراعاة حاجة المجتمع والمنطقة وكذلك مراعاة المعايير مع لحاظ ظروف الزمان وتغييراته، وذلك تحت عنوان المضمون وفقاً للظروف والمقتضيات.

وأخيراً سنتطرق في الفصل الأخير من هذا المبحث لمصادر أخذ المضمون، وندرس ما هي نقطة ارتكازنا في تحديد المحتوى، هل هو الحال أم المستقبل؟ هل هو مادي أم معنوي؟ دنيوي أم أخروي؟ وما هي الضرورة التي يجب أن تكون موجودة لإثراء ذلك والمحافظة على الوحدة بين أبعاده، وما هو الأساس في نقله؟ مع مراعاة الاختصار.

الفصل العشرون

المضمون وسعته

إذا تجاهلنا المعارف الفطرية والغريزية في الإنسان، فيجب الإذعان بأن الإنسان يولد جاهلاً بلحاظ أصل الخلقة، كما أنه لا يعرف شيئاً عن المسائل والأسرار الموجودة في هذا العالم، وكذلك فلسفة الحياة، ثم يدرك كثيراً من الأمور من خلال تعلم ما يطرحه عليه الوالدان والمربون بشكل مباشر وغير مباشر، بصورة رسمية وغير رسمية، وما يتعلمه هو في ظل التفكر والتدبر في الأمور.

وتسمى مجموعة المعلومات والفنون والمهارات التي يكتسبها الإنسان في فترة حياته بمضمون التربية، ومن الواضح أن المرء ينتخب طريقة خاصة في الحياة من أثر الحصول على هذا المضمون ويقوم بممارسة سلوك خاص.

إن التربية هي عملية هادفة وواعية، ومن البديهي أن محتواها يجب أن يتحرك نحو هدف أي أن تتضح الفنون والوعي والمهارات التي يراد نقلها إلى الصبي، أما تعليم المسائل الفارغة والخاطئة أحياناً، فإنه لا يفضي إلى أي نفع، وقد يؤدي إلى تغيير في الأساس الفكري ويكون عاملاً في السقوط والانحطاط ووقع بعض المشكلات.

ما ننتظره من المضمون:

من الضروري قبل تحديد المضمون وتوضيح حدوده، أن يتضح ما هو الانتظار الذي نريده من المحتوى؟ ومن البديهي أن الصبي بحاجة اليوم وغداً إلى الحياة ويجب معرفة المسائل التي عليه تعلّمها للحياة.

والمسألة المهمة هي كيفية وشكل الحياة وكذلك الوسائل والأدوات اللازمة التي يريدها كوسيلة وأداة في هذه الحياة، فهل تقوم حياته على أساس أصالة الفرد أم أصالة الجمع أم هناك حداً وسطاً بينهما؟ وهل حياته تبنى على أساس التراث أم الصناعة؟ وهل الغرض هو بلوغ درجة ومقام ورتبة وحرمة خاصة أم ليس هناك غرض واضح؟

هل نريد تلقين الطفل المعرفة؟ ما هو نوعها؟ حسية أم إدراكية أم عاطفية أم مجموع هذه؟ وعلى أي حال ان ذهن الطفل حين الولادة يشبه صفحة صافية، ثم ترسم عليها رسوم بالتدريج، ويجب وضوح ما هي الرسوم التي نستهدفها، ففي الوقت الذي نعمل على إزالة مضامين الجهل من الأفراد علينا أن نرى هل من اللازم أن تكون هناك فائدة، أم أن ذلك لمجرد ملأ الفراغ وممارسة نوع من التفنن والترفية.

ويتجه المضمون عادة لبناء الفرد فتكون له علاقة صحيحة مع نفسه من جهة، وتحريكه كفرد في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية والعسكرية والدينية و... ويجب في جميع الأحوال الاهتمام بعلاقته مع الماضي والحاضر والمستقبل.

سعة وأبعاد المضمون:

وهكذا من الضروري أن يتبين ماذا ينبغي أن يتعلم الصبي. وتختلف العقائد وأهل الرأي في مسألة ماذا يجب تعليم الطفل وسعة ذلك وأبعاده، والكتب الدراسية والتعليم الرسمي في بعض المجتمعات محدود جداً، فقد كان الفيلسوف الغربي كمينوس الذي عاش في القرن ١٧ يلخص البرنامج الدراسي في التاريخ والجغرافية والقانون والخطابة والمنطق والموسيقى والرياضيات والهيئة والعلوم المدنية والدينية والاقتصاد والأخلاق. أما الفلاسفة الآخرون فلديهم وجهات نظر أوسع أو أقل سعة. فنرى في الإسلام مثلاً أن هناك سعة نظر أكثر بشأن طلب العلم بسبب التأكيد على طلب العلم من المهد إلى لحظة الموت وكذلك بسبب ملاحظة تحولات وحاجات المنطقة والزمان، والتوصية في حالة الإمكان بتعلم جميع المسائل والمعلومات التي لها علاقة بالحياة الفردية والاجتماعية والجسمية والعقلية

والنفسية للإنسان وحياته المادية والمعنوية، وتتمتع تعليمات الإسلام وبرامجه بعمومية وجامعية أكثر.

وهي تلحظ عادة المضمون الكامل للتربية، رابطة الإنسان مع نفسه وخالقه والناس والكائنات من حيوانات ونباتات وجمادات، بالإضافة إلى اهتمامها بماضي الإنسان وحاضره ومستقبله، وتسعى إلى فتح آفاق جديدة أمام الإنسان بما يتناسب والتحولات الجديدة.

تقسيم جوانب وأبعاد المضمون:

يمكن تقسيم المضمون على أساس الجوانب الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية وعلى أساس حقائق المجتمع، إلى الأشكال الآتية:

١ ـ **من الناحية الشخصية**: يمكن أن يوجه بعض مضمون التربية نحو:

ـ النواحي الجسمية للإنسان ومعرفة نفسه والمحافظة على سلامة البدن والصحة البدنية وتنمية وتقوية المسائل ذات الصلة بالعادات الصحية والتغذية.

ـ الجوانب النفسية كالاهتمام بالجوانب السامية في الحياة كالحرية وبعد النظر والنصيحة والالتفات إلى نواحي التعلق وإظهار نفسه، ومسألة النظم والهدف والمحبة والعاطفة والمحافظة على الأفكار الصحيحة والنضج الكامل للشخصية الإنسانية وتوازن الرغبات والميول.

ـ النواحي المتعلقة بالحياة الفردية، في تعيين فلسفة للحياة واستخدام أسلوب عقلي واتخاذ طريقة في المنطق واستعمال الاستدلال وقوة التحرير و التقرير والذاكرة وسرعة الانتقال...

ـ وأخيراً الجوانب ذات الصلة بانتقاد النفس وتقييمها ومحاسبتها، والتعود على التفكير والعثور على طرق مشروعة لإخماد الاشتعالات وبلورة الفكر والمعنوية والتركيز على الأمور التي تسبب الامتياز والتفاوت بين الإنسان والحيوان ورشد وتربية الوجدان وتجنب الشر ومعرفة وإدراك المسؤولية وتحمل النقد والصبر في المصائب والاتصاف بالمروءة والسلوك وتقوية قوة القيادة في النفس و...

٣ ـ من الناحية المعنوية: ينبغي أن يوضح مضمون التربية في هذا القسم نوعين من العلاقة:

ـ علاقة الله مع عبده، وهي علاقة إيجاد وإحياء وإرزاق ومالكية وراحمية ومولوية وآمرية وعلاقة نهي وإماته وأخذ ورد وجزاء وعقاب و. . .

ـ علاقة العبد مع الله، وهي علاقة مملوكية وعبودية وحاجة والقبول بالأمر والنهي والخشوع والخضوع والعبادة والاستعانة والالتزام برحمة الإيمان به و. . .

وينبغي أن تنظم التربية في هذا الصدد المسائل المتعلقة بالشرع وقوانينه والتقاليد والآداب الشرعية وكيفية العبادة والنواحي ذات العلاقة بحب الحق وطلبه وطلب العدالة وإقامة الحق والعدل والمحسنات المتعلقة بالأخلاق الشرعية والتعاليم ذات الصلة بها، وعموماً تنظيم علاقة الفرد مع ربّه على أساس تربية عبد صالح للمولى.

٣ ـ من الناحية الثقافية: يجب أن ينقل المضمون إلى الفرد بعض المسائل حول المجالات التالية:

ـ في مجال الفكر والفلسفات ذات العلاقة بالحياة الفردية والاجتماعية والغرض من الحياة الطيبة والمثالية و. . .

ـ في مجال القيم الموجودة والأفكار الصحيحة وتقييم الفضائل للاستفادة منها في الحياة الجديدة في الوصول إلى الكمال والقيم الشرعية والعرفية و. . .

ـ على صعيد العلم بمفاهيم الزمان والمكان والأمور الأساسية من قراءة وكتابة وحساب، وعليّة كيفية الانتفاع من العلم لنفس الإنسان أو للناس. . .

ـ على نطاق الفن، من معرفة الجمال والحسن وعوامل التوعية، والتعرف على عوامل التخدير وتجنبها، ومعرفة أنواع الفنون وغير ذلك.

ـ في مجال الأدب، وذلك في معرفة الأمثال والشعر والنثر واستخدام الأدب في التعليم المؤثر و. . .

ـ على صعيد العادات والتقاليد الصحيحة التي تؤدي إلى التوعية، وكذلك بعض المسائل في مجال المناسك والتشريفات القيمة و. . . وكذلك في إطار العادات والسلوك وكل ما هو بناء وإيجابي والتعامل مع الوالدين والأصدقاء والأسرة بما فيها من زوجة وأبناء، وأبناء الدين الواحد، ومع الأجانب.

في مجال الاختراعات والابتكارات وأنواع المواقف تجاهها. وطرق إيجادها بالاستفادة من القابليات والابتكارات وغيرها.

ـ على صعيد المنطق والاستدلال من خلال رفض العصبيات والنظرة القصيرة، وكيفية البيان ونوع المنطق المقبول، ومعرفة الأدلة و. . .

ـ التفكير المنطقي وابداء الآراء المدروسة وكيفية إقناع الطرف المقابل والامتناع عن الخدعة في الاستدلال، وتجنب الإغراء. . .

ـ وأخيراً إثراء الثقافة عن طرقها، ومعرفة الأبعاد الثقافية الأجنبية بهدف تقييمها ورشدها وتنميتها ونقلها إلى الجيل الجديد والحث على الاستفادة من سهمه في الدنيا وتعبئة القابليات والابتكارات والاستفادة من النتاجات الفكرية والعملية للآخرين.

٤ ـ من الناحية الاجتماعية: يجب بحث مضمون التربية في هذا المجال في المسائل والجوانب التالية:

ـ في مسألة الحياة الاجتماعية للإنسان والمسائل التي تهيىء الفرد للدخول إلى الحياة الاجتماعية من أجل المساهمة في مظاهر الحياة وما فيها من تعاون.

ـ مسألة حقوق الإنسان، من حقوق الأسرة، حقوق الناس، حقوق أبناء الدين الواحد، الحقوق الفردية والجماعية وسائر الحقوق التي ذكرت في ٧٠ حالة.

ـ نوع العلاقات والتعامل، وذلك على أساس الرحمة والعفو والعشرة مع الناس لغرض التعاون في الخير وعدم التعاون في الشر.

ـ العضوية المؤثرة في الأسرة وإدارة البيت والمساهمة في القرارات ومعرفة كيفية السلوك، الإنتاج المماثل وفق هدف وخطة. . .

ـ العضوية المؤثرة في المجتمع والتبعية للبلد بحيث يرى نفسه جزء من المجتمع، وخدمته والسير في طريق هدف المجتمع.

ـ احترام الناس وتعزيز ذلك على أساس المعايير الصحيحة والوعي برشد وقيمة الغير والتمتع برؤية واسعة وشاملة.

ـ الانطباق المدروس مع المجتمع وبناء الفرد الذي يتلاءم مع الآخرين وفقاً للجوانب العقلانية، ودراسة وتقييم ذلك، والاعتناء بقيمة المجتمع والإنسان.

ـ التعامل مع الناس، ونشر الرأفة والعواطف الاجتماعية في المعاملات، والاهتمام بالحق وبالصبر...

ـ القيام بالوظيفة الاجتماعية مقابل الخدمات المأخوذة من الناس وتحمل المشقة والخدمة في طريق الخلق والسعي باتجاه نفع الآخرين...

ـ معرفة الظروف ومراعاتها وفقاً للمعايير المعقولة، والوعي بالحقوق والتكاليف في هذا الصدد والتعرف على الوظائف تجاه مختلف الأشخاص.

ـ الاستقلال الفكري في المجتمع بحيث يعتمد على نفسه، وكذلك المحافظة على السيادة، وتجنب الخضوع مع المحافظة على مراعاة التوازن والسعي لإثبات الأمور الحقانية.

ـ التعاون والتكافل الاجتماعي في الحياة المشتركة ومراعاة الإنسانية في التبادل وإيجاد الرغبة في التعاون من خلال التأكيد على امتلاء القلب بمحبة الناس...

ـ مراعاة الأخلاق حسب معيار مقبول، والتأكيد على الأخلاق الحية الموجهة والاهتمام بالحق والعدل والإنصاف وزرع الملكات الفاضلة.

ـ فهم التيارات الاجتماعية والدفاع عن الوجود والشرف، ومعرفة التيارات الحقة والباطلة من أجل حفظ النفس من لصوص الفكر.

ـ الاستفادة من أوقات الفراغ لصالح الحياة الاجتماعية، وإيجاد الشعور بالمسؤولية وإدراك قيم التضحية والإيثار والخدمة.

ـ الحياة في المجتمع والهرب من الاعتزال والانفراد في السير والشعور بالمسؤولية تجاه الناس والمحافظة على التقاليد الإنسانية وتراث شهداء الإنسانية.

ـ تعليم الأركان الأساسية لحياة الانسجام والتفاهم والتعاون والمعارضة والاتفاق والتعايش.

ـ معارضة الظلم والظالم ومساعدة المظلوم وإصلاح ذات البين والحيلولة دون ممارسة النفوذ غير الصحيح.

٥ ـ **على الصعيد الاقتصادي**: يشمل مضمون التربية في هذا المجال الأمور التالية:

ـ مسألة العمل، القيمة وتقديسها، نوع العمل، حدوده ومستواه، هدفه، أضرار البطالة، الأعمال والأشغال المجازة وغير المجازة.

ـ مسألة الإنتاج ونوعه وكيفيته ومستواه، وهل يعتمد على الاكتفاء الذاتي أم التبعية، الانتاج الفردي والجماعي، المسموح وغير المسموح به...

ـ موضوع الاستهلاك، الإسراف والاقتتار، والإفراط والتفريط، الاهتمام بالزخارف والكماليات، الاستهلاك المستورد أم الإنتاج الداخلي...

ـ مسألة الملكية وكيفيتها وحدودها وأنواع الملكية، الخاصة، القطاع الخاص، الحكومي، الملكيات المشروعة وغير المشروعة.

ـ تعليم الأشغال والحرف والفنون وكسب المهارات ومعرفة الآلات والأجهزة الصناعية، الدراسة في مجال من المجالات و...

ـ القبول بالتعاون في الأمور الاقتصادية، والقرض الحسن والتأمين ومسألة العمل بأجر أو البطالة والنشاطات المشتركة...

ـ العمل في أوقات الفراغ ورفع الإنتاج وإصلاح الوضع الاقتصادي.

ـ موضوع الإنفاق، الخيرات والمبرات، الصدقات، شروط الإعطاء، شروط الأخذ و...

ـ الخدمات الاجتماعية، الوقف، المؤسسات الخيرية، إعانة الفقراء، المسائل المتعلقة بالمحافظة عليها و. . .

ـ النواحي الشرعية للدخل والاستهلاك، الخمس، الزكاة، حدود وشروط مصرفها، الإعلام والإرشادات الدينية و. . .

ـ عدم الإسراف، القناعة، مساعدة الآخرين، حدود عدم الإسراف، الاستخراج، كيفيته وشروطه، مسألة الأنفال و. . .

ـ الضرائب المباشرة وغير المباشرة، شروطها ومعاييرها، ضرورتها، كيفية الأخذ والدفع، والاستهلاك. . .

ـ وأخيراً قيمة النقد، وهل هو وسيلة أم هدف، حدوده والمحافظة عليه، السعي لكسبه، حل المشاكل النقدية. . .

٦ ـ **على الصعيد السياسي**: والمسائل التي يمكن اعتبارها ضمن مضمون التربية هي:

ـ ضرورة الحكومة والقيادة، نوع الحكم، الديمقراطية، شروط القائد، فترة الحكم، شروط العزل و. . .

ـ وظائف الحاكم، حدود صلاحياته ووظائفه ومسؤولياته تجاه الأمور والتيارات والشعب وفي ما يتعلق بنمو المجتمع. . .

ـ وظائف الشعب تجاه الحكومة، وقبال الأوامر والنهي، في الحرب والسلم وفي حالة تخطي الحكم للاتفاقيات والموازين. . .

ـ مسألة التحزب والتنظيم وضرورته ونوع الحزب والتدخل في الشؤون وتنظيم الشعب والعلاقات بين الرئيس والمرؤوس. . .

ـ موضوع القانون والمقررات وإعداد القوانين والمسائل ذات العلاقة بالبرلمان وحدود التشريع وقدسية القوانين وقيمتها.

ـ مسألة التنفيذ والمنفذين والمؤسسات والوزارات والمكاتب واختيار المنفذين والتعيينات وكيفية إجراء الحقوق والأجور. . .

ـ مسألة الحرية وقواعد الحرية ومساحتها وشروطها وكيفية تطبيقها والمخالفات وضرورة العقوبة. . .

ـ النهضات والثورات، أسبابها ودوافعها وشروطها ووظيفة الشعب وعمل الحكومة، الانقلاب العسكري وجوانبه الشرعية و العرفية والأخلاقية.

ـ الرقابة العامة، حقوق الشعب في هذا الصدد، حدودها، شروطها. في حالة عدم المراعاة والإصلاح...

ـ على الصعيد الدفاعي، الدفاع القوي وحقه للجميع وشروطه وحالاته والبناء والتعبئة وغيرها.

ـ في المجال العسكري، إعداد القوة، الإمكانات والأسلحة، مسألة الجندية، حدود مدة وشروط الجهاد والحرب والسلم و...

ـ الانتخابات والمساهمة في الأمور وضرورتها وشروط المشاركة، والانتخاب في أي الأمور، وكيف الحال عند المخالفة...

ـ عقبات الرشد السياسي، من الداخل، من الخارج، دور وسائل الإعلام، جهل الناس، التخدير، التدابير الإعلامية و...

ـ عوامل الرشد، الوعي، الإيمان، التعبد، الصحوة، الكتب والمطبوعات، التحزب والتنظيم...

ـ العلاقات الداخلية والمسائل المتعلقة بها، والتيارات السياسية، الحركات الجمعيات، حرية الشعب نوع التعامل و...

ـ العلاقات الخارجية والمسائل ذات الصلة بها، المعاملات، الزيارات، الاستقراض، الاقتباس.

المسائل التي خارج الخطة:

إن التربية سواء أكانت مقصودة أو غير مقصودة فإنها تحصل على شكلين: رسمي وغير رسمي، فبرامج المدرسة التي تُدرّس في ساعات معينة ووفقاً لتوقعات سابقة وضمن معيار هي برامج رسمية، أما ما يضاف عليها فيدعى غير رسمي أو خارج الخطة، والهدف في هذا المجال هو تعيين تدابير لملأ أوقات الفراغ بشكل بناء ومطلوب وتوجيه أكثر والإثراء الثقافي.

ومن جهة أخرى، فإن هدف المربين في البرامج التي تقع خارج

الخطة هو إيجاد تحرك وسعي بناء وإيجابي للاستفادة بصورة أكثر من العمر والحياة والمشاركة أكثر في العمل الجماعي، وكثير من الاختصاصات والمهارات تحصل في ظل البرامج التي خارج إطار الخطة وتوفر مستلزمات التكوين والتنمية والتنظيم وإصلاح الفكر الصحيح وإعداد فلسفة صحيحة للحياة والحياة الأفضل.

ومن أجل ملأ الفراغ والوصول إلى الهدف بصورة أفضل وأكمل، فإن بالإمكان بلورة البرامج التي تقع خارج الخطة وفق معيار وبرنامج وبلورته على شكل عمل تكميلي وتقديمه للمدرسة، ويرغب الأطفال عادة بهذا العمل أكثر نتيجة عدم الشعور بالضغط والفرض، وقد تتحقق نجاحات أفضل مما يتحقق من البرامج الرسمية.

الفصل الواحد والعشرون

المضمون والظروف والمقتضيات

في هذا البحث يدور الكلام حول الظروف التي يتربى فيها الطفل، وما هي الظروف والمقتضيات التي تؤخذ بنظر الاعتبار في تعليمه ونقل التراث الثقافي وتعليم الفنون والمهارات، وهل ان مضمون التربية واحد بالنسبة للفتى والفتاة أم هو متفاوت؟ وهل بالاستطاعة نقل كل مسألة للصبي في أي مرحلة من مراحل السن؟ وهل يمكن لجميع الأطفال تلقي التعليم من الآخرين بنفس المستوى والدرجة أم أنه يجب لحاظ موضوع التباين في ذلك؟

وهكذا الحال بالنسبة للمضمون في ما يتعلق بحاجات المجتمع والمنطقة وبملاحظة الظروف والزمان، وهذه الجوانب يجب أخذها بنظر الاعتبار في إعداد وتحديد المضمون وتهيئة أجوبة واضحة لكل سؤال من الأسئلة وفي ما يلي بحث للأمور المذكورة.

المضمون على أساس الجنس:

ثمة اختلاف نظر في الأنظمة التربوية حول مسألة واحدة أو تباين المنهج التربية للفتى والفتاة، ففي الدول الصناعية تعرض التربية بصورة مطلقة وحرة، والولد والبنت حرّان في الاختيار وكل شخص يختار الفرع الذي يناسب ذوقه وإمكاناته والمناسب لجاذبيات الفروع الدراسية والوظيفية.

وكثير من النساء في هذه المجتمعات تمارس أعمال الرجال وبالعكس، ويبدو أنهم أدركوا من خلال العمل أن المرأة ليس باستطاعتها العمل في الأشغال الصعبة، وطريق إعدادها العملي للأشغال الصعبة، مفتوح.

ويُؤكَّد في المجتمعات الدينية والمجتمعات العريقة على توفير أرضية العمل المستقبلي للفتيات والفتيان، وأن يُعطى لكل شخص التعليمات والفنون التي ينوي الاستفادة منها في الحياة اليومية وعلى هذا تختلف وتتنوع أشكال التربية.

المنظار الإسلامي:

النمط الفكري في الإسلام يرى أن أفضل الأنظمة التربوية هو النظام الذي تُلحظ فيه الخصائص الجسمية والنفسية والذهنية والعاطفية للإنسان. ويعتقد الإسلام أن وجود كل عضو في الإنسان دليل على وجود طلب، مما يجب إشباعه بالكيفية اللازمة.

فوجود جهاز الرحم وجهاز مخزن الحليب في المرأة يدل على أن باستطاعتها الحمل، وأن عليها إرضاع الطفل بعد ولادته. وبالنتيجة يقضي الطفل فترة ٩ شهور في رحمها ويتربى في حضنها حوالي عامين. وعليها التعرف على فنون حفظ وحراسة الصبي في فترة الحمل وتربيته في فترة الرضاعة. ووظيفة التربية هي تنميته للوصول إلى هذا الهدف.

إن مسألة العاطفة والرقة في المرأة التي يمكن أن تكون ذات طابع غريزي وقواعد فيزياوية وكيمياوية حتى بعد مرحلة الحمل، وهي أمر لا يمكن إنكار وجوده عند الأمهات، ويربى عقلها بالشكل الذي يسيطر فيه على العاطفة يتباين مع الطريقة المستخدمة بالنسبة للفتيان أو الرجال.

والرجال في نظام الحياة الإسلامي مسؤولون عن تأمين معيشة النساء، ولهذا فإن تعليمهم الشغل والحرفة التي تؤمّن المعيشة هو أمر واجب، بينما الحال ليس كذلك بالنسبة للنساء، وهذا يستلزم وجود اختلاف في محتوى التربية بينهما.

إعداد المضمون:

يجب الاهتمام عند إعداد المضمون للفتيات إلى ما تريده كل عقيدة من النساء المؤمنات بها، أو ما يريده الآباء والأمهات من بناتهم في المستقبل.

يريد الإسلام لهن أن يحملن المعلومات العامة التي يريدها للأولاد، ومعرفة القضايا العامة ذات العلاقة بالحياة الإنسانية وحتى المسائل المتعلقة بالدفاع العام، وتنمية قابلياتهن البدنية والنفسية والجوانب العقلانية لهن وتتوفر لديهن الاستطاعة على السيطرة على أنفسهن، والإدارة الكفوءة واللائقة لأنفسهن.

ومن الضروري وفقاً لنظام الحياة في الإسلام أن يكون لدى المرأة وعي بالمسائل الخاصة بالأنوثة ومعرفة بالأمور ذات الصلة بالحمل وتربية الأبناء وفنون الأمومة وإدارة البيت، وقدرة على تهدئة بيئة الحياة وجعلها ممكنة السكن.

ويجب أن تتعلم المرأة من خلال التربية، التباين الموجود بين المرأة والرجل في مسألة الرشد والبلوغ وسائر المسائل البدنية والحالات والسلوك الخاص المتعلق بالمرأة، وأهم من ذلك إعدادها للقيام بوظائف الأمومة التي تتطلب فكراً عميقاً وصحيحاً وفلسفة بناءة للحياة، بالشكل الذي تكون قادرة على أن تفكر جيداً وتفهم جيداً وتكون عالِمة وواعية، وأن تتمتع بالاستقلال الذي حدده لها الدين، فهي زوجة للرجل وليست مملوكة له، وهي أم لابنها وليست خادمة له، وهي نظير الرجل في الفكر والتحرك لا أنها أداة بلا إرادة تحت تصرفه، وكل هذه الأمور تتطلب التربية.

المضمون التربوي:

وعدا العموميات التي تطرح في تربية الناس، فإن من الضروري تعليم البنات المسائل الآتية:

- المسائل المتعلقة باقتصاد الأسرة وتنظيم ميزانية العائلة والتقتيرات والقناعات و. . .

- الأمور ذات العلاقة بإدارة الأسرة وتنظيم الأمور، وتجميل وتزيين الحياة. . .

- المسائل ذات الصلة بالصحة وتغذية الطفل وتربيته، والتوازن في التربية، والجوانب الرقابية اللازمة.

ـ القضايا ذات العلاقة بالجوانب الأخلاقية والسلوكية اللازمة فيما يتعلق بالإبن والزوج، والآخرين.

ـ المسائل المتعلقة بخصائص حياة النساء في الجوانب البدنية والنفسية والعاطفية والعقلانية. . .

ـ كما ينبغي خلال ذلك تعليم الأفراد المسائل المتعلقة بالأحكام والضمير الحي وغلبة العقل على الشعور الإمكانية في اتخاذ القرارات السريعة. . . وتأسيس العمل منذ فترة الطفولة بملاحظة العالم المتفاوت بين المرأة والرجل.

نكتة مهمة:

وعلى أي حال يؤكد النظام التربوي في الإسلام على مسألتين في تربية الأولاد والبنات وهما:

١ ـ الخصائص الجسمية والنفسية والعاطفية و. . . لدى الأفراد.

٢ ـ النواحي ذات العلاقة بوظائف الأفراد على أساس معايير الشرع والعقل والعرف الذي يبنى على الجوانب السابقة وفقاً لنظر الشرع.

ويجري في التربية الاهتمام بأن يربي المضمون، الأفراد بالشكل الذي يكون باستطاعتهم أداء الوظائف والتكاليف المقررة، وكثير من الأمور، واجب على النساء معرفتها، وأما على الرجال فغير واجبة مثل الأمومة وتعلم فنون الحمل وتغذية الطفل، وبالعكس.

ويجدر الإشارة إلى أن الإسلام لا يحرم عمل النساء خارج المنزل، ولكن يجب معرفة أي أنواع العمل أكثر أهمية للمرأة، على أساس مراعاة المهم والأهم، وأيّها أكثر أهمية للرجال، والمجتمعات الصناعية تلحظ عملياً هذا الاختلاف رغم عدم اعتقادها به.

المحتوى وفقاً للعمر:

تختلف إمكانية الإنسان في إدراك وفهم المسائل باختلاف مراحل الحياة، فلكل مرحلة مستلزمات وشروط تلاحظ في التربية والتعليم.

ويتم تعيين ما يجب أن يتعلمه الفرد في فترة الحياة بصورة رسمية وتقسيم ذلك وفقاً لشروط ومعايير، بين مراحل الحياة المختلفة، وفي صفوف دراسية متنوعة.

وعلى سبيل المثال يكون مجموع ما ينبغي أن يتعلمه الشخص في مجال السياسة، حتى نهاية فترة التربية الإلزامية، في حدود ٥٠٠ صفحة. ويجب معرفة كيفية توزيع هذا المقدار بين المراحل الدراسية، الابتدائية والمتوسطة والإعدادية والجامعية، فكم صفحة تخصص للابتدائية وكم صفحة للإعدادية وكم صفحة للجامعة؟

ومن جهة أخرى فإن مراحل الحياة تشمل فترة الطفولة الأولى، الطفولة الثانية، الفتوة، البلوغ، الشباب، الفترة الوسطية من العمر، كبر العمر، الشيخوخة. ولكل مرحلة مستلزمات، ويختلف فيها نوع التربية والتعليم، وقد ورد في الإسلام ذكر ثلاث مراحل للتربية كل مرحلة تتألف من سبع سنين، فيكون المجموع ٢١ سنة، بوصفها حق الإبن، ويجب معرفة المسائل التي يجب تعليمها للفرد في كل واحد من هذه المراحل.

المضمون والنمو:

يجب ملاحظة نوعين من النمو عند تحضير وتنظيم محتوى التربية وهما:

١ ـ النمو البدني، حيث أنه لا يمكن تعليم جميع الناس كل أنواع المهارات والفنون.

٢ ـ النمو الذهني والنفسي، إذ ان إدراك كثير من المسائل يتطلب ذكاء وقابلية وأرضية مناسبة.

وعلى هذا، فإن مضمون التعليم في الأعوام السبعة الأولى يتفاوت عنه في الأعوام السبعة الثانية أو الثالثة، أو أن بالإمكان تعليم الفتيان بعض المسائل وهم في سن البلوغ، بينما لا يمكن للأطفال إدراكهما.

وتتجه الدروس الرسمية وحتى غير الرسمية التي تتناسب مع النمو والعمر، من السهولة إلى الصعوبة، فتتسع دائرة المسائل، فما يتلقاه الإنسان

في فترة الطفولة في إطار عام ونظري، يتسع في الفترة اللاحقة وتتضح وتنضج جوانبه وأبعاده.

كما أن الرغبات تتغير بمستوى النمو، فتتغير الاستطاعة على التقييم والتعلم الدقة وإبداء الرأي في المسائل، ويختلف نوع العمل والتنفيذ والقدرة والعمل بالأشياء والمحافظة عليها، وحتى أن موضوع الإرشاد في مرحلة الفتوة يأخذ شكلاً وصورة خاصة، فيتمكن التلميذ من العثور على رؤية للأمور.

٣ ـ المضمون والاختلافات:

من البديهي أن الناس يختلفون عن بعضهم الآخر، حتى الذين يترعرعون في أسرة واحدة وظروف وإمكانات متساوية، وهو أمر تم بحثه بالتفصيل في علم النفس، وكذلك بُحث في المذاهب والأديان ومنها الإسلام.

إن التباين واسع من حيث منشأ الحدوث وعلاقات العلة والمعلول في نظام الخلق وسعة ذلك، وهو يشمل جميع الأبعاد الوجودية للإنسان، فالناس يختلفون في مجال الذكاء، القابلية، الإدراك، المحافظة على الإمكانات الآلية، مثلما تُشاهد اختلافات بينهم في الناحية البدنية الظاهرة.

إن وجود التنوع في إمكانات الذكاء وقابليات الإنسان والتنوع في الطاقة والذوق والتي بعضها ذات جانب بيئي، يثبت الحاجة إلى التنويع في المضمون.

ولا يمكن من الناحية التربوية بناء الجميع بمضمون واحد وسرعة انتقال واحدة، فمن الظلم تعليم جميع الصبيان في المجتمع، مسألة معقدة ودقيقة، على أساس أنهم في سن واحد، وإنما يجب أن تُحدَّد التربية وفقاً للإمكانية والقدرة في إطار الاستطاعة والتكليف.

وهناك قضايا كثيرة يتعلمها بعض الأطفال والناشئين برغبة، إلا أنها تثير الملل لدى بعض آخر، فيكون طرحها جذاباً لطرف ودافعاً لطرف آخر.

٤ ـ المحتوى وفقاً لحاجة المجتمع:

في إطار حق التربية الذي أعطي للوالدين، تطرح هذه النكتة أيضاً، وهي ما هو نوع المضمون الذي يحتاجه نظام حياة المجتمع؟ فهل ينبغي توجيه الأفراد نحو النظام الصناعي أو المحلي، على أساس خطة الحكومة؟ وهل التركيز ينصب عل الإنتاج المعدني أم الزراعي؟ وما هي الأولويات المرسومة في الخطة؟

فقد تكون حاجة المجتمع إلى الاكتفاء في المجال الزراعي والإنتاج الحيواني، أكثر من غيرها، وفي هذا الحال يجب أن يتلاءم مضمون التربية مع تلك المعايير، فيتعلم التلميذ المسائل ذات العلاقة بتحسين وضع الإنتاج الزراعي ومكافحة الآفات وأمثال ذلك.

كما ترد هذه المسألة وهي ما هو الأساس في الإنتاج، فهل الأساس هو تنويع وإشباع النزعة الرفاهية أم رفع الحاجة في حدود تأمين حاجة عامة الشعب؟ وهل ان الغرض هو إرضاء طبقة خاصة أم إرضاء العموم؟ وهل تستهدف الخطط، بلوغ الاكتفاء الذاتي، أم التبعية؟ وما هي درجة التبعية ومستواها؟ وما هو الهدف أو الأهداف التي يجب التحرك نحوها في الأمد القريب؟ وما هي الأهداف البعيدة؟...

٥ ـ المضمون على أساس المنطقة:

ويُشار إلى هذه النكتة في موضوع المضمون وهي أن المحتوى يجب تهيئته وفقاً لوضع المنطقة أو على الأقل ظروفها وإمكاناتها، فالمضمون الحاوي للجانب الصناعي يمكن تنفيذه في منطقة زراعية، أو رعوية أو منطقة لصيد الأسماك، ولكن يجب الالتفات إلى أن هذه البيئة أكثر ملاءمة للصيد والزراعة وتربية الدواجن من ناحية الظروف والإمكانات، والبيئة التي تقوم حياة الإنسان فيها على السياقة وتصليح السيارات وأمثال ذلك، تكون الأرضية لتعليم هذه الأعمال أقرب منها إلى الزراعة وتربية الدواجن.

٦ ـ المضمون على أساس الزمان:

وأخيراً يجب الانتباه إلى أنه ينبغي تربية أبناءنا على ما تعلمناه وتربينا عليه، لأن العلوم في حالة نمو دائماً والتقنيات تتجه إلى التكامل، فيجب

أن يكون محتوى التربية متغيراً وديناميكياً ووفقاً لضرورات الزمان. وهذا لا يمنع من استخدام الأسس والقواعد السابقة والمستخدمة حالياً ونقلها إلى الجيل اللاحق. لكن على المربين الالتفات إلى أن تعليم المسائل ذات الصلة بحرث الأرض عن طريق استخدام البقر هو عمل لا طائل منه وغير صحيح في العصر الذي تستخدم فيه التركتور، ولا تفيد تلك الطريقة إلا في حدود تعريفنا بكيفية ونمط فكر الأجيال السابقة.

وعلى أي حال فإنه مع ازدياد التقدم العلمي ومع مرور الزمان تصبح الحاجة لتعليم المسائل وفقاً لمعايير الزمان أكثر ضرورة، وتتعقد وظيفة التربية أكثر. وبالنظر لمحدودية العمر وقصر فترة التعلم، لذلك يجب المبادرة إلى المسائل العلمية الضرورية في هذا العصر وفي المستقبل.

الفصل الثاني والعشرون

بعض المسائل العامة في المضمون

ما عدا ما تقدم من بحوث في الفصول السابقة، ثمة مسائل عامة وبحوث أخرى سوف نبحثها في هذا الفصل، إذ يجب أن تتضح مصادر هذا المحتوى ومن أين تستحصل المعلومات والمكتسبات؟ وهل يُركّز أساس المضمون على الحاضر أم الماضي أم المستقبل؟ وهل يهتم الهدف بالمادة أم المعنى؟ بالدنيا أم بالآخرة؟ وهل ان أبعاد المضمون ومسائله متوازية أم متوالية؟ وكيف يجب أن تنقل وبأية كيفية؟...

إن الاهتمام بهذه المسائل يؤدي إلى امتلاكنا رؤية أوضح وأشمل في مجال المسائل، ونفكر بشأن البرنامج الدراسي الخاص بهذه المسائل، هل هو بصورة رسمية أم غير رسمية.

مصادر المضمون:

من أين نحصل على مصادرنا، وما هي المعايير التي يجب مراعاتها في هذا الصدد؟ الجواب هو أنه يمكن اعتبار المجالات الآتية مصادر لمضموننا:

١ ـ **التراث**: هناك مسائل كثيرة تمثل حصيلة السعي والجهد البدني والفكري لأجيالنا السابقة التي حصلت عليها ونقحتها وأصلحتها وسلمتها إلينا، فبعض المضمون هو حصيلة فكرهم وابتكاراتهم التي يجب تدوينها في الكتب الدراسية.

٢ ـ **التجارب المعاصرة**: إن كثيراً من ما يجب تعليمه للجيل الشاب

في كتبنا ووسائل إعلامنا، هو حصيلة أفكار وابتكارات الجيل الجديد والذي استحصل بعد جهود كثيرة ويستفيد منه المجتمع الإنساني حالياً.

٣ ـ **الفكر العام**: ويتعلق بعض المضمون بالأفكار العامة والآداب العامة والمسائل ذات العلاقة بالعقائد والأفكار والتي يستخدمها الجيل الحالي. ولا شك أن من الواجب تقييمها ونقدها ورفض السلبي منها وذلك عند الاستفادة منها ونقلها.

٤ ـ **المسائل والقضايا**: وهي القضايا الموجودة في حياتنا اليومية والتي يتأثر الإنسان قليلاً أو كثيراً بعوارضها. ويجب أن يشمل المضمون هذه المسائل وكذلك نمط المواقف المتخذة تجاه الحوادث والأمور.

٥ ـ **المصادر الدينية**: وتحتل الكتب والمؤلفات الدينية بعض مصادرنا، حيث تتحدد فيها وظائفنا تجاه أنفسنا ومجتمعنا وبالحوادث وبالخالق، كما أنها تعلم المسائل المتعلقة بالأخلاق والتزكية. هذه المصادر توجه الأفراد إلى حمل رؤية كونية وتعقل وتفكير في الأمور، وتعلم الإنسان أموراً مثل كيفية التغذية والاستفادة من الطيبات ومعرفة الحلال والحرام.

٦ ـ **الفطرة**: بالإمكان مراجعة الفطرة في تحديد المضمون وجعلها مرشداً في الحياة وتعلّم المسائل. والمحتوى يجب أن يُحيي الفطرة ويوجه الأفراد إلى الأمور التي تصدقها الفطرة، وإبعاد العوامل التي تؤدي إلى انزجار الفطرة.

٧ ـ **وجهات نظر أهل الرأي**: ونقصد بذلك رأي أهل الفكر والعقيدة المقبولة أفكارهم أو الذين جرت إصلاحات في نمط أفكارهم فأصبحت ممكنة القبول.

وأخيراً فإن جميع ما يرتبط بحياتنا والموجود في المؤلفات والكتابات والأفكار يمكن الاستفادة منه في المضمون.

أساس المضمون: ويُبحث في هذه المسألة اهتمام المحتوى، هل هو بالحاضر أم المستقبل؟ وهل يربي الأفراد لهذا الوقت أم للمستقبل؟ وفي هذا الصدد هناك ثلاثة أنماط من الفكر:

١ ـ نمط فكري يهتم بالحاضر فقط أو المستقبل القريب جداً. والغرض هو تربية الأفراد بشكل من الأشكال وتعليمه مسائل حتى يتمكن من رفع حاجة أفراد المجتمع في خطة قصيرة الأمد.

٢ ـ ونمط فكري لا يعتني بالحاضر، بل بالمستقبل البعيد جداً.

٣ ـ وأخيراً هناك نمط فكري ثالث يهتم بالحاضر والمستقبل معاً.

فمثلاً في النظام التربوي الإسلامي هناك اعتناء بالحاضر والمستقبل أيضاً، ففي الوقت الذي يريد للإنسان أن يعمل على رفع المشاكل الراهنة، فهو يريد تمهيد طريق مستقبل وغد المجتمع والمصالح الآنية والمصالح المقبلة مسألة أخرى أيضاً.

جوانب المضمون:

عند تحديد المحتوى يجب طرح وملاحظة مسألة هل ان المضمون يلتفت إلى الجانب المادي الصرف أم المعنوي الصرف أم إليهما معاً؟ فالمدارس التربوية المتنوعة لها آراء متباينة في هذا الصدد، فالعقائد المادية تهتم بالجوانب المادية البحتة والعقائد الروحية تعتني بالمعنوية البحتة، والإسلام يهتم بالمادة والمعنى.

ومن زاوية أخرى يجب معرفة هل ان المضمون يهتم بهذا العالم فقط أم بالآخرة أم بهما كليهما؟ ففي فلسفة الماديين والذين لا يعتقدون بالآخرة يتلخص المضمون في الجانب المادي فقط، وشعار بعض الأشخاص مثل نيتشه، المطروح في فلسفة الحياة يتلخص في الكلمات الثلاث الآتية: كُل، اشرب والبس. أما مضمون التربية في المدارس المعنوية الصرفة التي تجعل الجانب الاخروي أساساً، وترفض كل ما يتعلق بهذا العالم، فيُطرح بالشكل الذي يبين سلبية جميع المظاهر في هذا العالم.

وفي الإسلام هناك اهتمام بهذا العالم،وفي نفس الوقت بذلك العالم وتسعى وجهة نظر التربية الإسلامية إلى بناء أفراد يعتبرون العالَمَيْن مرتبطين معاً، ويرون أن الآخرة هي بمثابة استمرار لحياة الإنسان في هذا العالم، وقد ورد عن رسول الله أنه ذو العينين، رؤية للدنيا ورؤية للآخرة، ففي

الوقت الذي يُستفاد من المواهب الموجودة في الدنيا، يجب أيضاً التهيؤ للآخرة، ويجب أن تكون الحياة الإنسانية ذات سير تكاملي لبلوغ مرحلة الكمال والمصير اللامتناهي ورضوان الله.

الوحدة بين أبعاد المضمون:

من النكات المهمة في إعداد وتنظيم المضمون هو مراعاة الوحدة بين أبعاد المضمون، ويجب أن تكون الجوانب المتعلقة بالمضمون بشكل بحيث لا يُبطل بُعد بعداً آخر، فمثلاً ان لا تتناقض الدروس الدينية مع الدروس الطبيعية، ولا تتباين المسائل التي تطرح في الأخلاق العملية مع ما له صلة بالمجالات العقائدية والأخلاقية.

نحن نعلم أن شرب الخمر حرام في الإسلام، فعليه يجب أن لا يتضمن المضمون التربوي كلاماً عن المشروبات حتى ولو بصورة شعر أو نثر ولا التعريف والحث على الشرب أو محاولة إظهار جمال مجالس الفحشاء. أو مسألة أن الإنسان هو من نسل القردة، والتي لا يصدقها الإسلام، فإذا طرح في كتب الاحياء والتكامل بحث في هذا الصدد، يخالف الفكر الإسلامي، فيجب القول أنه ليست ثمة وحدة بين الأبعاد والمضمون.

والغرض هو أن الخطة التربوية يجب أن تقدم حقيقة عامة وواحدة ومترابطة ومنسجمة، وتطرح الحقائق التي لا تتباين مع الفلسفة العامة المقبولة.

ضرورة إثراء المضمون:

نحن نعلم أن مستوى العلم البشري يرتفع يوماً بعد يوم من الناحية الكمية وكذلك من الجانب الكيفي، ولهذا فثمة حاجة إلى إعادة النظر بالمضمون خاصة في ما يتصل برفع كميته وتركيزه، فهناك كثير من المعلومات والمعايير والفلسفات والاختراعات والابتكارات والأفكار والفنون والآداب التي تضاف إلى المعارف البشرية كل سنة، ومن الضروري أن يتعرف عليها الجيل الجديد، وهذا الأمر يواجه هذه الصعوبة وهي أن مستوى قابلية الكتب قليل وتقديم مواضيع مكثفة لا تتناسب وطبع الأطفال وإمكانية إدراكهم ودراستهم.

وعلى أي حال يجب أن لا ننسى أن موقع جيلنا يشبه حلقة تربطنا بالجيل الماضي والجيل القادم، ولذا يجب الاهتمام بالمحافظة على موقع هذه الحلقة وترسيخها وإعداد الأرضية لتقوية الحلقات اللاحقة والقيام بدور الرابطة والواسطة بين الماضي واللاحق. ويجب العمل على إغناء الثقافة والمضمون ونقلها إلى الجيل القادم ولا شك أن هذا الأمر يقترن بإعادة نظر وتقييم جديد. وفي نفس الوقت يتم الاعتناء بوصل أفكار العلماء طيلة قرون وإخراج الأمور الزائدة وغير النافعة.

نقل المضمون وكيفية ذلك:

هناك طريقان لنقل أو إثراء المضمون التربوي وهما:

١ ـ طرق الطرح الذي يُنقل إلى الفرد من قبل المعلم، وفي هذه الطريقة يُستفاد من الحواس ومنها الرؤية والسمع واللمس في ذلك.

٢ ـ عن طريق التلقين، وهو عبارة عن تذكير الفرد بنفسه والحصول على الوعي والتجارب وفقاً لتخطيط شخصي، وتستخدم في هذا الطريق أساليب المطالعة والتفكير والتعقل والتدبر.

وتلحظ المسائل التالية في هذا النقل والتعليم:

١ ـ الشيء الذي يجب اعتباره من المضمون، هو الشيء الذي لا يحتاج الذهن إلى غسله منه في ما بعد، لأن إدخال المسائل في الذهن أمر سهل جداً، وإخراجها صعب.

٢ ـ يجب تحديد المضمون المفيد والبناء وتجنب المحتوى الفارغ الذي لا نفع فيه ولا ضرر.

٣ ـ يجب أن يكون المضمون في كل سنة بالشكل الذي يعتبر أساساً للخطة المقبلة ومكملاً للخطة السابقة.

٤ ـ حين يطرح نمط الفكر العقائدي في المضمون، فإنه يجب تطبيق الخطة مع تعاليم العقيدة المطلوبة.

٥ ـ وأخيراً يجب الاهتمام في تحضير المضمون، بالعوامل الفكرية والذهنية وقابلية الأطفال.

القسم الثامن

أساليب التربية

إذا نظرنا إلى التربية باعتبارها أمراً هادفاً وواعياً، فسوف نحتاج في تطبيقها إلى أسلوب وأداة ودوافع، ومن الضروري للمعلم أو المربي الاطلاع على هذه الأساليب والفنون. والتربية بمقتضى اسمها وصفتها ذات بُعدين. . . التعليم والتربية ولكل منهما بحوث من حيث الأسلوب.

ففي مجال التعليم من الضروري دراسته من جوانب مختلفة كالنمط والنموذج والطريق وبيان العوامل والنكات المطروحة في هذا الجانب.

أما في مجال التربية فيجب البحث في مسألتي البناء والإصلاح والقواعد والفنون المطروحة في هذا الصدد، ويجب أن نتحدث عن مراكز الإصلاح ودور الإيمان وشروط المربي والدور الذي بإمكان الأمهات القيام به في هذا الشأن، والاستفادة من بعض المسائل والأجهزة وبعض الفنون في تربية الأفراد، وهي القصص الألعاب، الفلم، السينما، الإذاعة، التلفزيون، الكتب والمطبوعات، التصوير والبوسترات، الأعمال اليدوية و. . . وكل واحدة منها يجب الاستفادة منها طبقاً لشروط ومعايير.

كما اننا بحاجة عند تربية الجيل إلى الاستفادة من الدوافع الإيجابية وأساليب النهي، والدوافع الإيجابية تشمل التقدير، التشجيع، التحريض، الجزاء وأمثالها، أما أساليب النهي فتضم التنبيه التحذير، التحكم، اللوم، الغضب، التهديد.

وسوف نبحث بشكل مختصر جميع المباحث في هذا القسم، ولا شك أننا سنضطر إلى الاقتناع بحدود الذكر، نظراً لضيق المجال.

الفصل الثالث والعشرون

أساليب التعليم

تم الإشارة سابقاً إلى أنه لا بد من العمل بأسلوب معين للوصول إلى التربية والتعليم، إذا اعتبرنا حدود التربية منحصرة تلك الناحيتين، ونعني بالأسلوب مجموعة الجهود والوسائل والأدوات التي نتمكن في ظلها من نقل مضمون التربية إلى الطفل بشكل أسرع.

ففي ما يتصل بالتعليم ينبغي القول بأن الأسلوب هو عبارة عن التدابير والفنون والوسائل والأداة التي نستخدمها لنقل المضمون سريعاً وتسهيل تعلّم التلاميذ، ويستطيع المعلم والمربي من خلال الاستفادة من تلك الفنون واستعمالها، نقل المفاهيم إلى الطالب وإفهامه المسائل.

ضرورة وأهمية الأسلوب:

إن وجود الأسلوب وتطبيقه له أهمية استثنائية في القِيام بأية خطة وخاصة في التربية والتعليم، ففي ظله:

- تكون إمكانية التعليم أسرع.
- تقل الخسارة في الوقت والزمان.
- تقل الحاجة لممارسة الضغط على التلميذ.
- تزداد إمكانية التعلّم.
- تسهل عملية التقييم لمستوى التقدم.
- تزداد مراعاة النظم في نقل المفاهيم.
- وأخيراً يصبح المعلم أكثر موفقية في عمله.

إن كثيراً من الخطط يمكن نقلها إلى الطفل في عدة ساعات ولكن للأسف لا يتحقق ذلك خلال أشهر نتيجة العمل بأسلوب خاطىء، وكمثال على ذلك أسلوب تدريس القرآن في الماضي والحاضر أو أسلوب تعليم القراءة والكتابة للصبيان سابقاً وحالياً.

إن مما لا شك فيه أننا بحاجة عند التعليم، إلى استخدام بعض الوسائل والأجهزة للإسراع في الأمور، وتلك الوسائل والأجهزة ليست في متناول الجميع أولاً، وثانياً إن طريق الاستفادة منها غير ممكن لكل شخص. ويجب أن تنصب جهود الأجهزة التربوية الهادفة إلى تعميم التعليم، على رفع هذين الضعفين.

أنواع الأساليب:

يمكن استخدام أساليب متنوعة في نقل العلوم والمعارف عن طريق التعليم، لا داعي لذكرها كلها في هذا البحث، بل نشير إلى بعضها باختصار.

على صعيد الأنماط التعليمية (النماذج):

ونذكر هنا ثلاثة أنماط تعليمية، مع شرح مختصر لها:

١ ـ **النمط الفردي**: حيث يعمل المعلم مع كل تلميذ بشكل انفرادي، وهذا النمط يمكن الاستفادة منه في التدريس الخصوصي للتلميذ، ولا يمكن العمل به في صف دراسي، لأنه يُتعب المعلم كثيراً، بينما لا ينتفع به جميع الطلاب بشكل كاف، ثم ان هذا النمط يتصف بما يلي:

- يؤدي إلى بطالة عدد من التلاميذ.
- ما يعرف لكل شخص كثير جداً.
- يؤدي إلى كسل الآخرين.
- يسبب حالة الفوضى في العنف.

ولإيجاد النظم في الصف ثمة حاجة إلى القيام بعقوبات انضباطية غير اعتيادية.

- لا تحصل خلاله آثار للمنافسة.

ويمكن استخدام هذا النمط في تصحيح الإملاء والتكاليف المنزلية فقط.

٢ ـ نمط التعليم عن طريق التلاميذ: وفيه يُعلّم التلاميذ بعضهم البعض، وهو يتصف ببعض المزايا، إلا أن فيه بعض المساوىء، ومنها:

ـ يتطلب مكاناً فسيحاً.

ـ لا تحصل لدى الطلاب رغبة في التعليم.

ـ يجب طرح تنظيم غير اعتيادي.

ـ ثمة حاجة إلى إسناد استثنائي للنظم والانضباط.

ـ يستخدم هذا النمط أحياناً بهذا الشكل، وهو قيام طفل من الأطفال بالوظيفة وهو يؤدي دور المعلم من أجل تكرار المسائل وتسهيل المفاهيم لبقية الأطفال. أو وضع طالب ضعيف إلى جانب طالب قوي حتى يتأثر أو يطبق البرامج.

٣ ـ نمط التعليم عن طريق المجموعات: يُعطى في هذا النمط درس لكل التلاميذ أو يعطي المعلم درساً لمجموعة من الطلاب، بينما تكون مجموعة أخرى منشغلة بأداء تكليف، فيستفيد كل تلميذ من توضيحات المعلم ومن إجابات التلاميذ على أسئلة المعلم، فيتعلم درسه، ولهذا النمط مزايا كثيرة، منها: ان الطلاب يمكن تقسيمهم على أساس اللياقة، وكل طالب يكون عرضة للتقييم مع سائر زملائه.

ـ ويصبح التلميذ الضعيف والقوي في حال مقارنة ومنافسة.

ـ يستفيد من الدرس في ذلك الصف عدد كبير.

ـ يُستغل الوقت بصورة أكثر.

ـ يكون المعلم في تماس مباشر مع التلاميذ.

ـ يستفيد الضعيف من القوي.

ـ تتكرر الدروس وتمر على الأذهان.

- الاقتصاد في وقت المعلم المستخدم في تكرار المتكررات.

- يكون الطلاب دائماً في حالة عمل وسعي.

ب ـ نمط التعليم:

وهنا نذكر نمطين رئيسيين في التعليم وهما النمط القديم أو نمط البيان والعرض، والنمط الاستفهامي.

١ ـ النمط القديم: يتم في هذا النمط بيان المسائل بشكل شفوي من دون أن يتدخل الطلاب أو يبدون وجهة نظر.

وهذا الأمر يؤدي إلى حدوث إشكالات خاصة في الصفوف الابتدائية، وطبعاً نحن مضطرون إلى استخدام هذا النمط، لأن المعلم ليس باستطاعته استخراج ما مطلوب من ذهن التلميذ واستخراج المعلومات من الطفل كالتاريخ والجغرافية والحساب وغيرها، فالطفل لا يحمل في ذهنه مفهوماً عن التاريخ وسائر الدروس حتى يقوم المعلم باستخراجها من الأذهان، ويضيف لها من خلال طرح أسئلة متنوعة.

ومن الضروري عند بيان المسائل اتباع نظام منطقي وتسلسل للأفكار واستعمال بيان النمط، ويجب أن تكون العبارة واضحة وصريحة. ومن الضروري طرح بعض الأسئلة في كل قسم حتى يتضح هل انهم فهموا ما ذُكر أم لا. كما أن من الضروري في ختام البحث تلخيص النكات الأساسية وعرضها.

٢ ـ النمط الاستفهامي: تستخدم الأسئلة في هذا النمط، وقد يكون الهدف من ذلك السيطرة على فهم المسائل أو دفع التلاميذ إلى اكتشاف بعض المسائل والحقائق التي يوجد أساسها في الذهن.

وميزات هذا النمط كثيرة، منها:

- تثبت الأسئلة، المعلومات في الذهن.

- تدفع الطلاب إلى النشاط والبحث.

- يمثل نوعاً من الممارسة العملية أو المنطقية.

ـ ينمي قوة البيان لدى الطالب.

ـ يُزيد الجهود الشخصية.

ومع هذا فإن هذا النمط يستلزم القيام برقابة عند إعداد الأسئلة المطلوبة وخاصة من اللازم الاهتمام بالمسائل الآتية:

ـ الإعداد المسبق لمضمون الدرس والأسئلة.

ـ يجب التعرف جيداً على موضوع الدرس.

ـ يجب توفر القدرة على تحليل الموضوع.

ـ الاعتناء بالأقسام المختلفة بشكل متسلسل.

ـ الأخذ بنظر الاعتبار قوة الإدراك والذكاء لدى التلاميذ.

إن عملية إعداد الأسئلة هو عمل صعب، وصياغة الأسئلة يسهل كثيراً من خلال الممارسة، وثمة مسألة مهمة حول خاصية السؤال وهي أن السؤال يجب أن يكون مفيداً ومناسباً وواضحاً وصحيحاً ومتنوعاً وسريعاً ومنسّجماً.

مسألة حول هذا النمط: من الضروري في التعليم الأساسي والتمهيدي خاصة مزج النمط القديم والاستفهامي معاً، وإدغامهما يؤدي إلى زوال مساوىء هذين النمطين ويصبح الأمر أكثر جدية وصحة ويصبح الطفل فطناً ومترقباً في الصف دائماً ويكون المعلم والتلميذ معاً في حالة نقل وانتقال ويحصل اقتصاد في الوقت.

ومن الفوائد الأخرى التي يمكن بيانها في هذا الصدد هي أن هذا الأمر يسبب انشغال التلميذ بالعمل والسعي بكل طاقته ويصل بخاصة إلى حد النهاية، وطبعاً يجب أن يكون نمط العمل بالشكل الذي يتمكن الطالب من اختيار قوته الفكرية. كما أن البيان والسؤال يؤدي إلى حصول نمو فكري وإدراك أكثر ومزيد من التقدم.

ج ـ على صعيد الطريقة:

يجب الإشارة في البداية إلى وجوب التفريق بين طرق العرض والعمل

والتكرار والسيطرة، ومن أهم أنماط العرض وتقديم المسائل: أنماط الاكتشاف والابتكار، السبورة، النمط التجريبي.

وحول أساليب العرض وبيان المسائل يجب التطرق إلى ثلاثة أنماط هي:

١ ـ نمط المكاشفة: يُركَّز في هذا النمط على أن يفكر الطفل بنفسه ويفهم المسائل بنفسه، وبديهي أن على المعلم والمربي هنا إثارة بعض الأسئلة في الأذهان ودفع الطالب إلى التعمق والتفحص. فيجب أن يبحث أمراً في ذهنه ويكتشفه ويقدمه.

إن نمط المكاشفة إذا تم توجيهه بشكل جيد فإنه يثمر نتائج وآثار غير اعتيادية، فالشخص الذي يكتشف شخصياً، مسألة ما ويفهمها، يتمتع بسعة نظر وإدراك أعمق بالمسألة هذه من شخص آخر ينتفع بحصيلة ما يكتشفه غيره.

٢ ـ العرض عن طريق السبورة: تبدو السبورة في الظاهر وسيلة تربوية قليلة الأهمية، ولكن بالإمكان اعتبارها أداة لا يمكن مقارنتها مع سائر الأدوات، بشرط أن يعرف المعلم كيفية استخدامها.

إن بالإمكان استخدام السبورة في حالة عدم وجود الشيء نفسه، فيُرسم الشكل على السبورة (ومن خلال انعكاس تلك الصورة يُطرح طريقة المكاشفة). ويمكن الاستفادة من السبورة في التمارين الجماعية، وفي مجالات كثيرة منها: إعداد الصف، التذكير بالدروس، القراءة والكتابة، تلخيص الدرس، التصميم، صور الأشياء، العمليات الرياضية، تجسيد الأمور، العروض وأمثال ذلك.

إن آثار الطباشير على لباس المعلم ويديه ووجهه تشبه المسحوق والغبار الذي يظهر على وجه الجندي، والذي يمثل العمل والسعي والكفاءة.

٣ ـ نمط التجربة: الأساس في هذا النمط هو بيان الحقائق العلمية بطريقة العمل والممارسة والتجربة وهو نمط مرغوب كثيراً عند التلاميذ، ويعوّد الطفل على الدقة ويدفعه إلى العمل. وعدم القناعة بالمسائل السهلة، بل يقوم بإثباتها عن طريق التجربة والعمل.

وفي التجربة نستخدم اللمس والرؤية والسماع والتذوق والشم، ونستعمل في جميع هذه الحالات فكرنا. ولهذا الأمر تأثير غير اعتيادي في ترسيخ المسائل في الذهن.

وحول ما يتعلق بنمط العمل وتكراره تُبحث ثلاث مسائل، هي:

١ ـ **التكليف المدرسي**: هناك أنماط متنوعة للتكليف المدرسي وهي: النقل، التكاليف العملية والعمل في المدرسة أو البيت والأعمال الابتكارية والإبداعية، صناعة وسائل وأدوات، وأخيراً التكاليف الانعكاسية.

ولهذا النمط نتائج قيمة، حيث يثير دقة وانتباه الطلاب ويفجر القابليات ويحيى فيهم العادة على السعي والجهد ويجعل أعمالهم اليدوية جيدة وقيّمة.

وأخيراً فإن حصيلة التبعية لتوجيهات المعلم تقودهم إلى الجهة المقصودة.

٢ ـ **التكرار**: يعتبر التكرار روح التعليم الابتدائي والأساسي، فيبادر المعلم في هذا الأمر من خلال السؤال عن الدرس السابق أو بتكرار وبيان تمرين عملي أعطاه للطالب الآن، فيكرر التلاميذ ما تعلموه من الدرس والبرنامج ثم يقدمونه على شكل امتحان أو إنشاء.

٣ ـ **المراجعة**: بالإمكان أن تكون المراجعة درساً آخر للطالب وتؤدي إلى مزج ما تعلم سابقاً وحالياً وعرضها على أساس مصمم جديد.

٤ ـ **الأنماط الجماعية**: يعرض في هذا النمط برنامج للجميع في آن واحد وشكل واحد، وذلك بصورة شفوية أو تحريرية. والطريقة الشفوية مرغوبة لدى جميع الناشئين خاصة إذا كررها الكل بصوت واحد، والكتابة ممكنة الاستفادة لجميع الأعمار، من التلاميذ الصغار حتى الطلاب الكهول.

وفي نفس الوقت يجب الكلام في التعليم عن طريق السيطرة، وهي تضم، السؤال، القراءة والذكر وتصحيح التكليف المدرسي، وسيأتي بحث ذلك بشكل تفصيلي في فصل آخر.

العوامل المؤثرة في اجراء نمط التعليم:

تتدخل عوامل عديدة في اجراء هذا النمط التعليمي، وأهمها:

ـ رغبة التلميذ في ذلك النمط، وهكذا يجب أن تكون الأنماط مثيرة.

ـ دقة الطالب، فيجب على هذا الأساس أن تكون الأنماط التعليمية جذابة لاهتمام التلميذ بالدرس.

ـ الخلفية بالنسبة للموضوع موضع البحث وكذلك حول النمط القيم الذي يحرك التلاميذ.

ـ الأسئلة المتتالية بالشكل الذي يرى الصبي نفسه دائماً منتبهاً للدرس.

ـ التركيز على المشهودات والحسيات هو أمر يدركه الطفل ويلمسه.

ـ إثارة الدافع لدى الطالب بالصورة التي يرى أنه لا بد له من الدقة في المسائل.

ـ توفر الإمكانية على العمل بالشكل الذي يكون للطلاب حق البحث.

ـ وأخيراً جذب الطبيعة وميل الطفل كي يطبق النمط التعليمي على أساس ذلك التخطيط.

وسائل التعليم في النمط الإسلامي:

تبين النصوص الإسلامية أن بالإمكان الاستفادة من جميع الأنماط التعليمية الآنفة في التربية، وفقاً لمنظار النظام التربوي الإسلامي، ويعتمد النمط التعليمي وفقاً لما نراه في القرآن على الوسائل التالية، وهي: الرؤية، السمع، اللمس، البحث وإبداء الرأي، استخدام العقل والاستدلال، المنطق والبرهان، التنقيب في الأمور، السير في الآفاق والأنفس، استعمال العقل والفكر بشأن المسائل، التعمق في الأمور، النقد والانتقاد، التذكير والتكرار و...

كما تلحظ التربية القرآنية الاهتمام بالأمثال، تجسيد الأمور في الذهن، الدفع إلى التفكير في الأمور والمسائل، بيان المسائل، المراجعة، وما عدا ما يمكننا الحصول عليه من الآيات والروايات، فإنه يجب القول ان

التربية الإسلامية تستفيد من كل الأساليب الجديدة المستخدمة في الإسراع بالتعليم، وهو أمر أوصى به النبي ﷺ والأئمة المعصومون عليهم السلام كثيراً.

كذلك يُستفاد من العمل، في هذا المجال، للحصول على المهارات اللازمة عن طريق اليد والأعضاء، وقد ورد في حديث عن الإمام علي عليه السلام بأن العلم يقضي على حجة الجهل والعمل يقضي على حجة العلم.

الفصل الرابع والعشرون

أنـماط التربـية

إن التربية بنظرنا لا تعني تعلم القراءة والكتابة، وإنما تطرح كذلك مسألة البناء، وعلى هذا فإن عمل المعلم والمربي لا ينحصر في تعليم المسائل والدروس كالحساب والتاريخ وعلم الاحياء، بل يجب الاهتمام أيضاً بتربية الجوانب النفسية والفكرية والأخلاقية وتوجيه الفرد للاهتمام بالجوانب المعنوية القيمة، وعمل المربي من ناحية هو جعل الفرد في الصراط المستقيم وتشغيله وتعليمه المسؤولية والإنسانية والأخلاق. ويجري التأكيد على تطهير القلب والحيلولة دون اسوداده بالصدأ والغبار وعدم تعرض الفطرة والضمير إلى التخدير، وبنائه إنساناً حراً.

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس هناك تعليم بلا تربية، مثلما أنه لا يمكن القيام بتربية من دون تعليم مباشر أو غير مباشر، وبالنتيجة يجب مراعاة هاتين المسألتين بشكل متساو ومع الأخذ بنظر الاعتبار جوانب وأبعاد القضية، والاهتمام بأمر البناء والإصلاح خلال التعليم.

المعنى والمفهوم:

إن تربية الأطفال تكون على شكل بناء أو على شكل إصلاح. والمقصود بالبناء هو الإشراف على بناء وتربية الأبعاد الجسمية والنفسية للطفل، وذلك وفقاً للتعاليم التي تبدء من مرحلة انتقال النطفة وتستمر في إطار المدرسة والمجتمع. أما الإصلاح فهو الإشراف على الطفل الذي كان أساسه التربوي غير صحيح، ويراد تحريكه وتوجيهه في المسير الصائب.

إن البناء والإصلاح التربوي يمكن تشبيهه بالبناء، ففي عملية البناء

ترسم خريطة تأسيس البناية على الأرض، ثم يجري بناء البناية في مراحل مختلفة حتى النهاية وتسلم للمجتمع وفقاً لمعايير البناء. ولكن الحال في الإصلاح يفترض فيه وجود بيت منهدم لا يمكن السكن فيه، فنضطر إلى هدمه من أجل إعادة بنائه، وبعد إخراج المواد المنهدمة نسوي الأرض ونرسم خريطة جديدة لتأسيسه، ونبني البيت فوق تلك الخرابة على أساس معايير معينة. ولا شك أن الإعمار هنا أصعب كثيراً من البناء. ووجود الخريطة في هذا المجال أكثر ضرورة ويستلزم رقابة أكثر.

مسألة بيئة التربية: من الضروري ذكر هذه النكتة وهي أن للبيئة دور أساسي في التربية، والمقصود بالبيئة جميع العوامل التي يكون الطفل على اتصال أو ارتباط معها بشكل ما، حيث يؤثر فيه ما يراه ويسمعه ويقرؤه ويلمسه، وكذلك ما يطرح عليه التنبيه والتحذير الذي يوجه إليه، والأوامر والنواهي والتعامل وأساليب العمل والرقابات الرامية إلى إجراء العدالة والجهود الهادفة لمراعاة الحق أو الجور.

إن البيئة التربوية يجب أن تكون بالشكل الذي يثبت الفضائل في الفرد ويُبعد الرذائل، ويعلمه فن الحياة الشريفة التي يراعى فيها العدل والإنصاف. وتوجه الرغبات والميول نحو الحق والصدق والأمانة والطهر، ويجدر التدبر في مسألة أن الصبي في البيئة يشبه فرداً مبتدئاً يريد تعلّم السباحة، ففن السباحة يجب تعلمه في الماء وفن السياقة بالسيارة وفن البناء في المجتمع وكل هذه البيئة يجب أن تكون ملائمة للطفل.

على طريق البناء:

يُنظر إلى التربية أحياناً على أنها إرشاد وإدارة رشد الطفل ومساره التقدمي، وهي من ناحية أخرى عملية بنائه وتنشيطه وفق المعايير التي تؤيدها العقيدة المتبناة، ويجب في هذا الطريق ملاحظة بعض القواعد والمعايير، وأهمها ما يلي:

١ ـ الوعي: لا شك أن أساس فكر الأنبياء وتعاليمهم على أساس ما موجود بين جميع الناس باختلاف أنسابهم وطبقاتهم، أن الأطفال يولدون وهم يحملون معرفة توحيدية أو ضمير توحيدي وأخلاقي، ولديهم معرفة

بالأسس الحسنة والسيئة والحقة والباطلة، إلا أن الطفل يحتاج في نطاق المصداق والعمل إلى معلومات يجب الحصول عليها عن طريق التربية.

ومن الضروري في تربية الصبي توجيه ذهنه وضميره إلى القيم المطلوبة، ودفعه إلى مراعاة الفضائل عن وعي، ومن بين الفلاسفة القدماء نجد أن سقراط يذكر أن المعرفة والوعي هما أساس الفضيلة ويقول بأن الإنسان إذا تعرّف بشكل تام على حسن وقبح الأمور، فإن مخالفته لها تصبح أقل، وعلى هذا فمن الضروري توعيته بصراحة بالحسن والقبيح وتعريفه بالمصاديق وإفهامه بالقيم.

٢ ـ **عرض الاسوة**: والاسوة هو الفرد الذي يتأسى ويقتدي به الغير من حيث السلوك والكلام والعمل. وتشير الدراسة التي تجري على أعمال الأطفال وآرائهم وأنماط سلوكهم، إلى مقدار تأثرهم بالاسوة.

إن الأفراد الاسوة هم القادة الفكريين للأطفال. ولهم دور استثنائي وأساسي في حصول التغيير لدى الصبيان، فهم يأخذون كثيراً من الجوانب الأخلاقية من الآخرين، من خلال حالة حب الأبطال التي لديهم ومن خلال الرغبة في التقليد عندهم. وهذا الأمر له تأثير غير عادي في الأطفال خاصة في أوائل العمل حيث لا يفهمون الحسن من الشيء ويتبعون بشكل تام الوالدين والمربين.

وإذا كنا نريد من الأطفال الصدق والوفاء بالعهد وتجنب الجريمة، فعلينا أن نكون اسوة جيدة لهم في هذه الأمور.

٣ ـ **التذكير**: قلنا ان هناك أرضية لكثير من الأمور والمسائل في الأطفال وان الإنسان من أية طبقة وعنصر كان، تتوفر فيه المعارف الفطرية في مجالات متنوعة. وعلى المربي في بعض الحالات تذكير الطفل بتلك النواحي، فعمل المربي من زاوية هو التذكير ودور المعلم من منظار التربية الإسلامية هو دور المذكر.

إن تذكيره بقيمته الوجودية وكرامته وعزته وارتباطه بإلهه، تمثل بعض أعمال المربي، وهذا التذكير بالإمكان أن يكون من خلال رفع العيوب والنواقص لديه وحالة اللااهتمام في الأمور المتعلقة بالحياة.

والتذكير التربوي يجب أن يكون في الخفاء عادة وبشكل انفرادي حتى تحصل فيه مستلزمات تنمية الحسنات وترك السيئات ورفض حالات الخشونة لديه، لئلا يُكره الطفل على التصلب أمام المربي.

٤ ـ **الموعظة والنصيحة**: تتضمن الموعظة والنصيحة تأثيرات مهمة لبناء الصبي، ولذا يجب الاستفادة منها كثيراً. ومن المعروف أن الأطفال يحبون سماع النصيحة من الأفراد الذين يحبونهم، وحتى أنهم يصلحون أنفسهم على ذلك الأساس.

وما يُشار إليه في مسألة النصيحة هو أن يكون الناصح أسوة عملية في القضية التي يذكّر بها غيره، ثم ان هذا الأمر ينبغي أن يكون على أساس إصلاح الصبي وليس تثبيت شخصيته.

إن المواعظ المتكررة لا تعالج مرضاً، وقد تسبب في بعض الأحيان حالة اللااعتناء واللااهتمام. وفي التربية الإسلامية تُعد الموعظة وسيلة من وسائل التربية والبناء، وتشير التعبيرات القرآنية إلى موعظة الله، وحتى أنها تصف القرآن بالكتاب الواعظ، والنبي بالشخص الواعظ.

٥ ـ **بناء الرشد**: من بين جهود المربي هو أن يبني في ذهن الطفل الشعور بالحاجة إلى الحسن والبُعد والألم من السوء والقبول قلبياً بالأمانة والصدق والطهارة وتجنب الرذيلة، النفاقة. إن عمل وسلوك المربي أمام الصبي وتوعيته ووصيته بالإيمان الكامل، والنواهي والأوامر التعليمية، تبيّن للطفل كيفية الحياة، وأن جعل بناء الحياة العائلية والاجتماعية على أساس الصفاء والصميمية والوحدة والأخلاق والإخلاص والإيمان، له تأثير كبير في توجيه الفرد إلى رشده وتربيته، وإن تشجيعه على القيام بالأعمال الصحيحة وحثه على الأمور الحميدة والسعي لإيجاد العادات الحسنة وتجنب الأعمال السيئة يفيد ويؤثر في هذا الصدد.

٦ ـ **أنماط أخرى**: من المسائل الأخرى التي يجب الاهتمام بها في هذا المجال هي دفعه إلى السير والسياحة في الحياة ومطالعة حياة الأجيال السابقة لغرض التجربة والتعلم وإدراك النتائج الحسنة والقبيحة، وإلفات

نظرهم إلى ما عمله أولئك وما تركوه من آثار ودراسة القصص والحوادث خاصة في ما يتعلق بالهدفية في الحياة، فهي مؤثرة في هذا الأمر.

كيفية الإصلاح:

ذكرنا أنه يفترض في عمليه الإعمار خطأ الطريقة التربوية السابقة، مما أدى إلى أن يصبح الطفل غشاشاً وكذاباً وشروراً ومخرباً، فيريد المربي أن يبنيه من جديد ويصلحه.

وهنا يجري العمل على هدم البناء والتأسيسات الذهنية للطفل، وبعد إخراج الأفكار الخاطئة وغسل الذهن والأفكار، يتم إدخال تصورات صحيحة في الذهن. وفي هذا الصدد يجب الاستفادة من بعض الطرق والنكات، وأهمها:

١ ـ **دفعه إلى التعمق**: إن الإصلاح أمر صعب خاصة وأن الأفراد غير مستعدين بسهولة لتغيير عاداتهم، وحتى أنهم يقاومون أحياناً إجراءات المربي.

وهنا من اللازم العمل بعمق حتى يبلغ الفرد قلبياً درجة يدرك فيها أن طريقته غير صحيحة وأن عليه استخدام طريقة ونمط جديد.

إن دفع الطفل إلى التعقل والتدبر في الأمور ومعرفة نفسه ومكانته والطريق الذي يسلكه لمواصلة الحياة بالإمكان أن يحثه على القيام ببناء وإصلاح نفسه.

ومن المناسب ذكر أمثلة متنوعة وبيان قصص وحوادث وطرح أهداف وفلسفة الحياة باللغة التي يفهمونها، بشرط أن يدركوا ذلك ويعملوا به بشكل جيد. خاصة وأن الاهتمام في التربية الإسلامية بفهم وإدراك الأمور هو أكثر من الاهتمام بملء الذهن والفكر بالمسائل والأمور (حديث مدركه خير من ألف ترويه...).

٢ ـ **استخدام المنطق والاستدلال**: إن المفاسد والعيوب الناجمة عن ارتكاب العمل القبيح هي ليست بالأمر الذي يراه الطفل صائباً بقلبه، أو أن نتصور أن عليه الخضوع له. فهو ينزجر ويهرب ذاتياً من كل ما نسميه

مفسدة، وفطرته وعقله تدعوانه إلى العدل والحق والرأفة والعفو والمساواة والإيثار وتطلبان منه السير في طريق الفضيلة.

وهنا من اللازم استخدام المنطق المقبول عند الطفل، واستعمال لغة بسيطة ومفهومة، ممزوجة بالعطف وحب الخير حتى يُكسب إلى الطريق ويتم إفهامه بالعمل المذموم ويتخلص ذهنه من الرذائل وترسم عليه خططاً جيدة، ويؤثر المنطق كثيراً خاصة وأن الطفل يذعن لذلك سريعاً وبسهولة.

٣ ـ **اللطف والبشاشة**: كثيرة هي الفضائل الأخلاقية والصفات الحسنة التي يتعلمها الأطفال عن طريق اللطف والبشاشة، يجب أن يكون نمط العمل التربوي بالشكل الذي لا يؤثر على أصالة الصبي وشخصيته، ولذلك يتم تجنب القيام بالأعمال التي تؤدي إلى إهانة الطفل.

إن الرأفة المستخدمة في نمط تربوي ثابت تزيل كثيراً من السلوك الذي يأخذ شكل عادات خاطئة، ويمكن عن طريق إظهار الرأفة والنصيحة كبح جماح أشد الأطفال وأكثرهم عصياناً وتطويعهم، فالموقف الإيجابي أكثر قبولاً لدى الأطفال من المواقف السلبية.

٤ ـ **التهديد والتوبيخ**: في بعض الأحيان نحتاج إلى استخدام التهديد والتوبيخ لبناء الطفل. ومع جميع الآثار الضارة التي تطرح بشأن التوبيخ في التربية، إلا أن هناك فوائد وآثاراً تترتب عليه يجب الاستفادة منها، وسوف نبحث ذلك في الفصل ٣٧ من هذا الكتاب.

٥ ـ **مراكز البناء**: هناك بعض الناس يرسلون أبناءهم إلى مراكز البناء بعد أن يروا حالات مشاكسة عند الأطفال ويدركون أنهم غير قادرين على إدارتهم وتوجيههم، وهذا الأمر غير صحيح، إذ أن من المؤكد أن درجة الرحم والعطف لدى المسؤولين هناك لا تساوي ما عند الوالدين، وهذه الحالة يجب أن لا تقع في فترة الطفولة بالذات.

إن الطفل مهما كانت درجة تمرده وعصيانه، يصيبه الشعور بالغربة وهو يرى نفسه في تلك البيئة فيخسر نفسه، أو يُبدي مقاومة وشدة في عمله. وحتى في الحالات التي يرتكب فيها الصبي جريمة فإن من الضروري أن يحبس في البيت تحت إشراف الوالدين والمربين فتطبق بشأنه

أية خطة من خلال ذلك، أما في حالات الاضطرار فباستطاعة المراكز ودور التأديب أن تكون بناءة وموجهة إلى حد ما.

قواعد في تربية الأطفال

هناك قواعد وكليات في البناء والإصلاح التربوي للأطفال، ومن خلال مراعاتها يسهل عمل المربي في البناء والإصلاح ويكون أكثر نجاحاً في هذا المجال، وهذه بعض تلك القواعد:

١ ـ علينا أن نتجنب في سنين الطفولة الأولى، النصائح الخشنة والوعود والتهديد والتحريك نحو التنافس ودفع الفرد إلى إظهار نفسه. ويجب أن يكون تركيزنا الأساسي في التربية على عرض الاسوة والعمل.

٢ ـ من الضروري في البناء أن يثق بنا الطفل، فنكون محل أسراره، حتى يفتح أمامنا نوافذ روحه ويطلعنا على أسراره.

٣ ـ الحذر من فضح الطفل وعدم إسقاط اعتباره، فهذا الأمر يضعف شخصيته ويؤدي إلى امتناعه عن طرح مسائليه علينا.

٤ ـ إبعاده عن أسباب الفساد والتعليم السيّء والأمور القبيحة وإفهامه أن تجنب السيئات هو شرط التمتع بالحياة الاجتماعية.

٥ ـ ومن المسائل المهمة في تربية الأفراد هو إيجاد الإيمان لديهم، فيجب أن تكون طاعة الطفل لنا قائمة على أساس الإيمان، وإلا فإن الصبي سوف يصبح مثل أداة خاطئة في أيدي الغير وهذا نوع من نقض الغرض.

٦ ـ من الضروري عند التربية رفع التناقضات التي تقف في طريق الطفل حتى يصبح ذهن الطفل وفكره في اتجاه واحد.

٧ ـ يجب إعداد الطفل تدريجياً للحياة كي يتمكن من التلاؤم مع الظروف والأوضاع، كما أن فرض الأمور على الطفل وإعطاء الأوامر التي لا يتحملها هو نوع من الظلم الذي يجب تجنبه.

شروط المربي:

وهكذا نلاحظ أن العمل التربوي صعب إلى حد ما، ولا تتوفر لأي

شخص إمكانية النجاح في التربية، فهناك شروط ومعايير للمربي، سوف نوضحها في الفصل المتعلق بالموضوع في هذا الكتاب، ولكن من الضروري الإشارة هنا إلى شروط الوعي والإيمان والعقيدة لدى المربي وسيطرته على نفسه والابتعاد عن الاضطراب والتشجيع وتجنب الغضب والتحرق والاتصاف بالرحمة والمرونة و. . .

وهنا ينبغي الإذعان إلى دور الأمهات في هذا الصدد دور غير اعتيادي، فهن لديهن أكثر من أي شخص آخر الصلاحية في الاهتمام بتنظيم الطفل وتولي بنائه، ومن واجب الأمهات الحصول على الكفاءات اللازمة في هذا الأمر.

ومن حسن الحظ أن أرضية تقبل الإصلاح والأهلية متوفرة عند الأطفال، وهم يريدون سيطرة الكبار عليهم لتوجيههم وإرشادهم، ويحبون أن تكون السلطة مقرونة بالعاطفة والمحبة.

رقابات لازمة: يجب أن يكون المربي مواظباً في طريق بناء وإعداد الطفل، في تنمية قوة الحكم لدى الصبي، فيعلمه مفاهيم المعايير والمقررات الانضباطية ويستجوبه في هذا الصدد، ويجب أن تكون معظم التعليمات في إطار التعمق في الأمور مع أخذ الظواهر وإدراك الحسيات بنظر الاعتبار. وتقوية قوة عقله، والحصول عن هذا الطريق على أسلوب التدبر في نواميس العالم والتأمل والدقة في العلاقات الدقيقة والمنظمة في الأمور. والاثنينية في الأمور الانضباطية تؤدي إلى الانحراف وعدم الرشد وتسبب عدم الاعتناء أو التهاون في الأمور.

كما أن التغيير في السلوك يستلزم حصول قوى متعارضة وأعمال غير صائبة.

ويجب أن تكون ممارسة الانضباط متزامنة مع المحبة والدلال والنصيحة. وهو أمر مرغوب لدى الأطفال، حتى أنهم يدفعون أنفسهم إلى التعرض إلى الضرب، من أجل الحصول على تلك المحبة.

الفصل الخامس والعشرون

أدوات وفنون التربـية

هناك فنون وأدوات نستفيد منها لتربية الأطفال، سواء في مجال التعليم أو في مجال التربية، ولكثير منها دور استثنائي في الإسراع بعملية التربية والبناء والتحول لدى الصبيان، ومن تلك الوسائل: القصص، الألعاب، الأفلام والسينما، التلفزيون، الشعر، المسرح، السفرات الجماعية، . . .

وثمة مسائل كثيرة يتم تعليمها بصورة غير مباشرة، وهي بمثابة دافع مؤثر وبناء من حيث التغيير، ومن حيث تذليل مقاومة الأطفال، فنحن نستطيع عن طريق القصة تعليم الأطفال قضايا أساسية كثيرة، وبإمكاننا تعليم الطفل قواعد انضباطية عديدة من خلال اللعب وتعويده على بعض الضوابط والقواعد.

وسوف نشير في هذا البحث إلى بعض المسائل ونبحث النكات التي يجب الاهتمام بها.

١ ـ القصص:

إن ما نعنيه من القصة هو ذكر حادثة واقعية وبيان حقيقي أو مجازي لحياة الإنسان أو الحيون، حيث يُعلّم دوراً ويُنقل له توعية وتعليماً ويُعرض ويُقدم له اسوة. ولا شك أن كل قصة تحمل مسألة أو عدة مسائل أخلاقية، علمية، سياسية و. . .

إن القصة مرغوبة عند الأطفال وحتى لدى الفتيان والشباب، فيستمع إليها الإنسان بإذن صاغية ويحصل منها على معلومات وعادات وتقاليد مطلوبة.

ويطرح في كثير من القصص وجود نموذج أو نجم يحب الأطفال سلوكه وعمله، ويحاول الطفل بشكل إرادي أو لاشعوري تطبيق عمله معه، وبديهي أن النموذج أو النجم إذا كان محترماً فبإمكانه أن يؤثر في بنائه.

فوائد وأهمية القصة: إن رواية القصة هي من الأساليب المهمة في التربية في الأنظمة القديمة والجديدة، وحتى أن بالاستطاعة الاستفادة منها لذوي الأعمار الكبيرة. وقد كانت وحتى الآن تقام تجمعات كثيرة تطرح فيها القصص ويستمع إليها الناس ويتعلمون طريقة الحياة.

إن استعراض حياة الأبطال في القصة يمكن أن يؤثر في بناء الأفراد ويجعلهم في مستوى أرفع وأفضل فسماع سيرة حياة الذين قاموا بتغييرات في المجتمع وصنعوا تاريخاً، يؤثر كثيراً في المستمعين، ومن خلال ذلك يمكن نقل مفاهيم أخلاقية وثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية و... خاصة إلى الآخرين وطرح أهداف مثيرة، وإحياء جوانب معينة في الناس.

والقصص إذا عرضت في إطار عاطفي، فإنها تؤثر بشكل غير اعتيادي في روح الإنسان، وفي ظلها يمكن تجسيد الفضائل في أشخاص وعرض الرذائل بصورة قبيحة وإثارة حالة الشغف والاشتياق لدى الأفراد في الرغبة في اكتساب المحاسن وتجنب السيئات.

إن القصص التي تطرح في إطار حياة الحيوانات لها آثار بناءة في الأطفال، وتعرّفهم بحياتها وتزودهم بمعلومات جيدة في هذا الصدد.

شروط القصة: من الناحية التربوية لا يمكن أن يقال للصبيان أية قصة كانت وإنما يجب أن تتوفر بعض الشروط والخصائص ومنها أن القصة يجب أن تطرح على أساس العمر، الإدراك، الظرف والهدف المعين، وتعلم الطفل الجوانب المرسومة من عادات وتقاليد ونمط معين من الحياة.

والقصص يجب أن تُبعد ذهن الصبيان عن المسائل الوهمية والمباحث المرعبة، وأن لا تلقّن الطفل أموراً سلبية ولا تؤدي إلى خوفه أو نعاسه أو حصول تخيلات غير موزونة لديه أو حصول دهشة واضطراب. وعلى الرغم من أن القصص قد تثير الخيار في بعض الأحيان، إلا أنه ينبغي أن يتوفر

فيها شيء من الواقعية، أو أن تعلّم الطفل شيئاً من الحياة الواقعية والإنسانية على الأقل.

ويجب أن تكون القصة مفيدة في تعليم الطرق والأساليب وتوعية الأفراد وتوضيح الجوانب الإيجابية والسلبية لأعمالهم، وإضاءة النقاط المظلمة في الحياة وتعليم القواعد الانضباطية وآثار الجهود الهادفة والضرر الناجم عن التخلف والكسل، وعرض الاسوة اللائقة، وتُلحظ فيها النواحي ذات العلاقة بالعقيدة المطلوبة.

الاستفادة من القصة: يجب الاستفادة من القصص، ومن اللازم توجيه مضمون القصة في الاتجاه الذي تستحصل منه النتيجة المرسومة. فمثلاً في قصة يوسف وإخوته الواردة في القرآن، يجب التعرف على النتائج التي يمكن الحصول عليها، وما هي الحصيلة المستخرجة من قصة أبناء آدم و. . .

إن القصص المتعلقة بالحيوانات يمكن توجيهها نحو الأهداف المطلوبة، وبالإمكان إضافة شيء لها أو تقليله، بينما ليس من المناسب أخلاقياً القيام بهذا الأمر في القصص ذات الصلة بالإنسان.

وما أكثر التعليمات غير المباشرة التي يمكن تقديمها للصبيان في نطاق القصص، وتلقين الأطفال الأنماط الفكرية المطلوبة من خلال ذلك الطريق. وبالإمكان من خلال القصة تقديم مفاهيم قيمة إلى الأطفال خاصة في الجوانب ذات العلاقة بالأخلاق، وإفهامهم آثار وعيوب طريقة ما.

٢ ـ اللعب:

اللعب هو عمل وسعي للّهو، وشكله المتكامل في حالة توفر نتائج يصبح (كارنام). والأطفال يرغبون باللعب ولا يمكن العثور على طفل لا يصرف بعض الساعات من الليل والنهار في اللعب.

واللعب هو أمر حقيقي بالنسبة للطفل وإن كنا نعتبره مجرد لعب، ولهذا يبذل الصبي كل جهوده حين الانشغال باللعب. وهو يفرح أو يحزن بسماع الحوادث المفرحة أو المؤسفة، والجوانب الإيجابية أو السلبية للقصة قد تجعله مرتاحاً وثقيل الوزن أو بالعكس متأثراً ونحيفاً.

وبالإمكان اكتساب فوائد كثيرة من اللعب في حالة التخطيط له وتوجيهه، ومن هذه الزاوية يعتبر اللعب وسيلة للتربية والبناء أو تدمير بناء الحياة والبناء الأخلاقي للصبي، واللعب يمكن أن يكون درساً له على شرط أن يتم ذلك وفق بعض المعايير.

أهمية اللعب: للّعب أهمية في تربية الطفل وبالإمكان أن يكون له دور مؤثر في بنائه وإصلاحه.

إن اللعب يقوي البدن ويجعله ماهراً ويساعد في نمو البدن ويزيل كثيراً من الضعف البدني. وباستطاعة اللعب أن يكون مفيداً في تعليم كيفية الحياة وبناء شخصية خاصة وبلورتها ورفع الألم والتعب وإزالة الغم والخواء الفكري وإثارة الشغف والنشاط عند الإنسان. واللعب يعطي الفكر والذهن مهارة في الجانب الفكري والذهني.

وعن طريق اللعب يمكن تعريف الطفل بطريقة الحياة الاجتماعية وتعليمه التعاون وتبادل الرأي والأفكار والانضباط وتقييد حرياته والتحكم برغباته وجعل العقل مسيطراً على البدن وتقوية مراكز الحركة في الدفاع.

ونظراً لوجود هذه الأهمية، فقد أوصت واهتمت الأنظمة التربوية ومنها النظام التربوي في الإسلام بلعب الأطفال، وقد ورد في حديث عن رسول الله ﷺ قوله بأن من كان له صبي فليتصاب معه.

شروط اللعب: لا شك أن ليس كل لعب من المنظار التربوي يمكن اعتباره صحيحاً، فالألعاب التي لا تترك آثاراً بنّاءة يجب أن لا تُعرض على الصبيان. ويجب أن تكون الألعاب طبيعية حتى يقوى البدن، وبعضها تنمّي الفكر أو الذهن وتقوي القوى الدماغية، كما يجب أن تجري بعض الألعاب بالشكل الذي ينمي قوة التحكيم والتمييز والمقارنة و. . .

وينبغي أن تكون الألعاب في مرحلة الطفولة بالصورة التي تنمي حواس الأطفال وتجعل الأعضاء ماهرة، وبالنظر لقوة حالة التخيل عند الصبيان، لذا يجب أن تحصل الألعاب بطريقة تستهدف تقوية هذا الجانب وتوفر مستلزمات التعرف على اتجاهها.

اللعب والدرس: يميل الأطفال إلى اللعب والركض والحركة

والنشاط، والصبي يشعر باللذة وهو يمارسها، والصبيان الذين لا يستطيعون كسب درجات جيدة في الدروس والبحوث، يحققون نجاحاً باهراً في ذلك المجال وخاصة في ما يتصل بالرياضة.

ومن أجل هذا، من الضروري أن يكون اللعب بمثابة درس للأطفال، درس يعلمهم كيفية الحياة الجماعية والتعاون والتعاضد الاجتماعي ويعرّف أرواحهم وقلوبهم بالعواطف والحقائق، واللعب يجب أن يعلم الصبيان درس مراعاة التوازن والاعتدال، درس الانتصار والهزيمة والمقاومة والنهوض بعد الهزيمة.

وبالإمكان أن يعتبر اللعب وسيلة لتعلم العلم والفن. وتعليم الأطفال شروط الرشد والحياة ومقتضيات الحياة الجماعية وأسلوب الخصم ومحاربة العدو وتوضيح حدود الحرية لهم وسلب روح التمرد والطغيان منهم وتعليمهم طاعة النظم والانضباط وممارسة القضاء.

الفلم والسينما:

يتأثر الأطفال كثيراً بالأشياء والصور المتحركة، وكل ما يرونه يعتبر طبيعي بالنسبة لهم ويستقطبهم، وفي ظل هذه المشاهدات يتعلمون طريقة وأسلوباً وموقفاً وينظمون نمط التعامل مع الغير.

وهكذا الحال بالنسبة للتلفزيون وبرامجه، الدرس الذي يُطرح على الأطفال بواسطته، هو أفضل من ألف درس شفوي في الموعظة، فالطفل يتابع برامج التلفزيون والسينما بحماس وشعور، فيتعلم عن ذلك الطريق العادات والتقاليد وكيفية التصرف والفضائل، ويطلع على معايير الأخلاق الاجتماعية.

أهمية هذه الوسائل: بالإمكان أن تكون هذه الوسائل من العوامل البناءة أو المخربة، وتستطيع حل كثير من المسائل التربوية، أو افتعال مسائل ومشاكل جديدة، كما أنها قد تبني النواحي النفسية والاجتماعية للأفراد، وتبني حدود حياتهم وثقافتهم، أو تهدمها.

ويجب الانتباه إلى هذه النكتة وهي أن خطر هذه الوسائل يتمثل في:

ـ تعوّد الأفراد على حالة الفوضى.

ـ تثير فيهم حالة اللاابالية.

ـ وقد يروّج الأبطال في بعض الحالات روح التهاون لدى الطفل، وحالة التراخي.

ـ وأما اللعب بالأسلحة باستخدام أساليب مصطنعة فهو قد يشكل خطراً على الأفراد ويكون له أثر سلبي على تعليم الطفل.

ـ وتؤثر في الصبي الجوانب المنحطة في البرنامج.

ـ وأخيراً تؤثر المشاهدة الكثيرة في إضعاف وإتعاب بصره.

إن ملاحظة هذه النكات تستلزم إعداد برامج السينما والتلفزيون بشكل مدروس ووفق معايير تربوية مقبولة لئلا تتعرض السلامة البدنية والنفسية للخطر أو أن تكون فائدتها على الأقل أكثر من الأضرار الناجمة عنها.

٤ ـ الكتب والمطبوعات:

تعتبر الكتب والمطبوعات من وسائل التربية التي قد تلعب دوراً بنّاءً أو هدّاماً في الأفراد بشكل غير اعتيادي، ولذلك ينبغي القيام برقابة تامة في إصلاحها وإصدارها.

وعلى الوالدين والمربين الاهتمام بنوعية الكتب والمؤلفات التي ترد إلى البيت وملاحظة المسائل التي تنتقل من خلالها إلى الأطفال. إذ تؤثر فيهم الأمثال، الشعر والأدب، القصص والأساطير، الكتب، الصور والحالات. وهذه الوسائل باستطاعتها توفير مستلزمات تجمع الأفراد أو تشتتهم والعمل على ترسيخهم في مسير الحق أو اهتزازهم.

٥ ـ الأعمال اليدوية:

هناك تأثير للأعمال اليدوية والأعمال البدنية والحياكة والتطريز والخياطة والرسوم والحفريات على الأطفال، فتزيل آلامه البدنية والفكرية والعاطفية وتقلل من هيجانه وتهدئه وتوفر ما يستلزم بناء شخصيته واعتماده على نفسه.

وبرامج الأعمال اليدوية تزود الأطفال بالمهارة وتوفر حالة التثمين لأعمال الآخرين واحترام الفن والصناعة.

وأخيراً: إن كلمة حارة وصميمية يسمعها الطفل في قصة، أو حين يرى تمثيلية أو يستمع إلى لطيفة، أو يمارس لعبة، قد يكون أثر مفيد أو سلبي فيه، ولهذا يجب الإشراف على جميع هذه الوسائل والأجهزة.

الفصل السادس والعشرون

الدوافع التوجيهية في التربية

يمكن استخدام بعض الدوافع في طريق تعليم وبناء الأطفال وتنفيذ الخطط وبلوغ الأهداف التربوية والتي يتميز بعضها بأنه موجّه شبيه بعامل من عوامل إرشاد الأطفال. وعن طريق الاستفادة من هذه العوامل يمكن السيطرة على أساليب عمل الأطفال وجعلهم في المسار المطلوب من قبل الآباء والمربين.

وهذه الدوافع عديدة، منها الاستحسان، التقدير، التشجيع، التحريض والترغيب، وكل منها بالإمكان اعتباره وسيلة تربوية. وباستطاعة المربي من خلال الاستفادة المشروعة والبناءة من هذه العوامل بناء الطفل أو الإسراع بأمر التعليم. ويجب بالطبع ملاحظة بعض الرقابات والالتفاتات في هذا الصدد، فعدم مراعاتها يسبب خطراً.

فوائد الدوافع:

كما هو واضح من اسم الدوافع، إنها عامل في التحريك من أجل سير الفرد نحو الهدف المعين. وهذه الحركة تبلغ درجة كبيرة بحيث انها تدفع العلماء من أهل الرأي في بعض الأحيان إلى السعي وبذل الجهود من أجل التحقيق والعثور على مسألة وأمر ما.

إن الدوافع تمنح القوة والطاقة في بعض الحالات. ويشعر الإنسان بالرضى عن عمله وبرنامجه رغم تحمل التعب، وذلك بغية الوصول إلى هدف. فتنشط الأفكار والأذهان وتقوي العضلات في ظل ذلك ويندفع الإنسان إلى الطريق وقطع المسير.

وقد تحول الدوافع دون الأتعاب الناجمة عن العمل والسعي، وتزيل حالة عدم الرغبة ولا تسمح أن تسبب له المشقة، تعباً وتكاسلاً، وتكون قوتها حين خروجها من الداخل مؤثرة ونافذة جداً.

أنواع الدوافع التربوية: لكل دافع من دوافع التربية دور، وهذه إشارة إلى بعض هذه العوامل:

١ ـ **الاستحسان**: وهو يعني اعتبار عمل الفرد حسناً ودفعه إلى العمل الذي يقوم به، وهو يتمتع بحساسية البحث والتوصل إلى معرفة هل ان ما قام به كان صحيحاً ومقبولاً أم لا ولذا فإن استحسان عمله يؤدي إلى تجرؤه وتشجيعه على تكرار ذلك الأمر.

والمهم في الاستحسان العثور على النقاط القيمة والجميلة في عمله وطريقته والإشادة بذلك العمل أمامه. ويجب أن لا يؤدي هذا الأمر إلى حصول سوء في التعليم ولا ينجر إلى الإفراط ويكون تجاه مسألة لا نجد أنفسنا في ما بعد مضطرين إلى ذمها أو رفضها، وتُلحظ في هذا الصدد مقتضيات العقيدة والشروط الأخلاقية وسائر الجوانب التربوية.

٢ ـ **التقدير**: أحياناً يقوم الصبي بعمل لم يكن متوقعاً منه، فنحن لا ننتظر من الطفل مثلاً أن يساعد أمه في أعمال المنزل أو يعين أباه في الزراعة أو أن يسعى ويعمل في أمر ليس في حدود طاقته وإمكانيته. وفي هذه الحالة نقدر عمله وسعيه ونثمن جهوده. وهذا يؤدي إلى أن ينظر الطفل نظرة إيجابية لذلك الأمر ويعمل على تكراره والاستمرار عليه.

ولا شك أن التقدير ينبغي أن يتناسب مع العمل والجهد والسعي وبمستوى ما بذله في هذا الطريق. كما أن التقدير يجب أن يكون للأعمال الحسنة للفرد وللأمر الذي نعتزم تكراره ومواصلته وعلينا أن نتجنب التقدير لكل ما لا يزيد حصوله في ما بعد.

٣ ـ **التشجيع**: التشجيع مظهر من الاستحسان والتقدير ونوع من التأييد للفرد ويحصل على ضوئه شوق لدى الإنسان في المبادرة إلى سلوك معين وتكراره، والتقدم رغم المصاعب.

إن التشجيع يدفع العلماء الكبار إلى التنافس لأخذ جائزة نوبل وإلى

استخدام كل ابتكاراتهم ومدركاتهم في هذا الصدد. وهذا الأمر مرغوب عند الإنسان خاصة لدى الأطفال، حيث يحتاجون إلى تأييد الآخرين للقيام بأي عمل.

أشكال التشجيع: هناك أشكال متنوعة لتشجيع الأطفال وهي:

ـ إهداء شيء مرغوب.

ـ وأحياناً يكون على شكل تناول نوع من الطعام أو الحلويات المرغوبة.

ـ إسهامه في العمل والنشاط الذي لا يزاوله كثير غيره.

ـ في بعض الحالات يمكن اعتبار رواية القصة تشجيعاً للطفل.

ـ وتارة تكون ابتسامة رضى بمثابة التشجيع له.

ـ وأخيراً بالإمكان القيام بالتعريف والتمجيد وإعطاء الهدايا النقدية والرتب والدرجات وحث الآخرين على التصفيق وإبداء الاحترام من أجل التشجيع.

وعلى أي حال فإن التشجيع هو المهم وليس مقداره ودرجته أو شكله، ويجري التأكيد بالطبع على أن لا يؤدي هذا الأمر إلى حصول فساد وتغيير في الجوهر فيصبح بصورة رشوة.

ولا شك أن التشجيع ينبغي أن ينصب في اتجاه خير وصلاح الطفل ودفعه إلى الجهة البناءة والمفيدة كما أن المدح والتمجيد الذي يذكر للطفل يجب أن يوجه لعمله وليس لشخصه لكي يكرر ذلك العمل، ولا يصدق المدح والتقدير الذي يذكر بشأنه، على شخصه إلا بشرط تكراره لذلك العمل.

ويجب أن يكون اتجاه التشجيع نحو الجهة التي تعتبر القوة الأولية لحركته العقلانية والصحيحة والبناءة والمحركة. والتشجيع ينبغي أن يبني روح الطفل ويدفعه إلى أداء الوظيفة سواء كان هناك تشجيع للعمل أم لا. وبعبارة أخرى يجب أن يكون التشجيع مستهدفاً دفع الفرد للقيام بوظيفته وليس الارتشاء وطلب الأجور.

٤ ـ **التحريض والترغيب**: الغرض هو اتخاذ المربي الموقف الذي يثير رغبة لدى الطفل ويدفعه إلى القيام بعمل، فمثلاً، إذا قيل للطفل انك قد كبرت ولله الحمد، وبإمكاني أن أعقد عليك أملاً، هذه العبارة تثير الرغبة لدى الفرد.

ويجب أن يكون كلام المربي في التحريض والترغيب منصبّاً في اتجاه إدراك القيمة التي لها مكانة لدى الصبي، وهذا الأمر يستهدف تقوية الروحية وليس إضعافها، وإعطاء الجرأة لا سلبها، وهو وسيلة وطريقة للعمل والجهد من جديد وليس إيقاف عن العمل.

إن المسائل والأعمال التي لا يستسيغها الطفل بسهولة، كثيرة، وهو لا يقبلها ما لم ترضَ بها روحه ونفسه، فيأتي البيان المبرهن والمنطقي للمربي حول ضرورتها وإعطاء العمل المقصود قيمة، ليدفع الطفل إلى القبول بها.

٥ ـ **الجزاء**: في بعض الأحيان يمكن الاستفادة من عامل الجزاء لدفع الصبي إلى ممارسة سلوك معين، ورغم أن الجزاء قد يسبب خطراً حين يأخذ شكل الرشوة ويرى الطفل نفسه حراً في الارتشاء حيثما أراد من خلال القيام بعمل، إلا أن ما نصبوا إليه من إعطاء الجزاء ليس هذا، فأساس العمل في المنظار التربوي هو أن يكون الفرد موظفاً بالقيام بالعمل والسلوك المناسب والمقبول عند الأولياء والمربين، وطبعاً ثمة أعمال وسلوك تستلزم أخذ الجزاء في بعض الحالات.

وليس من اللازم أن يكون الجزاء مادياً، ففي بعض الأحيان قد يقدم على شكل كلام، مثل كلمة عشت، أحسنت، مرحبا والتي تمثل نوعاً من الجزاء وعاملاً لإثارة الفرد وحثه على تكرار العمل.

والجزاء هو أمر معاكس للغرامة، فبدلاً من أن يؤخذ من الطفل شيئاً، يعطى شيئاً، وهذا العطاء ينبغي أن يكون على معايير مدروسة ومعقولة، وبعيداً عن الدلال غير الصحيح وعن الخِسّة الخاطئة والزجر.

دوافع أخرى:

يمكن استخدام دوافع أخرى للسيطرة على الأطفال وإرشادهم وتوجيههم نحو الخير وتطبيق السلوك المقصود، وهي تدخل ضمن إطار

التشجيع والتقدير، لكن أسماءها وأشكالها تتغير بمناسبات متنوعة، ومنها الجائزة التي تقدم للفائزين في المسابقات، عادة، وتلك الدوافع هي:

- احترام وتكريم الطفل وإيصاله إلى مقام القرب.
- مدحه أمام الأفراد الذين يرغب في محبتهم واحترامهم.
- إعطائه المعلومات التي تستعمل في مجالات أخرى في الحياة.

وكذلك وعد الطفل بالسفر وأخذه إلى المجلس الفلاني وأمثال ذلك من المسائل التي يتطلب شرحها وتفصيلها إلى بحث تفصيلي.

نكات مهمة:

ثمة قواعد ومعايير يجب الاعتناء بها عند الاستفادة من هذه الدوافع في التوجيه التربوي، وأهمها:

١ ـ ينبغي أن يكون التشجيع والترغيب في محله وأهلاً للاستفادة.

٢ ـ يجب أن تكون قيمته متناسبة مع العمل والجهد ونوع سلوك الطفل.

٣ ـ يجب أخذ الشروط الجنسية والسنية في هذا الأمر.

٤ ـ الاهتمام بالجانب المعنوي بسبب اتصافه بالتأييد الباطني.

٥ ـ ينبغي عدم تعويد الصبيان على التشجيع والتقدير بحيث لا يعملون إلا لذلك الأمر.

٦ ـ من الأفضل أن يكون التشجيع المقدم للأطفال الصغار ذو طابع مادي، إذ أن الطفل يستطيع بشكل أفضل أن يجد رغبة بأمر ما عن طريق تذوق الأمور.

٧ ـ وأخيراً يجب أن لا يصل الحال في التشجيع والتقدير إلى حد الإفراط.

٨ ـ وعلى كل حال ينبغي عدم نسيان أن هذه الدوافع هي عوامل لبناء الطفل وإصلاحه وليس هدمه وتلويثه.

الفصل السابع والعشرون

النواهي المستخدمة في التربية

مهما كانت التربية صحيحة ومدروسة ومهما سرنا في جوانبها الإيجابية، فإننا مضطرون إلى استخدام عناصر النهي في التربية. والتربية الصحيحة تنشط في جبهتين، جبهة الأمر بالفضائل ومراعاة الأمور الحميدة، وجبهة أخرى هي النهي عن القيام بالأمور المذمومة.

وعند القيام بالأمور الحميدة وترك الأعمال المذمومة لا بد لنا أحياناً من استخدام عقوبات خاصة وتنفيذ خطة انضباطية خاصة، إذ كما أن من الضروري استعمال التشجيع والتقدير لتحريك الفرد ودفعه إلى الأعمال الحسنة، كذلك من الضروري وجود التوبيخ واللوم والتهديد والتحذير للحيلولة دون ممارسة الأعمال غير الصحيحة.

وسوف نذكر في هذا البحث العناصر المستخدمة في النهي ونشير إلى حدودها وجوانبها خلال البحث والدراسة.

ضرورة الدوافع المستعملة في النهي:

التربية هي نوع من أنواع الفرض، إذ توجد فيها بعض الإلزامات والقيود من الضروري أن يتحملها الطفل، إلا أن الطفل لا يرغبها، وعلى الطفل أن يتقبل تدريجياً الطريقة التي نحددها له، تارة عن طريق التشويق، وتارة عن طريق التوبيخ، مرة من خلال التقدير وأخرى من خلال اللوم وأخيراً يستخدم الاستحسان حيناً والتنبيه حيناً آخر. إننا إذا انتظرنا وتوقعنا أن يقبل الطفل بسهولة دائماً وأنه يستحق تقديم الحلوى والجزاء، فذلك انتظار غير صحيح، ولا تتأصل التربية فيه. إن الأساس يجب أن يقوم على

ممارسة إجراءات انضباطية مع الطفل في حالة عدم تأثير الإرشادات وفي حالة الانحراف والخطأ، ومن الخطأ أن يترك المربي الطفل وشأنه أو أن يخضع لرأيه وفكره، لأنه عند ذلك يفقد أي دور له من جهة، كما أن الصبي لا يبلغ السعادة والهدف المرسوم.

وقد يحتاج المربي أحياناً إلى تحطيم مقاومة الطفل وإرشاده إلى الهدف ومن البديهي أن لا يهتم في هذا الحال بما يصدر عنه من لجاجة وصراخ وبكاء أحياناً.

المراحل والدرجات:

إن تنفيذ القواعد الانضباطية على الصبي ليست بالأمر الذي يحصل فجأة ودفعة واحدة، ومن الضروري الشروع من مراحل بسيطة وسهلة قائمة على النصيحة والموعظة، ثم الانتقال إلى مراحل أصعب عند عدم حصول نتيجة. وتلك المراحل هي:

١ ـ **التنبيه**: وهو التذكير بالشيء الذي سبق أن طُرح على الطفل بشكل نصيحة وموعظة وبوصف ذلك أداء لوظيفة والذي طلبنا منه مراعاته.

ولا شك أن التذكير ينبغي أن يكون مناسباً ومن الأفضل أن يحصل في الخفاء للمحافظة على اعتبار الطفل وعدم فضحه، وقد دلت البحوث العلمية أن التنبيهات لها أثر إيجابي في الطفل إلى حد كبير ويجب أن تتكرر. وعلى الأولياء والمربين أن لا يظنوا أن تذكيراً واحداً يكفي لكل العمر وإنما يجب تكراره بين حين وآخر من أجل إعادة الذاكرة والحؤول دون النسيان ومن أجل أن يدرك الطفل أن مربيه لا يزال يؤكد ويصر على ذلك الأمر.

٢ ـ **التحذير**: يتقدم الطفل عادة وفق الطريقة التي يحددها له المربون، ولكنه قد يتخذ في بعض الحالات نمطاً آخراً بسبب النسيان والخطأ وأحياناً بعلة غلبة الهوى أو الرغبة بالتبعية للذوق والاقتداء الخاطىء.

ويحاول المربي في هذه المرحلة تحذيره وتنبيهه إلى اقتراب الخطر، وإفهامه بخطأ مسيره ووجوب التراجع عنه. إن التحذير يأتي بعد التذكير والتوعية اللازمة وكذلك في حالة التفات الطفل لذلك مسبقاً، وإلاّ فإن

التركيز على وجوب أن يفهم الصبي أن عليه أن يفعل كذا وكذا، هو أمر غير صحيح.

٣ ـ **التحكم**: نلاحظ أحياناً أن الطفل يرفض ما نقوله له ولا يتقبل تنفيذ أمرنا، بينما تنفيذه لذلك ضروري له، وفي هذه الحالة ينبغي التعامل معه بالسيطرة وإلزامه على القيام بالعمل الذي رسم له.

وأما الشيء الذي تعتبر مراعاته مهمة، فهو أن استخدام القوة يجب أن يكون مدروساً ومقروناً بالرصانة والثقة بالنفس، فالقوة غير المدروسة التي يتبعها الاستسلام للطفل تؤدي إلى تجرؤه أكثر وعندما يلتفت الصبي إلى ضعف إرادة المربي يتمرد عليه. وعلينا أن لا ننسى توعية الطفل بمراعاة أسباب القيام بعمل ما بالحدود الممكنة في نفس الوقت الذي نمارس السيطرة عليه وإلا فما هي الفائدة المترتبة على القبول الأعمى من قبل الطفل لكل ما يسمعه، وهل باستطاعة هؤلاء الأفراد أن يكونوا أصحاب شخصية في المستقبل؟ ولكن مع هذا فإن من اللازم التعامل الحازم مع الصبي وقت الشدة والأمر وهذا الحزم يجب أن يحصل بشكل خاص عندما يكون هناك اطمئنان من التمكن من القيام به وان الطفل لا يتخذ موقفاً معارضاً.

٤ ـ **التوبيخ**: في بعض الأحيان نأمر الطفل بأمر حتى ينفذه ويهتم به، لكنه يتمرد، وأحياناً نأمره بالقيام بعمل وفق خطة وبرنامج معين إلا أنه يقوم بممارسة أمر معكوس لا يقوم على أساس معايير، وفي هذه الحالات يستحق التوبيخ.

ومن الخطأ أن يتم التوبيخ في العلانية إلا أن يكون تمرده علنياً وشبيهاً بنوع من الرفض. ويجري التأكيد على أن يتناسب التوبيخ مع الجرم ودرجته بالشكل الذي لا يشعر الطفل باليأس.

٥ ـ **اللوم**: نرى أحياناً بعض الصبيان يحبون مسألة أوامر ليس له قيمة، وثمة أفراد يتجاهلون كثيراً من الأمور أو نرى تارة بعضهم لا يهتمون بأمر ثم يواجهون العقوبة بعد فترة، في هذه الحالات تطرح مسألة اللوم.

إن اللوم يصدر عادة من موقع قوة، وبعد أن لا تجدي التنبيهات والتحذيرات نفعاً ويجب أن يحصل في حالة وجود تأثير في الفرد ومنعه عن

مواصلة الطريق الذي يسير عليه. واللوم لا يكون مستمراً وإنما يُلام الطفل مرة ثم يترك وشأنه ويُدفع إلى التفكير في أنه كان على خطأ. هذا أولاً، وثانياً لا يقارن وضع الطفل مع وضعنا عندما كنا صغاراً فنقول بأننا كنا هكذا وهكذا في مرحلة الطفولة، إذ أن الظروف والشؤون متغيرة، وقد يكون هناك شأن لدى الطفل هذا ولم يكن لدينا، وثالثاً بعد اللوم يجب التفكير بالاعتناء به وتقديم طريقة جديدة أمامه.

٦ ـ **قطع العلاقة**: يمكن استخدام أسلوب قطع العلاقة لتوجيه الطفل نحو طريق قيم أو نهيه عن أعمال غير مناسبة، وذلك حسب قواعد بعض الأنظمة وفيها النظام التربوي في الإسلام.

فعندما يكون لعدم الاعتناء بالطفل واستخدام أسلوب قطع العلاقة نافعاً، عند ذلك يمكن الاستفادة منه، لكن ذلك مشروط بأن لا تكون فترة الانقطاع طويلة، فلا تتعدى عدة ساعات بالنسبة للطفل الذي عمره ضمن مرحلة السبع سنين الثانية، وثانياً يُوضح للصبي سبب ذلك حتى لا يعود إليه مرة أخرى، ثالثاً لا تكون المسألة شاملة لجميع أفراد الأسرة، فيقطعون صلتهم به، فعندما يكون هناك انقطاع في الكلام بين الأب والإبن، فإن الأم تكون في حالة اعتيادية مع الطفل ورابعاً يقوم الأب أو المربي بالتمهيد للتصالح وإذا كانت ثمة إمكانية في وضع شرط للتصالح فذلك أمر جيد، خامساً في حالة استعداد الطفل للتوبة وموافقته على الشروط فعلينا الترحيب بذلك فوراً. وأخيرا ينبغي أن لا يكون الأساس هو الانسجام معه على أي حال وأن يكون عملنا مستهدفاً هدايته وبنائه وليس تدميره.

٧ ـ **التهديد**: نضطر أحياناً إلى ممارسة التهديد لبناء الصبي وإرشاده وإلى استخدام أسلوب التخويف لتربيته، ومن الواضح أن التهديد هو أمر مسلّم يتم على أساسه سلب القوة الدفاعية من الطفل وتعريض ارتياح باله إلى الخطر.

ويجب ملاحظة أن التهديد يؤثر في بعض الحالات على أعصاب الطفل ويهدم قواه الروحية والدفاعية ولا يستفاد منه إلا في حالات الاضطرار، وفي حالة عدم تأثير الأساليب الأخرى.

والتهديد يجب أن يستخدم في الحالات التي لا تترك آثاراً سلبية ولا يدفع الطفل إلى مقاومة المربي واتخاذ موقف مضاد. كما تلحظ فيه المرونة، ثم إن التهديد يجب أن لا يكون شديداً بحيث يسلب من الطفل الجرأة على الكلام ويتحول المربي إلى صورة كائن مخيف. وفي تلك الحالة من الممكن توجيه الطفل نحو الهدف المرسوم ولكن على أن لا تحصل مشكلة ومصيبة لا يمكن التخلص منها.

٨ ـ **التنبية**: وعندما لا تؤثر فيه الأساليب الآنفة، يأتي دور التنبيه الذي يشمل صوراً متنوعة، الضرب شكل من أشكال التربية ولكن ضمن شروط ومعايير، فالتنبيه لا يكون دائماً على شكل صفع، وإنما يكون أحياناً على شكل حرمان للطفل من شيء يحبه، أو سلب حريته أو تحذيره شفوياً أو تحريرياً أو حبسه في غرفة، أو عدم السماح له بالرياضة أو السفر وأمثال ذلك. وفائدة ذلك هو التأثير الفوري في السلوك أو دفعه إلى سلوك بعض الطرق والأساليب.

وتترتب على التنبيه بعض الأضرار منها تحطيم شخصية الصبي وقوته على المقاومة وتعريض مكانته الشخصية إلى الخطر وجعله يهرب من البيت والمدرسة.

إن العمل الذي يقوم به الطفل نتيجة الصفع والخطة التي تنفذ عليه بالرفس لا تترك آثاراً قيمة في جسمه وروحه، وكثير من التنبيهات تؤدي إلى خجل الصبي وتسبب مذلته وحيائه أمام الآخرين، وقد يتحول إلى إنسان فاسد أو منعزل أو سيء السلوك.

شروط ونكات التنبيه:

التنبيه جيد ولكن بشرط:

- أن يكون نتيجة طبيعية لعمل الطفل.
- أن لا يُحقر أمام جماعة.
- لا يكون استبدادياً.
- أن يعطيه تجربة بناءة.

ـ لا ينقص مكانته ومقامه.

ـ لا يؤدي تعريض البدن إلى إيذاء.

وإذا كان حبساً أو تخويفاً، يكون بالشكل الذي لا يترك آثاراً نفسية سلبية.

ـ تؤخذ الحالات الروحية وضعف أو قوة الناحية الاجتماعية للطفل بنظر الاعتبار، ويجب التصرف معه مثل طبيب حاذق يراعي عند إعطاء الدواء شروط السن والمزاج وطاقة البدن وضعف القلب، ويسعى إلى الحيلولة دون حصول أزمة وفوضى في الحالات الجسمية والنفسية للصبي.

وبالإمكان التصرف بالشكل الذي يفهم الطفل أنهم يعتزمون تنبيهه ولكن يجب تأخير التنبيه لرؤية ماذا سيعمل بعد ذلك. وعلى أي حال فإن التنبيه الذي يستخدم تجاه الطفل ينبغي أن يكون بالصورة التي لا يشعر الطفل فيها ان ما يتعرض له هو رد فعل شخصي، وإنما يشعر أن ذلك هو نتيجة عمله وأن الطرف المقابل لا يرغب في إيذائه شخصياً.

طرق أخرى:

ثمة أساليب أخرى لتربية وبناء الطفل ونهيه عن سلوك الطرق الخطرة، وقد ذكرنا بعضها في موضوع التنبيه كحرمان الصبي مثلاً، فمن أجل إعادته إلى جادة الصواب يمكن حرمانه من سفرة أو نزهة ترفيهية أو عدم السماح له بمزاولة اللعبة التي يحبها أو الحضور في ضيافة معينة. وحين تصدر عن الطفل تصرفات مؤذية فإن بالاستطاعة إخراجه من الجمع والطلب من الآخرين عدم مجالسته واللعب معه إلى أن يصلح نفسه أو يُعطي وعداً بذلك، وهذه الطرق والأساليب تستخدم مع مراعاة معايير معينة وفي حالات خاصة.

القسم التاسع

مراحل التربية

نتحدث في هذا القسم عن مراحل التربية، باعتبار أن لكل إنسان في مراحل الحياة المختلفة ظروفاً ومقتضيات ويتأثر بعوامل ومسائل متنوعة، فتكون المواقف المتخذة ازاءها متباينة، بالطبع.

وسوف نتحدث في فصل من هذا البحث عن فترة الطفولة وأهمية التربية الأولية ونطلق على تلك الفترة بفترة الاستعداد للتأثر، باعتبار أن الصبي يتأثر بشدة بالبيئة وما يحيط به من أفراد، ومن الضروري للمربين المبادرة إلى تربيته باستخدام برنامج وخطة معينة وتوجيهه من خلال التأسي والبناء العاطفي.

وفي فصل آخر نتكلم عن الطفولة الأولى التي يمضي الطفل مدتها في الأسرة ويتولى خلالها الوالدان أمر بناء الصبي وإرشاده، وسنطرح في هذا الفصل مسألة رياض الأطفال وسلبياتها، ونطلب من الوالدين تخصيص وقت للطفل والقيام بتعليم أساسي له.

أما الفصل الثالث لبحثنا فهو يتعلق بالطفولة الثانية، حيث تمضي بعض أوقات الطفل في المدرسة، ومن الطبيعي أن المدرسة إذا أرادت النجاح في إسعاد الصبي، فينبغي أن يكون لديها هدف وأسلوب وبرنامج، وأن تمارس تعليم أساسي للطفل وتربية لأبعاده المختلفة وتبني فيه العادات الحسنة والرشد العاطفي وتتعاون وتتحد مع أسرته وتحافظ على الأطفال من الأخطار التي تعترض طريقهم.

والفصل الرابع من هذا الجزء يتصل بفترة الفتوة والشباب حيث يكون

التلميذ عادة في سنين الإعدادية والجامعة، وعرضة لتغييرات بدنية ونفسية وأمامه مئات الأخطار والأضرار. وللبيت والمدرسة وظائف عديدة تجاهه، يمثل أداءها واجبات وضرورات فردية واجتماعية.

وأخيراً سوف ندرس في الفصل الخامس، مرحلة الشباب والكبر، والمعايير والقواعد التي يجب ملاحظتها، ونختتم هذا القسم مراعين فيه الاختصار.

الفصل الثامن والعشرون

أهمية التربية الأولية

الطفولة هي فترة التكوين، ويمكن اعتبارها من ناحية الأهمية، أهم فترات الحياة لأن أسس الحياة اللاحقة للإنسان ذات علاقة بهذه الفترة. إن الطفل في بداية الحياة كفسيلة يجب أن تنمو في ظل همة وحماية الوالدين والمربين، فتزهر وتنضج وتثمر ويتفرع عنها فسائل مثلها وأفضل منها أحياناً، وترتبط كيفية نمو الطفل ونضجه وسيره في الطريق المستقيم أو المنحرف بما يبذله الجيل البالغ من همة تجاهه.

ومن اللازم التفكير بالطفل والتخطيط لتربيته ورقابة نموه وتعيين مسير لإرشاده، والمجالات مهيئة لتعليمه من كل النواحي، ويمكن القول ان أفضل دقائق العمر موضوعة تحت تصرف المربي، ولدى الطفل رغبة قوية جداً لتعلم طريقة الحياة والتقليد والميل إلى الاقتباس.

بداية التربية:

يجب البدء بتربية الصبي مبكراً، وهذا عكس ما لدى بعض المربين من تصور في هذا الصدد، فثمة من يظن أن القيام بالتربية والانضباط وتعيين معايير ومسير للطفل يجب تأخيرها قليلاً حتى يبلغ درجة التمييز، بينما نعتقد أن كل يوم وساعة تتأخر في هذا الأمر تضر بالطفل وتتعارض مع المصلحة الجارية.

إن أمر التربية وإرشاد الجيل تبدأ برأينا قبل الولادة ومنذ مرحلة تشكيل الأسرة، فاختيار الزوجة وملاحظة الشروط الأخلاقية والنفسية والبدنية والفكرية فيها هي خطوة في هذا الطريق كما تؤثر في الصبي وفي حالاته

وخصائصه مسألة انتقال النطفة وبيئة الرحم وحالات وسلوك الأم في فترة الحمل.

ومع لحظة الولادة يشرع تاريخ حياة الطفل في هذا العالم، ومنذ الساعات واللحظات الأولية ينبغي الاهتمام بتربيته والاستفادة من جميع الإمكانات والظروف في هذا المجال.

وكلما كانت تربية الطفل مبكرة كلما كان احتمال النجاح أكثر. والطفل لا يمثل إنسان المجتمع المقبل، وإنما هو إنسان منذ الآن، وهو من حقه الانتفاع بالمواهب اليومية في الحياة وكذلك الحصول على البناء والتربية، وهذا الأمر يجب الاهتمام به مع الطفل الأول الذي هو الثمرة الأولى للحب، باعتبار أن الأعمال والعوارض غير الصحيحة التي تواجهه، كثيرة.

فترة التأثر:

إن الطفولة هي مرحلة التأثر وهذه الحالة تتناسب عكسياً مع السن والنمو، فهي تقل كلما كبر الطفل. وفي هذه المرحلة يأخذ الصبي تأثيرات مهمة من الوالدين والمربين ولا شك أن ذلك التأثير يتصف بالعمق والهدفية. ويعتمد الصبي في المراحل الأولى للحياة، على والديه كثيراً، بسبب رأفتهم به وبسبب أن مقتضاه الفطري هو الصدق والأمانة.

إن تصور الصبي للوالدين هو تصور أمانة، وثقته بهما مؤكدة مئة بالمئة ولا يمكنه أن يتصور أبداً أنهما يقولان له قولاً مخالفاً للحق والحقيقة، لهذا فإن ثقته بهما كبيرة ولا تهتز، ولكن بعد مرور الوقت وملاحظة تصرفات وأقوال متناقضة صادرة عنهما، تصبح ثقته بهما مهزوزة ومترددة.

من جهة أخرى فإن قوة التقليد قوية فيه، فهو يلتفت ويعمل بكل ما يراه، خاصة إذا ظن أن ذلك السلوك والعمل مهم وقيّم ومفيد له، كما أن رغبة الأطفال في ترك الجهل هو عامل آخر لتبعيتهم للأوامر والاتصاف بالسلوك السليم.

إن وجود هذه الجوانب والحالات في الطفل تؤدي إلى تعرضه إلى تأثيرات عميقة من الوالدين وبنائه لنفسه على الأساس الذي يريدانه وهذا الكائن الصغير اليافع سوف يربي في المستقبل القريب جيل الغد حيث ينقل الأطفال إلى الآخرين ما أخذوه من الآباء والمربين، ومن المؤكد أن جميع الآباء يريدون بناء الصبيان على أحسن وجه وإصلاحهم، إلا أن التوفيق في هذا الأمر له صلة بالشروط التي يجب عليهم مراعاتها والعمل بها.

ضرورة التخطيط:

إن التربية أساساً غير ممكنة من دون تخطيط خاصة إذا كان ثمة هدف غير اعتيادي، ورغبة الأولياء في أن يكون أبناءهم فخراً لهم يتطلب وجود خطة وسعي مدروس، وحالات الإهمال الصادرة عن الآباء في هذا الصدد، كثيرة، وهي تؤدي إلى تعرض الأطفال إلى أضرار.

إن التخطيط الذي يسبقه الهدف هو أمر ضروري، كي يتضح المكان الذي يقصد الإنسان والمسار الذي يسير فيه، إذ أن جعل الصبي في حال وظرف مجهول النتيجة ونقطة الوصول لا يفرز إلا الضياع. ومن الخطأ أن يقوم المربي بنهج تربوي مع الطفل وهو لا يدرك ذلك ولا يتحمله أو أن خطة البناء لا تناسب حاله ومزاجه.

إن البناء يكون ممكناً إذا كانت الجهود المبذولة في هذا الإطار معتبرة وكان المربي يعمل وفق خطة ومشروع دقيق. كما يجب أن تكون مراعاة المشاعر وحفظ العواطف والاهتمام بالرشد والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، قائمة على أساس معين، ومن الواضح أن خطة العمل لا يمكن أن تكون مثل خطة مؤسسة إدارية أو اقتصادية، لكن على الأولياء الاهتمام بأفق لنمط الحياة والأهداف المهمة والمسار والبرامج.

ضرورة وعي المربين:

يعمل الأولياء والمربون لتربية الأطفال وهم خدام صادقون لهم، ولكن ذلك ليس في جمع وتكديس الثروة لهم، وإنما في جمع الثروة الإيمانية والسجايا الأخلاقية. وبإمكانهم توفير أفضل أو أسوء بيئة من أجل

السلامة البدنية والنفسية للصبيان، وهذا الأمر يستدعي الوعي والاطلاع بالإضافة إلى الإرادة والرغبة.

والمربون بحاجة إلى معرفة للفرد الذي يُراد تربيته والعقيدة التي تقام التربية على أساسها وكذلك القضايا والمسائل التي تدخل في دائرة التربية أو تحيط بها، ومن اللازم الاستعداد للتربية، ولا فائدة من المحبة غير الموزونة أو تأمين الوضع الاقتصادي والصحي للطفل فقط.

ومن الضروري في العمل التربوي أن نتقدم بوعي ونمهد الأرضية للرشد ونسيطر على جميع العوامل التي لها دخل ونفوذ في تربية الإنسان. وباستطاعة الوالدين أن يكونا أفضل نموذج ومدرس للعادات والتقاليد، بشرط الحصول على الوعي اللازم، وإلاّ فقد يتمكن الآخرون من تهيئة مستلزمات انحرافه وسقوطه باستخدام خطة مدروسة.

التربية الصحيحة: لا شك أن كل عقيدة تقدم طريقة وخطة لتربية أتباعها، وتعتبرها صحيحة وحسنة. وتؤكد جميع هذه الأنظمة والعقائد على مسألة الوحدة في الشخصية وتوفر إيمان وعقيدة مقبولة ووجود عمل معين ومرسوم، على أساس ذلك تتم تربية الأفراد.

وقد دلت البحوث العلمية أن من الضروري استعمال الإنسان منذ البداية أسلوباً صحيحاً ومقبولاً لعله يتمتع في ما بعد بالسعادة والسلامة الجسمية والنفسية المطلوبة ويطرح التمتع بهذا النظام في البيت وإلى جانب المربين الأوائل. وللتربية الأولية الصحيحة تأثير في جعل الصفات والأخلاق العالية ملكة في الأفراد وإعطاء الحياة طابعاً ومعنى.

وتؤسس التربية الصحيحة على الحرية وعزة النفس والشهامة والشرف الأخلاقي والوعي ومناعة الطبع، وهي أسس توضع في المراحل الأولى للعمر والنمو حتى تظل راسخة ومتأصلة إلى نهاية العمر. وهناك نسبة مئوية عالية من الأمور التي تعلمها الإنسان في هذه السنين واستمرت حتى مرحلة متوسطة وكبيرة من العمر.

التربية الخاطئة: وهكذا الحال بالنسبة للتربية غير المدروسة والخاطئة، فالانحرافات الأخلاقية لكثير من الكبار والشباب لها علاقة

بالتربية الخاطئة وغير الصحيحة والانحرافات التي حصلت في فترة الطفولة، ولدى بعض الآباء تصور غير صحيح في أن من اللازم التسامح مع الطفل، لأنه عزيز جداً، أو أنه ليس من الضروري ممارسة نظام وترتيب معين تجاهه أو عدم تلبية مطاليبه، وهذا النوع من التهاون يفسد أخلاق الطفل، ومن الخطأ القول الذي يقوله البعض في أن من اللازم ترك الطفل وشأنه، لأن أرضية وفطرة الصبي حسنة وأن حصيلة ذلك الترك سوف تكون إيجابية وقيمة، إذ أشارت التجارب العلمية إلى أن المسألة هي بالعكس، فعدم ممارسة التربية الصحيحة يشكل خطراً ويؤدي إلى تعريض حال الطفل ومستقبله إلى ضرر.

ومن الجدير ذكره أن الأفراد الذين لم يتربوا أيام الطفولة بشكل صحيح، يصعب وقد يستحيل تغيير أخلاقهم وطباعهم عند الكبر، وحتى أنهم لا يتمكنون من إدراك لذة الصدق والأمانة.

إن التربية غير الدقيقة والخاطئة للطفل تجعله مثل نبات الحَلفاء الذي لا يفيد إلا في اخضرار المكان ولا ينتفع منه أفراد المجتمع. ومثل ذلك الطفل لا يمكنه حتى إيصال نفسه إلى هدف ما بسلامة.

الاسوة في الأسرة:

مسألة الاسوة في العائلة، هي من المسائل المهمة التي لها دور وأهمية استثنائية في التربية الأولية. فالطفل يرى ومنذ الأيام الأولى لولادته، جميع حركاتنا وسلوكنا وأعمالنا، ويتعلمها تدريجياً ويتأثر بها. وثمة عادات كثيرة تحصل للصبي في الأيام الأولى من حياته، وذلك نتيجة التجربة والعمل وتبقى مع الإنسان حتى نهاية عمره.

إن الأولياء هم الاسوة الأولى للأطفال، وعن طريقهم تنتقل إلى الأبناء، الشجاعة أو الخوف، الأمانة في العمل أو الخيانة، الصدق أو الكذب، السيطرة على النفس أو الانهيار، والآباء بإمكانهم أن يكونوا اسوة حسنة أو سيئة لأولادهم، ويصبح الأفراد على هذا الأساس، سعداء، أو بؤساء.

وفي هذه المرحلة من الحياة يعيش الصبي مع أمه بشكل كامل ويتعلم

منها، وحالة التأثر العميق التي لدى الطفل ازاء الوالدين وخاصة التأثر بالأم، تستلزم أن تهذب الأم نفسها أكثر من غيرها وأن تجعل حتى ضحكها وبكاءها وحزنها وفرحها وكلامها وفعلها قائمة على أساس عيار دقيق.

البناء العاطفي:

من المسائل المهمة المطروحة في التربية هي مسألة البناء العاطفي، فالعاطفة لا يقل تأثيرها في الفرد عن سائر أمور وأبعاد الحياة، ونحن بحاجة إلى مجتمع يسود فيه القانون فتدور الحياة ويتقدم المجتمع وفق هذه الرؤية، أما العاطفة فهي كالسائل الدهني الذي يوضع في ثنايا العجلات وبين البراغي لئلا تتعرض للتلف والخراب ولئلا تصدر عنها أصوات تصم الأسماع.

إن أحد أسباب مسألة الاهتمام بتغذية الطفل من حليب الأم، هو أنه يكتسب حين التغذية تلك، نمواً عاطفياً خاصاً ويتعلم من أمه درس المحبة والصفاء والصميمية والصدق. أما النقص العاطفي فيؤدي إلى انكسارات نفسية، فالذين لهم رغبة بالمحبة ولا يتم إشباعها، يصبحون في ما بعد من أهل الخيانة في العمل واللجاجة والقلوب القاسية، وقد يصل بهم الحال إلى عدم الاهتمام أحياناً حتى بشرفهم وكرامتهم الإنسانية. إن قيام الآباء والأمهات بالذات بتقبيل أبنائهم وشمهم يثير في الحقيقة موجة من النشاط والسرور في أعماق أرواحهم، فيرتوي الطفل ويرضى، وهذا لا يعني تعويد الطفل على الاحتضان والتعلق الشديد بالمشاعر.

بناء الأخلاق:

يعود بناء المسائل الأخلاقية الحميدة أو المذمومة إلى فترة تسبق مرحلة نمو العقل والإدراك والمشاعر والعواطف ويتولى الوالدان قيادة هذه المرحلة. وهناك مسألتان يجب التأكيد عليهما في ما يتعلق بالأخلاق، وهما:

١ ـ الأساس الفكري والأخلاقي الذي يشمل التعاليم الخاصة في مجال الأعراف والتقاليد والنمط الفكري والعقيدة والإيمان بأمر ما والتي

تتبلور على شكل ملكة في الأفراد من خلال المشاهدات، السماع، القراءة، العمل.

٢ ـ الأعمال والسلوك الناجمة عن رؤية وتعلم عمل الغير وعمل نفس الشخص.

وفي مجال هذا النوع من البناء ينبغي أن تعمل الأسرة والمدرسة بشكل وقائي وعلاجي. وعوامل الفساد تتسرب إلى الطفل من خلال طرق عديدة، وكثيراً ما يحصل أنها تمهد لعناصر السقوط والانحراف من كل جانب. ومن وظيفة المربي هي إبعاد الصبي عن هذه الأمور العوامل، وعلاجها في حالة الإصابة بها.

ومن المناسب أن يتقبل الطفل القواعد الأخلاقية وهو في المراحل الأولية للحياة، قبل أن تتوفر لديه إمكانية الإدراك والجرأة على التقييم والنقد. وعلى أي حال فمن الضروري أن يواجه الوالدان والمربون، الطفل بشكل صحيح ودقيق.

الدعاء والاستعانة:

وفي نفس الوقت فإن أمر التربية يعتبر حق للطفل، يجب على الوالدين والمربين أداءه، حسب ما نراه في الأنظمة الدينية، وهناك بعض الصعوبات في أداء هذا التكليف، ولمواجهتها نحتاج إلى الدعاء والاستعانة بالخالق، وفي نفس الوقت بذل الجهود والمساعي.

ونجد في الإسلام، سواء في الآيات القرآنية أو في نصوص الروايات والأحاديث، عبارات ورد فيها دعوة الوالدين إلى الاستعانة بالله في أمر تربية الأولاد، فنرى في دعاء للإمام السجاد عليه السلام أنه يطلب بصراحة من الله أن يعينه على تربية الأبناء حيث يقول: «وأعني على تربيتهم وتأديبهم. . .».

أما الأنظمة التي لا تلتزم بالدين والدعاء، فقد اعتبرت هي الأخرى أن التربية والقيام بها هو أمر صعب، وأنها بحاجة إلى مساعدة الآخرين بالإضافة إلى جهودها. وعلى أي حال فإن الاهتمام بالتربية وإدراك الأساس والمفاهيم اللازمة في هذا الطريق ومزج أمر التربية بالمعنوية واللطافة يمكن أن يكون عاملاً ومحركاً للعاطفة والسعي والجهد الأكثر في هذا المجال.

الفصل التاسع والعشرون

التربية في الأعوام السبعة الأولى

للأسرة سهم كبير ومسؤولية كبيرة في بناء سعادة الأبناء، خاصة وأن القسم الأغلب من تربية الجسم والنفس وتأسيس حياة اجتماعية وثقافية للطفل له علاقة بهذه الفترة. لقد اعتبرت الأسرة بيئة مقدسة تتحقق فيها السعادة، ولقد استطاع الآباء والأمهات الصالحين والمؤمنين على طول التاريخ تربية أجيال قيمة وكفوءة وتقديمها إلى المجتمع.

ويُنظر إلى الأسرة على أنها مؤسسة حقوقية يرتبط أفرادها مع بعضهم الآخر في إطار رابطة الدم والزواج وتقوم حياتهم على أساس التفاهم والتعايش والسلام والتعاون.

إن أهمية العائلة خاصة في الأعوام السبعة الأولى من الحياة، من ناحية تخفيف مستوى الجرائم والانحرافات أو زيادتها، هو أمر لا يمكن إنكاره، وتشير دراسة أجريت في الغرب (Mulek - Howrer) أن حوالي ٥٣٪ من الذين خانوا البلد في الحرب العاليمة في إيرلندا كانوا من عوائل غير منظمة ومضطربة، وفي المجر وصل هذا الرقم إلى ٥٠٪. والغرض هو أن الضمير الأخلاقي للوالدين وكمالهم النفسي وانحرافهم وسقوطهم يؤثر في الأبناء، وإنهم مسؤولون بشكل مباشر عن انحرافات أبنائهم.

وظائف الوالدين:

ليس ثمة أي شخص بإمكانه الاهتمام بتربية وإرشاد وبناء الأطفال، أفضل من والديهم، ونتيجة الفترة الطويلة التي يقضيها الطفل في مؤانسة ومرافقة الوالدين فإنه يعتاد على التبعية لهما ويقوم بالعمل الذي يطلبانه منه.

وعلى الوالدين بعض الوظائف تجاه الصبي وهي تتمثل وفق الأهداف المرسومة، في الوظائف الواردة في مجال تأمين سلامة بدن الطفل، وتربية عقله، وإرشاده ونضجه الفكري والعمل على التكامل والرشد النفسي له وتوجيه عاطفته ومشاعره، وتربيته سياسياً وتعليمه شغل وحرفة، والخلاصة العمل على بنائه وتشغيله.

ويسعى الآباء المدركون لوظيفتهم إلى العيش عيشة بسيطة حتى يستطيعوا بناء أبنائهم بشكل أكثر وأفضل. فيتحملون المرارات كي تتوفر إمكانية أكثر لنمو وتوجيه الأطفال. وفي هذا الصدد يستخدمون عوامل فطرية متنوعة لدى الصبي وذلك لتوجيهه إلى الطريق المرسوم، ويحاولون تربيته بشكل حسن من خلال عرض المحبة له ومراعاة دلال خاص.

آثار تربية الأسرة: هناك نظريات عديدة في مجال تربية الأطفال في بيئات مختلفة، فنظرية المدينة الفاضلة تقول في هذا الصدد بتربية الأبناء خارج الوسط العائلي، وهذا الأمر يؤكد عليه بعض الفلاسفة كسقراط، إلا أن بعض هذه النظريات أفرزت بناء أطفال معقدين وقساة القلوب وأنانيين ولا يراعون حقوق الآخرين وشؤونهم و. . .

إن التربية العائلية هي عامل لتوازن الإنسان ووسيلة لإشباع عواطفه وهي تؤدي إلى الحيلولة دون وقوع مشاكل. ويتأسىٰ الصبيان بوالديهم ويواصلون رشدهم ونموهم، كما أن الأسرة تنقل للأطفال ثقافة خاصة، تتسم بالصفاء والصميمية والصدق والمحبة، وهو أمر لا يستحصل في أماكن أخرى. والأطفال المترعرعون في دور الحضانة قد يبلغوا في بعض الحالات مستويات معينة، ولكن أي منهم لم يتمكن مواصلة الحياة بما يماثل أكثرية الذين تربوا في الأسر. فالجانب المعنوي والأخلاقي في البيت يجعل أمر البناء نافذاً في الطفل.

مسألة رياض الأطفال: حاول بعض أهل الرأي الغربيون، جعل رياض الأطفال بديلاً للأسرة، وجعل المشرفات والمربيات في رياض الأطفال بمنزلة الأمهات. ورغم أن هذا الأمر يعتبر ضرورياً في البلدان الصناعية إلا أنه فشل في سد النقص والضعف الناجم عن ابتعاد الأمهات وفقدان المحبة.

إن رياض الأطفال برأينا هي مكان للعمل والتكسب ونوع من المتاجر يعمل فيها بعض الناس من أجل المعيشة والحصول على رتبة ومقام ثم التقاعد، وليست محلاً لتربية عواطف الطفل ورشده واستقلاله الثقافي وإشباعه بالمحبة والأنس، وبديهي أن هؤلاء الأشخاص ليس باستطاعتهم الحلول محل الأمهات أو القيام بدور الأمومة، مما يؤدي إلى حصول بعض النواقص.

إن الحياة في رياض الأطفال جيدة من حيث الظاهر، إذ يدخل الأطفال إليها وشعر رؤوسهم مرتب وملابسهم جميلة ووجوههم نظيفة نسبياً، لكن بواطنهم محطمة وقلوبهم تطفح بالحزن. فالعواطف والمشاعر ليست طبيعية عند الأطفال، كما أن العاملين في المجال التربوي غير قادرون على أداء دور الأمهات.

سلبيات رياض الأطفال: أثبتت البحوث العلمية أن الصبيان الذين يتربون في رياض الأطفال يصابون بضعف ونقص شديد من ناحية الرشد. وهذا الأمر يصدق حتى على الجانب البدني لهم. والنواقص ذات العلاقة بالمحبة والعاطفة تفرز حصول نقص في المجال النفسي فيعاني البدن على أساس ذلك في حالة الكسل. ولو نظرتم إلى الوجوه الحزينة والمتألمة لهؤلاء الأطفال لوجدتم أن كثيراً منهم غير مصابون بمرض خاص، ونقصهم الوحيد هو الجانب العاطفي.

إن الذين يرسلون أبناءهم إلى رياض الأطفال يمارسون في الحقيقة جفاء لهم ويزيلون منهم نشاط الجسم والروح. وهذه المسألة إذا لم تكن نتيجة الاضطرار، بل من أجل التفنن ومراعاة الهوى فإنها تعتبر ذنب لا يغتفر.

وبالإمكان ظاهراً تسليم الأطفال بأيدي المرضعات وتربيتهم أفراداً عاقلين ومؤدبين، إلا أن هذه الطريقة تؤدي إلى انتزاع العناصر الأساسية للحياة من الإنسان وحرمانه من السعادة والسرور. أجل قد نضطر أحياناً إلى تسليم الأبناء بأيدي الغير كما في حالة عدم الانسجام بين الوالدين وعدم تمكنهما من التعايش، ففي هذه الحالة قد يكون من الصالح تسليم الصبي بيد فرد موثوق، ولكن علينا أن لا ننسى في كل الأحوال أن مثل ذلك الطفل بحاجة أيضاً إلى رؤية والديه. والغرض أن رياض الأطفال تربي

أشخاصاً متصنعين ومتظاهرين وبحالة مفتعلة، وهي تسلب من الصبيان طابع ومعنى الحياة. وعلى الآباء والأمهات بحكم الوظيفة الشرعية والأخلاقية أن يحافظوا على الطفل وأن يكونوا مربون لهذه الأمانة الإلهية وأن يقبلوه معهم خاصة في السنوات السبع الأولى من العمر.

ضرورة تخصيص وقت للطفل من قبل الوالدين:

إن الرغبة بحسن التربية يتطلب تخصيص الوالدين والمربين بعض الوقدت للأطفال، ويجب أن يكون ذلك بالشكل والمستوىٰ الذي يغطي حياة الصبي ويراقب جميع أبعاد حياته.

ويخصص بعض هذا الوقت لبناء وتوجيه الطفل، ويعتبر دور الأم هنا أكثر أهمية ونفوذها أكثر من الأب، حتى وإن قام الأب بممارسة نفوذ وانضباط.

إن اهتمامات الطفل مرهونة باهتمامات الأم، وهو يعتبر هذا الاهتمام جزء من حياته، وتدور آماله في هذا الإطار. وبإمكان الأمهات تأمين حاجة الطفل إلى الصدق بصورة أفضل وأكثر وأسهل.

وبالنظر لهذه العلائق والانتظار يفضي فصل الطفل عن والديه وخاصة عن أمه إلى حصول ردود فعل شديدة وضارة ولا يجبر ذلك إلا عن طريق انتفاع الطفل بالمشرفات وتوفر الرقابة لتحل محل محبة الأمهات ورعايتهن.

ومن الجدير ذكره أن الصبي يحتاج لقطع مراحل الحياة إلى معونة الآخرين ومن دون ذلك لا يستطيع أن يتقدم، وتتعرض حياته إلى الخطر إذا حصلت أدنى غفلة، وعلى الأمهات العاملات خارج البيت أن يعلمن أن الأطفال لا يتربون خارج البيت كما ينبغي ولا يحظون بحياة طيبة، وهذا هو الأثر الوضعي للأمور، سواء كان ذلك لعذر شرعي أم غير شرعي.

تعليمات أساسية:

بالرغم من أن فترة السنين السبع الأولى من العمر هي مرحلة حرية الطفل، التي لا تتضمن تعليمات رسمية وإلزامية، لكن هناك تعليمات غير رسمية وضمنية للأطفال، أهمها:

ـ تعليمات في مجال العموميات المتعلقة بالأشياء والظواهر من أجل التمهيد لمعرفتها.

ـ تعليمات بشأن نوع العشرة والتعامل والزيارات.

ـ تعليمات حول الحصول على الاستقلال في تناول الطعام وارتداء الملابس بحيث يتمكن الصبي من ترتيب وضعه.

ـ تعليمات دينية بالكيفية التي يصبح الفرد عاملاً بالدين.

وهناك تعليمات حول الأخطار التي تستهدفه والتي يجب عليه إبعاد نفسه عنها.

ويجري التأكيد في هذه التعليمات على عدم خلطها بالخرافات والسلوك وسوء التعليم، باعتبار أن إخراج التعليم السيء من فكر الطفل وذهنه وترك تعويد الصبي هو عمل صعب، والإصلاح أصعب دائماً من البناء. ثم يركز على عدم إرهاق ذهن الصبي وفكره بالأشياء التي لا قيمة لها وحتى القيّمة أيضاً لأن هذا الأمر يقضي على الأرضية لمواصلة الدراسة وكسب المعلومات اللازمة. فالأذهان المرهقة حالياً لا تقدر أو أقل قدرة على تجديد الحياة في المستقبل.

التصابي مع الطفل: من المسائل المهمة التي تلاحظ في كثرة الأنظمة التربوية هي مسألة التصابي مع الطفل في المسير والسلوك خاصة أن التربية الإسلامية تدعو إلى التعامل مع الطفل بمستوى فكره وطريقته ومسايرته.

وباستطاعة الوالدين تطبيق مسألة التصابي من خلال اللعب مع الطفل، ويمكن عن طريق اللعب تعليم الصبي مئات القوانين والأوامر وعشرات المسائل والطرق، فكثير من الأوامر والنواهي تثير مقاومة الطفل حين تنفذ بشكل مباشر أو تسبب على الأقل انزعاجه، أما لو طبقت من خلال اللعب فسوف يقبلها لاشعورياً.

إن التصابي مع الطفل يكون سبباً في رشده واكتسابه تجارب جديدة واختباره لنفسه وإدراكه لمقامه ومكانته وتعلّمه لكيفية الدفاع ودفع المشاكل و. . . ولا شك أن بإمكان الوالدين والمربين سد هذا الفراغ لدى الطفل إلى

حد كبير، إلا أن دور الأطفال الآخرين المماثلين لهم من ناحية العمر، أكثر في هذا المجال.

ولهذا السبب نقول:

ـ ان آثار التربية الاجتماعية هي أكثر من آثار التربية الانفرادية.

ـ وجود طفل واحد في البيت هي مشكلة يمكن رفعها عن طريق الطفل الثاني والثالث في الأسرة.

الرقابة العائلية:

يكون الصبي في الأعوام السبعة الأولى حراً في حياته تقريباً ولكن ليس الحرية التي لا قيد فيها، وتسبب الالفة والانس الكثير، أحياناً، ميل الطفل إلى الانفلات، والرغبة في الرذائل، ولهذا من الضروري ممارسة بعض الرقابة بشأنه. وهي رقابة مستمرة وينبغي أن تكون مناسبة ومتعدلة حتى لا تشق على الصبي وتجرح عواطفه، والممارسات القاسية والتهديد وإثارة قلق الأطفال وحالة اللاأمن الفكري في هذا العمر لا تفيدهم، والأب والأم هما اللذان يتوليان السيطرة على الطفل، أما تدخّل الغير من سائر أفراد الأسرة كالأخ والأخت الكبيرين والعم والعمة، وأمثالهم، فلا داعي له.

ويجب توجيه بعض الرقابة على سلوك وكلام الوالدين والمربين، مثل الوفاء بعهدهم تجاه الطفل والعمل بقولهم وعهدهم الذي يقطعونه، وينبغي الاهتمام بعوامل الثقة التي بين الصبي ووالديه. ثم إن مواقف المربين يجب أن تكون بالنحو الذي يجعل الطفل يتكلم معهم ويطرح عليهم أسراره وأسئلته من دون أن يشعر بالانزعاج في هذا الأمر.

ويجب تخصيص بعض الرقابة لمسألة علاقة الوالدين مع بعضهما، خاصة وأن الأطفال يتفحصون في نمط العلاقات والمودة والالفة الصميمية والسرية لدى والديهم. إن السلوك المنافي للأخلاق لدى كثير من الأطفال في الأعوام اللاحقة، له علاقة بأشياء تعرف عليها الطفل قبل وقتها المناسب.

وعلى أي حال فالغرض، هو أن ينمو الطفل في وسط بنّاء، ليجد

الاستعداد اللازم لمستقبله. كما أن الأوامر والنواهي ينبغي أن لا تفرض عليه بالشكل الذي يعجز عن الشعور بالشخصية، أو أن يرى حريته عرضة للخطر، فهو قد دخل الحياة جديداً، ويجب أن يعيش سنين طويلة.

تنويع الحياة: كما يجب أن تكون حياة الطفل متنوعة، فالدلال والليونة واللطافة في الأمور مفيدة له ولكن علينا أن لا ننسى أن الحياة ليست كلها مرونة ولطافة.

وهناك بعض الآباء يرغبون في جبران ما تعرضوا له في مرحلة الطفولة من خلال تكرار ذلك الوضع وتطبيقه على أطفالهم، وهو أسلوب خاطىء، فأبناؤنا غير ملزمين على تذوق طعم كل أنواع المصاعب، أو أن يدفعوا ضريبة المرارات التي واجهناها في فترة الحرمان.

يجب تنويع الحياة للأطفال ولكن ليس بثمن زرع العقد فيهم، كما أن من الضروري إبعادهم عن البيئات ذات الأثر السلبي، ولكن من اللازم مراعاة أن الحياة في بيئات متنوعة هي مسألة ضرورية، وأن يوفر للطفل أقصى ما يمكن من الوقت لتنمية قابليته وتلاؤمه الصحيح مع البيئة وإدراكه وقبوله للمسؤولية.

الفصل الثلاثون

الأعوام السبعة الثانـية من العمر

يمضي الأطفال الست أو السبع سنوات الأولى من أعمارهم في البيت مع والديهم، وخاصة مع الأم، وهذه المرحلة تدعى مرحلة حرية الحياة، ولا يحدد فيها برنامج رسمي ومنظم لتدريس الطفل. ويشرع التدريس رسمياً، بعد انقضاء هذه المرحلة، حيث يدخل الصبي مرحلة التمييز.

وتكليف الآباء والأمهات هنا هو المبادرة إلى التعليم الرسمي للطفل واختيار المدرسة. ويحتل اختيار نوع المدرسة أهمية، باعتبار أن القواعد الأساسية للعلم والأخلاق تُرسى هناك. ومع أن المدرسة ليست كالأسرة من حيث دورها في البناء، إلا أن أهميتها تكون في المرحلة الثانية على الأقل.

وينبغي إعداد الصبي مسبقاً لتقبل المدرسة وإقناعه بأن المدرسة مكان جذاب. ومن أجل كسب ثقته، من الضروري أن يقوم الأب أو الأم في الأيام الأولى بوضع حقائبهما أو مناشفهما اليدوية عند الطفل والتأكيد له على العودة إليه بعد ساعة أو ساعتين للذهاب معه إلى البيت، وتنفيذ هذا الوعد. كما أن من اللازم أن يختارا له صديقاً وزميلاً يتكلم معه ويؤازره، كما يدلانه على مكان المغاسل والمرافق الصحية.

والتعليمات في هذه المرحلة يمكن أن تكون إلزامية، من ناحية أن المعلومات الأساسية هي من حقوق الطفل، ويجب أن يتمتع بها جميع الناس. ومن واجب الأب والأم تعليم الطفل المسائل الأولية في الحياة، وتتعهد المدرسة، بالطبع، بأداء هذا الواجب الذي على عاتق الوالدين، بنحو حسن، وإذا قصّرت في هذا الأمر، فإن حق الطفل لا يُسلب من الوالدين.

مسؤولية المدرسة:

للمدرسة مسؤولية كبيرة قبال الطفل، لأنها تتولى ما على الوالدين من دَيْن تجاه الأبناء. والمدرسة مكان لبناء الأطفال وإصلاحهم، ومحل للتعليم والنشاط الفني والثقافي والاقتصادي والسياسي.

وعلى أولياء المدرسة المواظبة على مسؤوليتهم تجاه الأبناء، وعليهم أن يعلموا أن الطفل هو أمانة الله، والمحافظة عليه وتنميته مسألة واجبة. وينبغي أن تتبلور تشكيلات ومؤسسة المدرسة بشكل أسرة منفردة، تتوفر فيها محبة واحترام المتولين والطاعة من قبل الأطفال. إن المدرسة نعمة للطفل، بشرط أن يكون هناك برنامج ومسار صحيح لأداء الوظيفة، وأن تقدم نتاجاً مقبولاً، في مجالات الأدب والأخلاق والنواحي المتنوعة ذات العلاقة بالحقائق الاجتماعية. كما أن من اللازم تعريف الأطفال بمسؤولية المعلمين، لأن الطالب قد يذوب في المعلم أحياناً وتكون حياته في المستقبل ذات صلة بالتنظيم الحالي.

ضرورة تعيين الأهداف:

وظيفة المدرسة في مجال تربية التلاميذ متابعة الأهداف التي ترسم على أساس فكر العقيدة أو النظام المعترف بشرعيته.

وأما الوصول إلى الأهداف فهو يرتبط بنمط فكر المعلم وعقائده وطريقته، بالإضافة إلى أن قابلية وإمكانية التلميذ وظروف بيئته الداخلية والخارجية، تطرح في هذا الصدد كذلك. ومن الضروري للمدرسة أن تعرف في جميع الأحوال، ماذا تريد أن تبني من الطفل الذي تسلمته؟ وما هي فكرتها المثالية؟ وما هو مسارها الرفيع الذي تنتهجه؟ و. . .

ويتلقى جميع الطلاب في المدرسة خطة وبرنامجاً واحداً، وتحدد حريتهم، فهم يصرفون العمر في هذا الطريق، لذا يجب أن تتضح الحصيلة التي تنتج ازاء ذلك؟ وكيف يمكن تحقيق بناء كثير في مدة قصيرة، وتزويد الطلاب بمعلومات وافرة.

الخطوط العامة للبرنامج التربوي:

لو أردنا التحدث عن ماذا ينبغي للمدرسة فعله ازاء الطالب، لتطلب ذلك عدة كتب، ولكن يمكن القول باختصار أن عمل المدرسة هو البناء وتشغيل الطفل، فهي تستقبل الطفل كمادة خام ويجب أن تقوم بتربيته وإنضاجه بالشكل الذي يصبح لائقاً للحياة في المجتمع وبإمكانه تقديم خدمة للناس، أما ما يمكن طرحه في هذا المجال، بشكل عام، فهي الجوانب الآتية:

١ ـ **الاكتشاف**: وهو التمهيد الذي يتم على ضوئه اكتشاف قابليات الطفل وأسراره الباطنية وتفجير الطاقات الموجودة فيه، وهناك ذخائر كثيرة وعوامل فطرية في الأفراد قد تظل على حالها طيلة العمل من دون انتفاع، والمدرسة وسط مناسب بإمكانه اكتشاف قابليات الأطفال ومعرفة الأعمال التي يتوفر لديهم استعداد لها، وما هي المسائل والأمور التي باستطاعتهم التقدم فيها، وفي أي الأمور يمكن نموهم ورقيّهم أكثر من غيرها، والمدرسة إذا اكتشفت هذه الطاقات تتمكن من تحريرها وإيصال التلاميذ إلى مستوى النمو المطلوب.

٢ ـ **التعليم**: وتتولى المدرسة مسألة التعليم، ويركز فيه على التعليم الأساسي وهو القراءة والكتابة والحساب، ويمكن من خلال ذلك البرنامج طرح مسائل أخرى في مجال الدين والأخلاق والسياسة والثقافة والاقتصاد والأمور المعنوية بما يتناسب وعمر الطفل وإدراكه.

وعلى المدرسة تعليم الصبي درس الحياة ودرس الاستفادة من أسرار الخلق وتعليمه الطريق التي يستطيع في ظلها المحافظة على حياته وكرامته.

وعدا هذا الجانب، ينبغي أن تقدم المدرسة للتلميذ كيفية الدفاع عن البدن والفكر وتعطيه الاستعداد للسير مع المجتمع بما يناسب نموه، وتقبل المسؤولية واستخدام طاقته وإمكانيته والمبادرة إلى العمل البناء وإدراك أسرار الخلق عن طريق التجربة ولمس الأشياء والظواهر وتوفير مستلزمات نموه ونمو المجتمع.

٣ ـ **التربية**: يجب أن تكون التربية المدرسية بالشكل الذي تُربى

الأبعاد النفسية للطفل وتُهيأ مستلزمات التوازن والاعتدال لديه. وتُوازَن غرائزه ويُبلَغ بميوله السامية أعلى درجاتها، وجعل رغباته قائمة على معايير وقواعد مقبولة.

وكثيرة هي المشاكل التي يجلبها الأطفال من بيئتهم إلى المدرسة، والتي إذا استمرت تؤدي إلى حصول أضرار لحال الصبي ومستقبله. إن المدرسة هي التي تتولى رفع تلك المشكلات، وإزالة الاضطرابات الموجودة فيه، بشكل دقيق، وموازنة نمط سلوكه وكلامه، وبشكل عام، إن التربية المدرسية يجب أن تتمكن من جمع المواد الخام تلك وتصفيتها وتربيتها من خلال العمل المباشر والرقابات، وبديهي أن هناك حاجة إلى استخدام بعض الأساليب، والتي مر تفصيلها في البحث المتعلق بأنماط التربية.

٤ ـ **بناء العادات الحسنة**: بناء العادات الصحيحة، هو من الوظائف المهمة التي تقع على عاتق المدرسة في هذا الصدد، وكذلك تعليم المهارات الصرفية وتعويد اليد والعين والأذن وسائر الأعضاء على الأمور والمسائل التي يحتاجها في ما بعد.

ومن الضروري في فترة الدراسة الابتدائية الاهتمام ببناء العادات اللازمة في البدن، من نظافة وصحة، ومن المسائل المهمة ذات الصلة بالمدرسة، أسلوب التعايش مع الآخرين واكتساب المهارات الأساسية عن طريق تمرين الأعضاء على المهارة وتنمية إدراك مفاهيم ومعاني الأمور من خلال الحس والعقل ومعرفة المقررات والمعايير المستخدمة في التعامل، وبناء علاقات صحيحة والتعود على مراعاة الحقوق والرغبة في جوانب الاستقلال الشخصي و... ويجب أن تكون العادات التربوية والممارسات المستمرة التربوية قوية إلى الحد الذي تستطيع التغلب على طباع الأطفال.

٥ ـ **النمو العاطفي**: إن بناء واستمرار النمو العاطفي هو من الأعمال المهمة والأساسية للمدرسة، ويجب أن تعلم المدرسة الطالب المفاهيم العملية للتولي والتبري، وأن تقوم المصداقات والعداوات على أساس الوظيفة ومن أجل رضى الله. وكثير من المسائل العاطفية السابقة المتأصلة في الأفراد بشكل غير صحيح، ينبغي إزالتها، وفي هذا السياق يمكن أن تلعب المدرسة دوراً أساسياً.

إن العواطف يجب تربيتها في السنين السبع الثانية من عمر الطفل، بحيث يمتزج العقل والشعور معاً والتمهيد لسيطرة العقل على المشاعر، خاصة لدى الذكور، ويجب إزالة العواطف التي عملت على حصول حالة التبعية، ليتمكن الطفل تدريجياً من الاعتماد على نفسه والتخلص من الأوهام الناجمة عن وجود إبهامات في الذهن.

٦ ـ **التوعية**: يحصل للصبي في أواخر هذه المرحلة، وعي في أمور متنوعة، فتصبح لديه رؤية خاصة للعالم ويقوم باتخاذ المواقف المناسبة لذلك في حياته. والمهم هو السيطرة على الوعي وتصعيده للحالات الضرورية والإشراف عليه للحالات الخطيرة.

وفي هذا العمر يكتسب الصبي بعض المعلومات في إطار الاجتماع والسياسة والاقتصاد والثقافة والأخلاق والمعنوية ويحاول استخدامها في حياته. وفي كثير من الأحيان يرتكب أخطاء في هذا السياق مما يؤدي إلى الهدم بدل البناء. وتؤثر تحذيرات المدرسة ومسائل الوقاية والعلاج كثيراً في إصلاح هذا الخلل.

شروط البيئة المدرسية: من المسائل المهمة والحساسة في التربية المدرسية هو العمل على جعل البيئة المدرسية مناسبة للتربية. فالمدرسة الابتدائية، بالحقيقة هي العالم الثاني للصبي، الذي قدم إليه من البيت فيواجه فيه بدل الوالدين العطوفين، أفراداً أكثر جدية معه وأقل مراعاة له.

وقد تعمل بيئة المدرسة على توفير مستلزمات الفوضى والاضطراب لدى الطالب أو بالعكس، بنائه وتنظيمه وتعويده على حياة دقيقة مقرونة بالانضباط. وهذا الأمر له علاقة بموقف المربين والمسؤولين في المدرسة.

إن المدرسة يجب أن تعمل على تفجير الطاقات في الاتجاه المطلوب، وإبعاد الصفات المتناقضة عن الطلاب وبناء حالة وأرضية متوازنة فيهم.

وعلينا أن لا ننسى أن التعليم والتربية وإن كانا إلزاميين، إلا أنه ينبغي أن يكونا منسجمين ومناسبين لطبيعة الطفل. كما لا يكون الجانب التنفيذي صعباً عليه، وأن لا تكون توقعاتنا من الطفل مثالية مما يؤدي إلى عجزه

وإرهاقه، فالأمور التي تفرض عليه صحيحة ولكن بشرط أن تكون مناسبة لوضعه وقابليته الجسمية والنفسية.

استخدام منطق الأطفال:

تستطيع المدرسة بناء الطلاب وإصلاح المنحرفين ولكن بشرط توفر محبة متبادلة وإقامة علاقة مع التلاميذ قائمة على الإلفة والأنس والمحبة والحماية. وبالإمكان السيطرة على الأطفال المشاكسين باستعمال منطق الطفل، وعقل الطفل الصغير غير قادر على إدراك البراهين الصعبة والمعقدة، ولديه منطق وبرهان، يفهمه المربون الماهرون والواعون، ويجب التحدث معه بتلك اللغة وذلك الكلام.

وعلى المدرسة أن تسعى لتنمية فكر الطالب وتقوية وتنمية استدلاله وتعزيز قوة إدراكه، حتى يتعرف بالتدريج على كيفية التعامل ونمط الأفكار والمواقف ليطابق نفسه مع المعايير والأنظمة الموجودة.

أخطار هذه المرحلة: يهدد حياة وكرامة الطفل في هذه المرحلة من الحياة، أخطار عديدة، وعلى المربي أن يكون حذراً وعارفاً بها، وبعض هذه الأخطار تستهدف أخلاق الطالب وتهديد اعتباره وشرفه العائلي، وبعضها تستهدف جسمه ونفسه. وهناك أطفال كثيرون في هذه المرحلة يصابون بالرذائل ولا يدركون عواقبها، وذلك نتيجة الحجب والحياء الإفراطي وضعف النفس والاسترحام. والعادات القبيحة التي تحصل لديهم لا تزول بسهولة ولا يكون في مأمن من نتائجها إلا الأطفال الذين تلقوا معرفة للطريقة الصحيحة في الحياة.

وتتصف الألعاب بالمنافسة التي قد تفضي أحياناً إلى التسابق فيحصل للطفل خطر شديد، وفي أواخر هذه المرحلة تظهر حالة التخريب، الإيذاء، حب النزاع والخصام، وهي لا تخمد إلا عن طريق التعب، ويُلاحظ عند الأطفال قيامهم بالهجوم والجلوس في مكان شخص آخر والمناهرة، وفي هذه الحالات يجب المبادرة إلى تعليمهم مراعاة القواعد والمعايير الواردة في الصحة النفسية وتجنب التحريك ومراعاة الليونة في التوجيه والتوبيخ واستخدام الإرشاد والتشجيع، وإشباع حالة المباهاة لديهم.

الوحدة بين البيت والمدرسة: من الضروري لبناء التلميذ خاصة في هذه المرحلة، حصول وحدة بين البيت والمدرسة، نظراً لارتباط الطفل بأمه وأسرته من جهة، وتعرّفه وارتباطه الجديد بالمدرسة من جهة أخرى. ومن أسباب تخريب الطفل، عدم وجود اتصال بين المنزل والجهاز التعليمي، وقيام اتفاق واتحاد كامل بين هاتين المؤسستين يمكن أن يكون سبباً لترسيخ تربية الطفل واطمئنانه.

ومن الخطأ أن يضع الآباء مسؤولية التربية الشاقة على كاهل المدرسة، أو أن تتخلى المدرسة عن بناء التلميذ ظنّاً منها أن الآباء لا يدركون وظائفهم، وهذا الأمر يفرز عواقب سيئة، قد لا تنطبق مع رغبة الوالدين.

وتقتضي الضرورة التربوية قيام دعم متبادل بينهما للخطوات المتخذة، كما تُحدد أهداف التربية ويتم الاهتمام بها في كلا المؤسستين. ويتبادل الطرفان التجارب التربوية، وعلى هذا الأساس يتم إزالة النواقص والمشاكل. وإذا كان ثمة اختلاف بين البيت والمدرسة، فإنه لا يمكن توقع حصول وحدة بين أبعاد شخصية الطفل.

الفصل الحادي والثلاثون

الأعوام السبعة الثالثة

تعتبر السنين السبعة الثالثة من العمر، مرحلة حساسة ومصيرية، وتلاحظ فيها ثلاث فصول مهمة هي الفتوة، والبلوغ والشباب.

السنتان الأولتان من هذه المرحلة متممتان لمرحلة الفتوة التي هي مقدمة لدخول الذكور إلى عالم البلوغ، وهي عين البلوغ بالنسبة للإناث، وترافقها بعض الخصائص. والعامين التاليين يمثلان عالم البلوغ للأولاد، وذروته للبنات وهو يؤدي إلى تغييرات في الجسم والنفس، أما جزؤها الأخير وهو سن الـ٢١ عاماً، فيعتبر فترة الشباب.

وتتضح إلى حد ما قابليات الإنسان في الأعوام السبعة من المرحلة الثالثة، وتضعف بعضها وتزول وهي حالة تحصل تدريجياً، وينتج عن السكون والثبات الذي يظهر في أواخر هذه المرحلة، استطاعة الأفراد السيطرة على ميولهم وأحاسيسهم، وينبغي تعليمهم المقررات الاجتماعية وتعليمهم طريقة الحياة عن طريق السلوك والعمل.

مقدمات البلوغ والدخول فيه: يمكن اعتبار الأعوام السبعة الثالثة، مقدمة للبلوغ، إذ تصغر الألبسة بالنسبة للبدن وتتوسع الحنجرة ويصبح طول الأوتار الصوتية لدى الذكور ضعفين مما يؤدي إلى ضخامة الصوت.

يبدأ البلوغ عند الإناث في سن ١٤ عاماً تقريباً وعند الذكور في سن السادسة عشرة تقريباً. حيث يزداد طول الهيكل والعظام ويزداد وزن الإنسان بما يقارب ١٦ كيلو خلال فترة عامين، وتظهر الغريزة الجنسية، وتحدث بعض التغييرات. وفي هذا السن تتبدل تصرفات الأشخاص وتنمو رغباتهم

ولذا يجب أن يتغير نمط تعامل الآباء والمربين معهم بما يناسب ذلك الحال.

التغيرات الجنسية والنفسية: يؤدي البلوغ إلى تغييرات في البدن، ونمو الهيكل وظهور الشعر في أجزاء من الجسم ونمو الأعضاء وحصول حالة الذكورة أو الأنوثة والشعور بتغيير في النمو. وهذه المسائل تؤدي إلى حصول حالات متنوعة وتغييرات في الجانب النفسي، وفي فترة الفتوة يطول الجسم، وهذه الاستطالة تسبب له أذى، لأنه حين يركض في ساحة الدار مثلاً، وإذا تعرض إلى صدمة في هذه الحالات فذلك يؤدي إلى نوع من اليقظة والحذر لديه.

وتظهر عنده رغبة في المخاصمة والقيام بأعمال كبيرة، ويتبدل تصوره لوالديه، حتى قد يظن بأنهما جاهلان وغافلان، ويميل الأولاد في الجانب الأدبي إلى مطالعة القصص العلمية والخيالية وتميل البنات إلى القصص الخيالية، وهذا الأمر قد يبعدهن عن الحياة الواقعية، ثم يتغير هذا السلوك وهذه الحالات بالتدريج، ويصبح للفكر والعمل لديهم صورة أخرى.

مشاورة الوالدين: تؤكد كثير من الأنظمة التربوية على التشاور والتماثل الفكري مع الشخص في هذه المرحلة وذلك بشكل مباشر وغير مباشر. فتقول أنه لم يعد طفلاً، ويجب أن يدخل تدريجياً ساحة الحياة. ويجب أن يتزود بالاستعداد لهذا الدخول وهكذا فإن من الضروري القيام بعملين تجاهه:

١ ـ أولاً، رفع الرقابات الشديدة نسبياً والتي نفذت ازاءه في الأعوام السبعة الثانية، وإعطائه الحرية إلى حد ما حتى يعمل ويكتسب التجارب.

٢ ـ مرافقته لوالديه ومعلميه كي يدرك بشكل عملي مسائل الحياة ويصبح عاملاً بها.

ولا شك أن الشباب يعتبرون أنفسهم في كثير من الحالات أعلى من مستوى أبويهم وأصح رأياً منهم، وذلك نتيجة الغرور والخيال، إلا أن هذه الحالة تتغير وتتعدل بالتدريج من خلال تحمل الأبوين. وقد ذُكر أن العالِم والمؤرخ مارك تواين، كان في مرحلة البلوغ، يعتبر أباه جاهلاً وصاحب

أفكار بالية، وأنه أكثر الناس جهلاً، مع أن والده كان أستاذاً جامعياً، لكنه عند سن الحادية والعشرين، أصابته الدهشة من كثرة المعلومات، والمستوى العلمي الذي كان لدى أبيه.

إن مرافقة الفتاة لأمها، والفتى لأبيه يجعلهما عرضة للأمور والقضايا ويؤدي إلى تعرّفهما على الحياة وإدراك قيمتها ومعرفة مستوى نضج الأبوين والمربين.

وظائف البيت والمدرسة:

هناك وظائف جديدة تترتب على الأسرة والمدرسة في السنين السبع الثالثة، ومن الضروري بناء علاقات جديدة، إذ تتباين التصرفات والمواقف المتخذة بين الأمس واليوم بشكل كامل. أما الإجراءات التي ينبغي القيام بها في ما يتعلق بتربية الأفراد فهي كثيرة، منها:

١ - **الوعي**: أول خطوة هي تعريفه بمسائل الحياة والمسائل المتعلقة بالإنسان وخالقه والناس الآخرين كما أن من اللازم وتزامناً مع النمو البدني التمهيد لتغيرات في تكامل النفس.

ولا شك أن الفتيان والشباب قد اكتسبوا بعض المعلومات ولديهم بعض الاطلاع على القضايا العادية، لكن من الواجب إكمال هذه المعلومات من جهة واكتساب الجانب العملي، إذ من الطبيعي أن الأفراد يلاحظون حين العمل مسائل ودقائق لم يلاحظوها في الكتب والدروس.

ويجب أن تكون هذه المعلومات في إطار معرفة نفسه وقيمته الوجودية وابعاد حياته والمسائل ذات العلاقة بطرق وفلسفة الحياة واختيار الطريقة والأسلوب الأحسن و... كما يجب أن تحدد المعلومات نوع علاقته مع خالقه، وكيف يستعين به وكيف يعبده.

وعلى المربي أن يعلمه كيف يقيم العلاقات مع سائر أفراد المجتمع، كالأب والأم والأخ والأخت والزوجة وأهل المدينة وأبناء الشعب والمسلمين وأهل الكتاب والكفار والجيران وغير الجيران، ثم إن على الأبوين والمربين توفير مستلزمات تعريفه على العالم والكائنات التي فيه، وتعليمه كيفية التعامل مع الأشياء وكيفية ودرجة الاستفادة منها.

٢ ـ تعليم الأشغال والحرف: تنصب بعض وظائف البيت والمدرسة على إعداد الأفراد لممارسة شغل وحرفة إذ يجب أن يدخل تدريجياً عالم العمل ويحصل على استقلاله الاقتصادي ويعتمد على نفسه. ويحاول بعض الآباء تعليم أبنائهم نفس الأعمال التي يمارسونها، وهو أمر لا بأس به بشرط أن يكون متناسباً مع نمو ورغبة الفتى والشاب ويُركّز على أن يرفع الأشخاص بالعمل والجهود بعض الحمل الملقى على عاتق المجتمع وحل المشاكل الاجتماعية على أساس ذلك. ويجب أن تُلحظ مسألة الجنس في هذا التعليم والإعداد، فيتهيأ لكل شخص وفقاً للفطرة والمجال الاجتماعي المطلوب.

والغرض هو أن يتمكن خريجو المدارس والمتربون في الوسط العائلي من دخول العمل والمجتمع بطاقات علمية وفنية مفيدة، ويكونوا أفراداً ناضجين إلى حد ما، وماهرين.

٣ ـ التربية الاجتماعية والأخلاقية: تنمو الميول الاجتماعية بالتدريج عند الأشخاص في الأعوام السبعة الثالثة، فيرغبون في التفاعل مع المجتمع، وفي نفس الوقت تظهر لديهم بعض الأحيان رغبة في الانعزال والخلوة.

ويرغب الإنسان في هذه المرحلة المحافظة على استقلاله في عين الوقت الذي يميل إلى الارتباط الاجتماعي وهذا الأمر يؤدي في بعض الحالات إلى حصول بعض المواجهات، ولهذا من الضروري له اكتساب الوعي والاطلاع حتى يبعده عن هذه الصدامات، وتدخل في الخطة التربوية للوالدين والمربين مسؤولية تعليمه قواعد ومعايير الحياة الاجتماعية وتحمل بعض المرارات في الحياة والتنازل للناس في الظرف الذي يستحق التنازل والانس والالفة مع الناس وحب الناس.

ولا نسعىٰ في هذه المرحلة من الحياة إلى تربية الفرد بالشكل الذي يتطابق مع المجتمع ويكون ألعوبة بيد الناس، فالأساس في حياته هو الهدفية، ويجب تغيير المواقف عندما تسبب المعاشرات والأنس والإلفة فقدان الهدف أو تجاهل معاييره وكرامته.

٤ ـ **التربية السياسية**: الفتى البالغ أو الشاب يستطيع المباشرة بشأن حياته ومصيره وإبداء الرأي في ما يتعلق بحياته، لهذا لا يمكن أن يكون مادة خام وجاهلاً في مسائل الحياة، ومن الضروري أن يطلع على المسائل السياسية وجوانبها وأبعادها ونوع العلاقات المتبادلة بين الفرد والهيئة الحاكمة، وكذلك فهم القانون واحترامه بشرط قدسية القانون ومراعاة التعليمات والقواعد والمقررات الشرعية للحكومة والمساهمة في الأمور السياسية ومعرفة التحزب والموقف الصحيح تجاه القضايا والرقابة الاجتماعية ودعم المؤسسات. وعليه أن يعرف القانون والضوابط ويقيم علاقة مع المسؤولين ويفهم حدود الحرية ويثمن الاستقلال ويتحرك في حدود القانون، وهذه الأمور والمسائل يجب أن يتعلمها عن طريق البيت والمدرسة أو يُعرّف بها بشكل ما.

٥ ـ **الرقابة في أوقات الفراغ**: يجب توجيه بعض الاهتمامات التربوية بأوقات فراغ الفتيان والشباب. فانشغالهم المستمر بالعمل والنشاط يتعبهم ويثير لديهم الملل ويسبب قلة حصيلة العلم وانخفاض الرغبة في العمل والسعي.

من ناحية أخرى، يجب أن يتمتع بمتع الحياة ولذاتها، فهو في سن الشباب، ويطلع على جمال العالم ويتصل بالأشياء والظواهر ويدرك أسرارها وكيفيتها ومن خلال هذا التعامل، ويفهم تغييرات الحياة وتحولاتها وعليه أن يعلم أن كل الأشياء غير ثابتة وغير باقية.

وهذه الرقابة ينبغي أن تكون بالشكل الذي تحول دون الانحرافات، وسن الفتوة والشباب هو سن الوسوسة، وتمهد البطالة وفراغ البال الأرضية لكثير من الانحرافات، لذا يجب إشغال يده أو فكره بعمل ما بصورة دائمة، على أن يكون عملاً مفيداً أو مرفّهاً أو منشطاً وفيه تجربة.

٦ ـ **رقابات أخرى**: بعض وظائف البيت والمدرسة لها علاقة بالجوانب الصحية والحياتية للفرد، ويرافق مسألة التهاون في هذه الأمور، إضرار في هذا الوقت وفي المستقبل.

ويجب القيام برقابة لسلامة البدن، باعتبار أن للشباب في هذه المرحلة من الحياة قابلية على الإصابة ببعض الأمراض، وذلك لأسباب مجهولة، مثل أمراض السل وغيرها، وعن طريق الاهتمام بالصحة والرقابة على سلامتهم يمكن الوقاية من كثير من هذه الأمراض.

وهناك رقابة في مجال الغذاء، لأن بعض الأغذية قد تسبب للشباب صدمة أو تقوي بعض العوارض فيهم، فيتم التأكيد على عدم تناول الأغذية الحادة وتناول الألبان، وتجنب الاستهلاك الكثير للمواد البروتينية، وتراعى قدر المستطاع مسألة التقليل من كمية الأغذية والتركيز على المقوي منها، وان تكون الفترة بين وجبات الطعام أقل.

وثمة مراقبة في مجال اللباس، فلا تُرتدى الألبسة الخشنة والألبسة التي تلتصق على البدن وتضره. ويترك لأعضاء البدن الحرية في النمو، ولا يُضحى بسلامة البدن ونموه من أجل جمال الملابس.

وتوجد رقابات أخرى في أمور الاستحمام والجلوس والنهوض والنوم والاستراحة، وتُراقب الفتيات خاصة في فترة العادة الشهرية، فلا يسمح لهن بالقفز وركوب الخيل والجلوس على الأشياء الباردة وأن لا يكون استحمامهن طويلاً.

٧ ـ **السيطرة في العشرة**: من العوامل التي قد تشكل خطراً على الفتيان والشباب في هذا العمر، مسألة المعاشرات والعلاقات الودية، ففي هذا السن تتصف الصداقات بالحرارة والنارية، حيث تقام بينهم علاقات حميمية وغير اعتيادية، وهي علاقات جيدة إذا كانت تحت إشراف الآباء والمربين، باعتبار أن مستلزمات انشغالهم تتوفر من كل النواحي، فتحصل بينهم الفة وانس ويتصرفون على معلومات بعضهم البعض، ولكن هناك خطر من أن تؤدي الالفة القوية والأنس الكثير إلى حدوث انحرافات.

لهذا من الضروري التعرف على أصدقاء الفرد، ومن هم الأفراد الذين له علاقة معهم وحتى أن من الضروري أن نعرف آباءهم ومعلميهم وعوائلهم، ويجب القيام برقابة خاصة والحيلولة دون المعاشرة في أوساط

مختلطة، حتى بين أفراد الأسرة والأقرباء، وهذا النمط من الفكر غير مرغوب ولا مقبول لدى كثير من المدارس التربوية في الغرب.

٨ ـ **التمهيد للزواج**: أغلب الانحرافات التي تحصل لدى هذا الجيل ذات علاقة بمسألة الزواج، لذا توصي بعض المدارس التربوية، والإسلام أيضاً بالإسراع بأمر تزويجهم، فتزويج الأبناء يعتبر حقاً لهم من منظار الإسلام، بمعنى أن الأب والأم مكلّفين تعبيد الطريق لهم منذ سنين البلوغ لتشكيل الأسر وهو عمل غير سهل بالنظر للمشاكل والصعوبات الموجودة، إلا أن ما يجدر ذكره هو أن برنامج الحياة يجب أن يُطبق على أساس فكر العقيدة، لا أن يحاول الآباء تطبيق فكر العقيدة على فكرهم.

نكات في التربية:

في ما يلي بعض النكات التي من الضروري مراعاتها في تربية الفتيان والفتيات:

١ ـ إن البدن يكون نشطاً في هذه المرحلة، والاحتراق في البدن والنشاطات الكيماوية كثيرة، فيجب ملاحظة هذه المسألة.

٢ ـ يجب الاستفادة من القابليات التي لديهم وخاصة ما يتعلق منها بالعمل واختيار الموقف، والتي تظهر في هذا العمر، وصبها في اتجاه إرشادهم.

٣ ـ هذه المرحلة هي مرحلة ظهور الغريزة الجنسية، فيجب السيطرة على العوامل المثيرة.

٤ ـ الصراع النفسي يكون شديداً في هذه الفترة، ومن الواجب تهيئة الأرضية لرفع الاضطرابات والحصول على السكون النفسي.

٥ ـ تظهر في هذا السن كثير من الانحرافات، فيجب العمل على أن لا يتحول هذا الأمر إلى عادة.

٦ ـ توجد لدى الفتيان والشباب قابلية للنمو وبروز العاطفة، لذا من الضروري توجيه عواطفهم عند التربية.

٧ ـ يجب ملء الخلأ الناجم عن أوقات الفراغ عن طريق وسائل الترفيه السليمة، حتى لا يبقى موجب للفساد.

٨ ـ وأخيراً، إن المسائل المتعلقة بالفتيان هي مسائل خاصة، حتى أن البعض يعتبرون تلك الفترة مرحلة مستقلة في الحياة، ويحتاج الآباء والمربون إلى كسب بعض المعلومات لبناء أو إصلاح الأبناء.

الفصل الثاني والثلاثون

الشباب والكبر

تعتبر فترة الشباب، فترة خاصة ومتأزمة في الحياة، وتقف في طريقها رذائل وفضائل كثيرة. وتقترن الجوانب غير الناضجة مع الجوانب الناضجة فتنطبع الحياة الإنسانية بطابع معين، ويتأثر الإنسان الشاب بميول ورغبات كثيرة، وتثير فيه الأمنيات الخاطفة والخيالية شوقاً ونشاطاً.

ولكن هذه المرحلة بكل ما فيها من شغف ونشاط وجمال واشتياق تنتهي بسرعة، ليدخل الإنسان مرحلة العمل المتوسط، ثم الكبر والكهولة، ثم يرحل من هذا العالم وهو في حالة ضعف مماثلة لضعف مرحلة الطفولة. والتوقف في كل مرحلة مهما كانت طويلة، توقف قليل، والإنسان يكون بشكل دائم في مسير التحول والتغيير البدني والنفسي.

وتتميز كل مرحلة بخاصية معينة، وتتباين مواقف الإنسان ازاء القضايا، وبإمكانه الحصول على سعادة نسبية إذا توفر فيه الوعي واليقظة والانتفاع من تجارب الغير.

ضرورة مواصلة التربية:

إن التربية بنظرنا لا تختص بمرحلة الطفولة فقط، بحيث لا حاجة لها في مرحلة الشباب والكبر. وقد أثبتت تجارب حياة الأجيال السابقة والأفراد المتباينون في مراحل العمر، أن الإنسان بحاجة في مراحل حياته المختلفة، إلى التربية والمربي. ونحن نحتاج دائماً إلى وجود مذكر من أنفسنا أو من الآخرين لمراقبة أعمالنا ومسيرنا والوقوف أمام انحرافاتنا، فنحن نتأثر دائماً بالعوامل البيئية، وتثير الرغبات والأهواء الجديدة فينا ميولاً مختلفة، وكثير

منها غير شرعية ولا يقبل بها العقل والدين، لهذا تقتضي الضرورة أن نكون تحت المراقبة الدائمة.

وليس من اللازم أن تكون التربية المستمرة، مباشرة في كل الأحوال أو أن يقوم بها معلم ومربي، فهذا الأمر يمكن أن يتم من خلال التفكر والتدبر في الأمور، والاتعاظ من الطبيعة والتاريخ والحيوانات والقضايا. فكل ما يحيط بنا وجميع القضايا والأمور، بالإمكان أن نتعظ بها، لو نظرنا إليها نظرة دقيقة.

مواصلة التربية من منظار الإسلام:

من دون سائر المدارس التربوية الموجودة نرى أن الإسلام قد تكلم بصراحة في هذ الصدد، وأكد وأوصى على مسألة استمرار التربية. وهذا الأمر قد طرح قبل حوالي ١٥ قرناً أي في عصر صدر الإسلام بينما لا تزال المدارس المعاصرة حتى الآن ترى أن مرحلة التربية تختص بمرحلة خاصة من العمر.

ونلاحظ في النصوص الإسلامية روايات تؤكد على كسب الوعي حتى آخر العمر لتأمين السعادة في الحياة، وترى أن الإنسان لا يستغني عن المعلم والمربي في أية مرحلة من العمر. إن التربية تبدأ منذ الولادة وتستمر حتى الموت وهذا الأمر يمكن أن يشمل جميع المجالات الذهنية والقرارات والأمور الإجرائية. والإسلام يجب أن يكون الإنسان في إحدى مرحلتين، إما عالماً أو متعلماً، كما أن له أمر عام في مسألة اكتساب الوعي والتزود بالعلم، وبناء الإنسان لنفسه وللآخرين، ويرى أن جميع الناس لا يستغنون عن هذه الأمور.

وهذه الوصايا الناجمة عن أن الإسلام يعتبر أن هناك مسافة بين الإنسان ونقطة الكمال المطلق، ومهما بذل من حركة وجهد فإن الهوة تظل موجودة.

وظيفة الوالدين: تختلف العقائد في تحديد مرحلة الطفولة، وبالنتيجة تصل كل عقيدة إلى نقطة ما تعتبرها نقطة بدء استقلال الأفراد ووجوب اعتمادهم على أنفسهم.

والإسلام يعتبر أن التربية تستمر إلى سن الحادية والعشرين سنة، بوصف ذلك حق للأبناء، وأن على الأبوين بناء أبنائهم وإعدادهم للعمل، وبعد هذه المرحلة لا تكون هناك وظيفة وتكليف عليهما من باب أداء الحق، وتصبح وظائفهم تجاه الأبناء مثل وظائف سائر أفراد المجتمع مع فارق واحد هو أن ما يصدر عن الأبناء من أعمال حسنة أو سيئة ترتبط دائماً بالأبوين، وتكون لها علاقة بشرف الأسرة واعتبارها.

ثم إن وجود العواطف العائلية والارتباط النَسَبي مع الأبوين يؤدي إلى شعور الطرفين بالمسؤولية والاهتمام ببعضهما البعض، لذا يمسك الوالدين بيد الابن في الحالات الضرورية ويرشدانه من أجل مواصلة الحياة والتمتع بعيشة سليمة.

أما وظيفة المجتمع فهي عدم التقصير مع الشباب في مسألة الإرشاد وتقديم التجارب، وتقضي الرقابة الاجتماعية التي تمثل وظيفة تجاه أفراد المجتمع، المبادرة إلى تربيته وبنائه عند الحاجة، وتحذيره حين يوشك على الوقوع في انحراف.

والمجتمع مكلف بتهيئة البيئة لنمو الفرد وتمتعه بحياة سليمة وسد طريق الانحراف أمامه، لهذا يجب الامتناع عن القبول ببيئة ملوثة، والاهتمام بحياة ومصير الذين يشرفون على الكلام والسلوك.

تشكيل الأسرة:

من الوقائع الحساسة التي تحصل لكثير من الناس في هذه المرحلة، مسألة بناء الأسرة والزواج. وعلى الأبوين والمجتمع وظيفة إزاء الفرد، في هذا الأمر المهم، إذ من الضروري القيام بالتوجيهات اللازمة، في مسألة اختيار الزوجة وإدارة الحياة وإرشاد وتربية الذرية وتسهيل أمر معيشته وتشجيعه على ذلك. إن تشكيل الأسرة يفيد الشاب في مسألة موازنة غريزته وحصول حالة السكن لديه، فينظر إلى العالم نظرة أخرى وبرؤية أعمق ويصبح في درجة أعلى من ناحية الانسجام الاجتماعي، وتصير عضويته في المجتمع أكثر رسمية وأكثر وعياً. وهناك وظائف أخرى على الأبوين والمربين تجاه مثل هؤلاء الشباب وهي تؤدي إلى حصيلة مفيدة للفرد

والآخرين أيضاً، وهي أن من الضروري قيامهم برفع النواقص والمشاكل التي تحصل في طريق تمتع الشباب بلذة الحياة وهم في مقتبل العمر، وعليهم أن لا يسمحوا للفقر والحرمان أن يذيقهم مرارة الحياة.

النشاطات الاجتماعية: يجب أن يكون لدى الشاب في هذه المرحلة عمل وحرفة، وحتى بالنسبة للطلبة الجامعيين من الضروري أن يخصصوا بعض الساعات يومياً أو أسبوعياً، لممارسة عمل فيه أجور، ومع أنه قد يبدو أن هناك ضرورة للصرف على الطالب الجامعي في هذه المرحلة وهذا العمر، ولكن عليه أن يتخلص من هذا الارتباط تدريجياً، استعداداً للاستقلال في الحياة.

كما أن من الضروري أن لا يمارس الشاب في هذه المرحلة العمل الذي يدر المال فقط، بل يضع جزء من نشاطه في خدمة الآخرين، مجاناً، ويمارس الأعمال التعاونية والخدمات العامة ومساعدة المحرومين، وينفع الغير بماله وطاقته. وينبغي أن يُبنى هذا الأمر في مرحلة الطفولة كي يتعود على الرغبة في الخدمة الاجتماعية، وبإمكان المسؤولين في المجتمع والخطباء والوعاظ زرع الرغبة فيه.

أساس الحياة:

تختلف المدارس العقائدية في طبيعة المسائل التي تقوم عليها الحياة في هذه المرحلة، وتضم المدرسة التربوية في الإسلام جميع وجهات النظر الموجودة في هذا الصدد، وهذه إشارة إلى بعض جوانب ذلك:

١ ـ **التوجه إلى الله**: يتم التأكيد والرقابة على جعل جميع أموره وسلوكه مبنياً على أساس التوجه إلى الله، حتى علاقاته وحركاته ونشاطاته وطعامه ونومه وصداقته وعداوته، تبنى على أساس إرادة الله والتوجه إليه. ويجب أن تكون التربية بالشكل الذي يرى الإنسان أن الله حاضر وناظر في جميع الأحوال.

٢ ـ **جعل الأمور في مسير السنة**: إن نظام الحياة في العالم مبني على أساس معيار يدعى بشكل عام بالسنة، فيجب أن تكون الحركات والمسير في إطار السنة الإلهية. وتعتبر الحركة في الاتجاه المخالف، حركة خطيرة،

وقوانين هذا الكون ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بمرور الزمان، والعلاقة بين الكائنات وفق هذا القانون تقوم على أساس علاقات العلة والمعلول، وقانون الحياة منظم ومحسوب على قاعدة ذلك الأمر، بشكل كامل، وينبغي أن تتطابق الرغبات في السلوك، مع السنن الإلهية، وأن لا تتعارض الموازين والمقررات، ومن الضروري، أن يتّبع الأفراد تلك القواعد من أجل السلامة والسعادة، ويتجنبوا ما فيه المخالفة.

٣ ـ **استخدام المعلومات**: كثيرة هي المسائل والأمور التي تعلّمها الأشخاص من خلال حياتهم، في المدرسة والبيت والمجتمع والكتب، وقد حان وقت تطبيقها في الحياة، وبديهي أن هذا التطبيق يجب أن يكون باتباع القوانين الإلهية المستقلة. إن أشباع الرغبات أمر جيد، بشرط أن يكون وفقاً للقياس الصحيح والمعيار الإلهي. ويؤدي الانحراف عن هذا الأمر إلى السقوط والبؤس، وإن كان ذلك ناجم عن جهل، وعلينا أن لا ننسى أن الفكر الإسلامي يقول بأن الله تعالى، يجعل أمور الكون طبقاً لمقتضَاها وعللها، وليس على أساس سلوك وميول الأفراد.

٤ ـ **الاتعاظ**: من شبه المستحيل أن نقول بأن الناس لا يتعرضون في حياتهم إلى الانحراف أبداً، ولكن يجب تصحيح الانحرافات، وفقاً للنصائح والمواعظ، وبالإمكان الاستفادة من تجارب الناس الذين سبقونا في الحياة الاجتماعية، واكتسبوا معلومات وتجارب أوسع منا، وإثراء الحياة وتسهيل المصاعب.

ويتّبع الإنسان العقل حين يبلغ سن العشرين تقريباً، فيلتفت إلى عمق المصائب ويندم على أخطائه السابقة.

٥ ـ **اكتساب التجارب**: إن المشاكل والصعوبات التي تقع في الحياة، كثيرة. وإذا أدركنا أننا نعاني من مشاكل كثيرة، رغم الاستفادة من تجارب الأجداد التي تمتد إلى آلاف السنين، فسوف نعرف تلقائياً أهمية اكتساب التجارب، وان علينا الاتعاظ من كل حركة وتصرف ومن كل قضية وطريقة، فنمهد الطريق لأنفسنا والأجيال القادمة.

٦ ـ **تهذيب النفس**: نحن عرضة بشكل دائم لتغييرات وتحولات

متنوعة. وكثير من ما نبنيه نحن وغيرنا يصاب بالدمار بعد أيام معدودة، وهناك عوامل هدامة من الداخل ومن الخارج، وتوسوس فينا غرائزنا وميولنا الباطنية دائماً، وتحرفنا أحياناً عن مسيرنا، كما أن العوامل الخارجية والزخارف هي من الوسائل العاملة على الانحراف. إن على الإنسان بناء نفسه في ظل تلقينه وتعليمه لنفسه، بالشكل الذي يتمكن من مقاومة هذه العوامل.

٧ ـ **بناء الآخرين**: وأخيراً من الضروري في هذا المسير أن تكون عملية بناء الأفراد بشكل ودرجة بحيث أن بإمكانهم بناء الغير أيضاً والمبادرة إلى إرشاد وإنقاذ الآخرين من الانحراف. والإنسان هو فرد ملتزم بنظر العقل والعقيدة ولا يمكن أن يكون لاأبالياً ازاء الأمور والقضايا.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى حد تعبير علم الاجتماع، النظارة الاجتماعية، هي أمر ضروري على الجميع، ويجب بناء الأفراد لهذا الأمر.

القسم العاشر

إعداد المعلم

نتحدث في هذا القسم عن المعلم وإعداده وعن شروط وخصائص عمله، وكذلك دور المعلم وعمله في المجتمع وفي المدرسة. وفي البداية يجب التكلم عن أهمية المعلم وقيمة مقامه، ودوره في تغيير نظام ما والتأثير في تصرف وسلوك الطفل، ليتضح العمل والوظيفة التي تقع على عاتقه، وفي أي الشروط والمعايير يمكن أن يحظى بالاحترام.

وفصل آخر من هذا البحث يتناول الخصائص والشروط التي يجب توفرها في عمل المعلم، وذلك في النواحي المتعلقة بالوعي والإيمان والعمل والأخلاق والعاطفة وكذلك في ما يتصل بحياته وبنائه لنفسه وللتلميذ.

وفي جزء آخر من البحث نتطرق إلى ما يتعلق بإعداد المعلم وتأهيله، ويجب البحث في المسائل التي يجب أن يتعلمها، وما هي مواصفات الأفراد الذين يتولون مسؤولية تربيته وتعليمه، وكيف تكون طبيعة العمل معه، وما هي جوانب البناء التي تُبنى فيه.

أما القسم الرابع من هذا البحث، فيدور حول دور المعلم وعمله في المدرسة والمجتمع وبيان وظائفه الأساسية والثانوية. كما نتعرض في هذا الصدد إلى المسائل ذات الصلة بكسب التلاميذ ونوع تعامل وعلاقة المعلم مع التلميذ وأبويه وقيامه بوظيفته.

وأخيراً نتكلم في الفصل الأخير من هذا القسم عن فوائد وأضرار العمل التعليمي وسوف نوضح كيف أن من الضروري أن يُؤدى العمل في سبيل الله، وسنطرح كل هذه المباحث بشكل مختصر.

الفصل الثالث والثلاثون

التعليـم وأهميته

العمل التعليمي، شغل نبيل وقيم، وتعتبره الأديان شبيهاً بشغل الأنبياء، ويكفي في أهميته أن نعرف أن مسألة بناء الجيل وتربية رجال العلم والسياسة والمسؤولين الحقيقيين في المجتمع هي من اختصاصه.

إن المعلم يؤثر في وضع المجتمع ونوع الحكم وكيفية العمل وحركة الحكومة وسعادة أو بؤس البلد، ويصفه المربون بأنه مثل صاحب بستان يصب كل همه وغمه لتنمية الفسائل والزهور وإروائها، وتقليم أغصانها لتهيئة مستلزمات نموها.

إن يد الطفل هي في يد المعلم وذهنه يلتفت إليه وفكره يتأثر به، وبإمكانه توجيه الطفل إلى الجهة المناسبة وبناء الدوافع الحسنة أو السيئة فيه، وإرشاده والأخذ بيده في مسير الحياة ومساعدته، ويبني المعلم في التلميذ فلسفة الحياة، ويحدد له الأهداف ويعلمه صفات الكرامة أو الذلة، وهذا الأمر هو تحت تصرف عدد قليل من أبناء المجتمع.

قيمة المعلم ومنزلته:

يتمتع المعلم في كل المجتمعات، المادية أو المعنوية، بقيمة ومرتبة رفيعة، ومقامه أفضل من مقام العالِم، باعتبار أنه يمارس العمل التربوي مباشرة، فالعلماء مخزن من الوعي والعلم، والمعلمون هم في خدمة طالب العلم من أجل سعادة الجيل.

وللمعلم في الحقيقة قيمة رفيعة، وإن كان يبدو قليل القيمة لدى أفراد معدودين، فهو يربّي ثروات المجتمع النفيسة، ويقوم بتَحريك عجلة حياة المجتمع.

ويتمتع المعلم بمكانة سامية في النظام التربوي الإسلامي، باعتبار أن التعليم هو عمل المعلم، والأنباء معلمون مبعوثون من قبل الله. وقد ورد في حديث منسوب للنبيﷺ، قوله: إني بعثت معلماً. وقد ذكرت بعض الآيات القرآنية، تلويحاً أن عمل النبي هو التزكية والتعليم، وهذا يعبر عن دوره التعليمي. فهو يعلم الناس الكتاب والحكمة، وبالنتيجة، فإن المكانة الإيجابية أو السلبية للمعلم تتعلق بهذا الأمر. فالمعلم الجيد يمثل جزء من مصير الطفل، ويوفر من كل النواحي مستلزمات إصلاحه إو إفساده.

ويقول المرحوم الشهيد الثاني في كتاب منية المريد: به قوام الدين وبه يومن محاق العلم، فهم من أهم العبادات.

الفرق بين المعلم والمربي:

مع أن التعليم لا ينفصل عن التربية، والتربية لا تنفصل عن التعليم، إلاّ أن بالإمكان التفريق بين المعلم والمربي، وباعتبار العلاقة بينهما، علاقة العام والخاص، فليس كل معلم بإمكانه أن يكون مربياً جيداً، بينما يمكن ويجب أن يكون المربي، معلماً، أيضاً.

والمعلم يطرح للطالب المسائل التي هو جاهل بها، ويعطيه دروساً وتكاليف مدرسية، وينصب كل جهده من أجل أن يحصل التلميذ على درجة ممتازة، أما مسألة بنائه وتربيته وتعليمه الإنسانية والأخلاق، فذلك أمر لا يهمه. وهذا الشخص يعتبر معلماً، وليس مربياً، لأن المربي يحسب ماهية الأثر الذي يحصل في التلاميذ نتيجة التدريس ذلك، وذاك التكليف والتشجيع والتهديد، وماذا عليه أن يفعل حتى يستخدم الطالب هذه التعليمات في طريق خيره وسعادته وسعادة الآخرين؟ وماذا يصنع من أجل أن يتربى ذلك الفرد ويُبنى ويخطو في مسير الإنسانية؟ ويتجنب الشرور والطغيان والعصيان، ويتصف بالطهارة والعفة ويسلك طريق التقوىٰ.

مربو الفرد والمجتمع:

وهم العاملون في مجال تربية الفرد، ويشمل ذلك كل من الأب، الأم، المرضعة، الأخ، الأخت، المعلم، عالِم الدين، التاجر، وأي شخص آخر يمارس عملية التغيير في الأفراد ويعمل على تغييرهم وتحولهم.

ومما لا شك فيه أن الإنسان يتعظ من عوامل كثيرة في المجتمع، فهو يتعظ من الكائنات إلا أنها لا تعتبر مربيًا له، إذ يجب توفر القصد والوعي في العمل التربوي، فيعلم المربي ماذا يفعل وما هو هدفه من ذلك، وبالنتيجة يعتزم إيصال الطفل إلى نقطة معينة في الجانب المعنوي والمسائل الحقيقية.

والمهم هو مسألة رسوخ دور المربي ومكانته وقبول الطفل به، وطاعته لتعليماته، وهي حالة غير ممكنة إلا بعد توفر قناعة لدى الطفل بمربيه واعتباره أهلاً للتأسي والاقتداء به. وما لم يحصل مثل هذا التحول في الفرد، فإنه لا يُتوقع حدوث تغيير فيه.

المعلم والتغييرات الاجتماعية:

للمعلم بالمعنى العام دور استثنائي في تغيير النظام وفي المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع وكل أنواع التحول والتغيير في نظام الحياة الاجتماعية له علاقة بالمعلم. وهذا الأمر سواء كان عن طريق تعليم المعلم أو من خلال قيادته فإنه يعتبر مسألة موجودة في مجتمعات كثيرة.

إن دور وهيئة المعلم في المجتمع، حية دائماً، وهو الذي يمهد الطريق لخير الآخرين وانحرافهم. ويعبر وجود الوجوه العبوسة والمستبدة في المجتمع، أو وجود أفراد متواصفين، عن وجود مربين ومعلمين قاموا بتربية الأفراد بهذا الشكل، وإذا أريد بناء مجتمع سليم والتمتع بحياة تقوم على الفضيلة، فهناك حاجة لوجود معلمين يتمتعون بتلك الخصائص. وما لم يكن المعلم أهلاً لذلك فإنه لا يؤمّل منه بناء الأفراد، وهذا الأمر يصدق أيضاً على مسألة المحافظة على الثورة واستمرارها.

تأثير المعلم في الطفل:

يمثل المعلم وجهاً جديداً للتلاميذ بعد الآباء والأقرباء، وهو الشخص الذي يسلمه الأبوين طفلهما ويحترماه، على أساس ثقتهما به. والطفل لا بد له من طاعة تعليمات المعلم، ثم إن العلاقات الموجودة بينه وبين المعلم، تدفعه إلى التبعية له.

إن الطفل يتأثر بجاذبية المعلم خاصة في الأعوام الدراسية الأولى، فيستفيد من سلوكه ونمط حياته وكيفية تعامله وأسلوبه في الكلام. ويحترم أوامره ونواهيه ويطبع أوامره.

ولو أراد المعلم أن يعمق تأثيره في الطفل، فمن الضروري أن يكون مظهراً للرأفة والمحبة، ويقترب من الطفل عن طريق الدوافع التوجيهية والأسلوب الودي يؤثر في الصبي أكثر من استخدام القوة.

سلطة المعلم:

وفي نفس الوقت لا نريد القول بأن لا تكون للمعلم سلطة على التلميذ. ونحن نرى أن هذا الأمر ضروري في الفترة الدراسية للطفل، فمن اللازم أن يتمتع المعلم بهيبة، كي يستخدمها في الحالات اللازمة لبناء الطفل أو إصلاحه.

إن استعمال الموعظة والنصيحة والخطابة والتعامل الحسن والتشجيع والتقدير، لا تؤثر إيجابياً في الصبي، بشكل دائم، وهناك كثير من الأفراد يستغلون حسن خلق المعلم ويسلكون طريقاً شائكاً.

لهذا من الضروري اتصاف المعلم بقوة وسلطة صحيحة، يستخدمها عند الحاجة، وعليه أن يتجنب الآثار السلبية لاستعمال السلطة، لأن ذلك قد يؤدي إلى حصول مخالفة أخرى.

مسألة الاقتداء بالمعلم:

يعتبر المعلم بطلاً بنظر الطفل ويحظى باحترامه. وعلى هذا فإن جميع أفعاله وأقواله حجة للصبي. ومع ملاحظة قدرة الطفل على التقليد لما يراه ويسمعه، فإن من اللازم رقابة المعلم لسلوكه وكلامه.

والمعلم هو قائد علمي للصبي، ويجب أن يكون أسوة في الأخلاق والنظافة وحسن التعامل والطريقة الإنسانية. وعليه عند إبداء الرأي، وفي حسن اتخاذ الموقف، أن يعمل بالشكل الذي يكون بمثابة درس وبرنامج للطالب، وأن يتميز عمله وبرامجه بالجاذبية، ودفع التلميذ إلى الاحترام وتترتب على هذا الأمر مسؤولية.

وتؤثر أفكار المربي ومعلوماته وعقائده وأمنياته في بناء الإيمان لدى الصبي. ويجب تجنب ما يؤدي إلى العُقد وممارسة الضغط غير المدروس والقيام بالتصرف السلبي الذي يوجد لدى الطفل انحرافاً فكرياً وإن كان على المدى البعيد.

عمل المعلم:

عمل المعلم ووظيفته خطيرة جداً، فعمله هو نقل التراث الثقافي وإحياء الأسس الفطرية والعقائدية وبناء الطفل وتوظيفه.

وللمعلم ولاية أخلاقية على التلميذ، وهي ولاية مقرونة بالشرف والقدسية، ويهتم المعلم بالحيلولة دون خطأ الطفل، في المسير التربوي، وأن لا يميل إلى الشر، ويكون عاملاً بالخير.

وينصب جهده على إعانة الصبي، وتطبيق طبيعته مع القواعد الاجتماعية الصحيحة. ومن وظائف المعلم تعليم التلميذ كيفية التغلب على مصاعب المستقبل. وتعليمه السلوك والأخلاق القيمة وإعداد مستلزمات التعرف على قابليته، وجعله في الطريق والمسير الذي تكون حصيلته الإحياء والإرشاد.

ضرورة احترام المعلم:

تعتبر كثير من الأنظمة التربوية، ومنها النظام التربوي في الإسلام، أن مقام المعلم أعلى حتى من مقام الأب، إذا نُظر إليه من زاوية معينة، وقد فُسّر هذا الأمر بالقول ان مصاحبة الأب لابنه تستهدف الاستئناس والارتياح، أما مصاحبة المعلم للتلميذ فهي تستهدف بنائه وإصلاحه بشكل أفضل. كما أن ارتباط الصبي بوالده يدخل في إطار التمني منه، في حين يدخل ارتباطه بالمعلم في إطار الحصول على الجانب المعنوي.

وفي كتاب منية المريد للشهيد الثاني، استخرج الشهيد الثاني جملة مسائل لها علاقة باحترام التلميذ للمعلم، وذلك من خلال تفسير آيات قرآنية في سورة الكهف، فقد ورد في الآيات ٦٦ ـ ٦٩: **﴿هل اتبعك على أن تعلمني مما علّمت رشدا... ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا﴾**، والمسائل المستفادة هي:

١ ـ بدأت الجملة بأدوات الاستفهام وهذا دليل على استئذان الطالب من المعلم، أي أن التلميذ لا يتبع المعلم من دون استئذان.

٢ ـ تدل كلمة (اتبعك) على منتهى التبعية والتسليم للمعلم من قبل الطالب، كما تشير إلى عدم الاشتراط، والتقييد في هذه التبعية والتسليم.

٣ ـ إن كلمة (ان تعلمني)، هي في الحقيقة اعتراف بمسألتين:

ـ جهله باعتباره تلميذ.

ـ اعتراف بأنه معلم وأستاذ.

٤ ـ نفهم من كلمة (مما علّمت)، أنها تدل على البعض، أي بعض ما تعلمه، وهذا يُعبّر عن منتهى تواضع الطالب للمعلم، كما أنها لم توضح مصدر علم المعلم، والعبارة ذكرت بصورة مجهولة، وهذا يمثل احترام التلميذ للمعلم..

ثم يذكر المرحوم الشهيد الثاني حديثاً للنبيﷺ جاء فيه: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في حجرها، وحتى الحوت في الماء، ليصلّون على معلم الناس.

الفصل الرابع والثلاثون

صفات المعلم وشروطه

تعتبر التربية نوعاً من الفعل والانفعال بين قطبين، هما الطالب والمعلم، فيجب أن تكون أمراً مدروساً قائماً على هدف وطريقة. والكلام الذي ذكرناه في الفصل السابق حول أهمية المعلم ولزوم احترامه لا ينطبق على كل المعلمين، وإنما على المعلمين الذين تتوفر فيهم الخصائص والشروط المطلوبة.

وفي هذا الصدد يجب الإجابة على الأسئلة التالية: ما هي مواصفات المعلم الجيد؟ مسألة نظام إعداد المعلم، مسألة الاستخدام والاستقالة والانتقال، وساعات العمل والبرنامج، وساعات مطالعته ودراسته، وما هي طبيعة نشاطاته الاجتماعية، وما هي صفاته وعاداته وإيمانه ووعيه وعلاقته مع التلميذ، وعيشته وبنائه؟ وغير ذلك.

وما يجدر ذكره هنا، هي مسألة خصائصه وشروطه، حيث لا بد لنا لبيان هذه المسألة من ذكر جميع الصفات الواردة في شأن الإنسان الكامل، وخصائص الإنسان الصالح، وهو أمر صعب جداً وتختلف بصدده المدارس العقائدية. وينبغي الإشارة مُسبقاً إلى أن كثير من العاملين في مجال التعليم بوصفهم معلمين، ليسوا معلمين، وإنما هم عاملون في جهاز التربية والتعليم من أجل المعيشة، كما أن القيام بعدة تنبيهات ووصايا لا يحل المشكلة، بل يجب البحث عن الصفات والشروط التي يحتاجها الأفراد للتربية، ومن الأفضل أن تتوفر فيهم تلك الصفات.

صفات وشروط المعلم:

لا يمكننا إحصاء هذه الصفات والشروط التي تطرحها مختلف

المدارس العقائدية، إلا أن بالإمكان طرح ما تؤيده أكثر العقائد والأديان، وخاصة الإسلام، وذلك ضمن النقاط التالية:

١ ـ **على صعيد الوراثة**: نظراً لأن عمل المعلم هو عمل قيادي ورسالي، فمن الضروري أن يكون المعلم فرداً نقي النسب وممتازاً، ومن أسرة طاهرة وتقية، ولديه صفات وخصائص كريمة، فصفات وخصائص الأبوين تنتقل إلى الأبناء، وإذا كان الوالدين، لا سمح الله، ملوثين وفاسدين، وكانت بيئة نموه فاسدة، فالأفضل أن لا يمارس ذلك العمل، ولا يتولى أمر إرشاد وبناء جيل المجتمع.

٢ ـ **على الصعيد البدني**: من الضروري أن يكون المعلم سليم البدن خاصة من الأمراض السارية، كي لا يصاب الأطفال بتلك الأمراض. ومع أن وجود النقص البدني لا يمنع من القيام بالتعليم، ولكن الشخص الذي يكون وضعه مشابهاً له وأكثر سلامة من الناحية البدنية، فإنه أكثر نجاحاً في العمل، كما أن وجود نقص بدني قد يسبب عدم سيطرته على الصف والتلاميذ، وقد يحصل استهزاء واستغلال للظروف.

٣ ـ **في المجال النفسي**: ينبغي أن يتمتع المعلم بسلامة نفسية، وأن يكون صاحب روح سليمة وقوية ودقيقاً وبإمكانه البحث، وذكياً وقاطعاً ولديه سعة صدر وتوازن نفسي، ومسيطراً أو مديراً لنفسه ويتمتع بقابلية وإدراك مقبول، ولديه استطاعة على الاستقلال، وإفهام المسائل، وليس من اللازم أن يكون نابغاً، ولكن من الضروري أن يكون أعلى من الحد المتوسط.

٤ ـ **على صعيد الإدارة**: ينبغي أن يكون المعلم مديراً، وبإمكانه إدارة الصف والطلاب، ويفهم فنون إدارة الصف، ويتمتع بلحن وصوت جذاب، ويستخدم أسلوب الأمر عند اللزوم، ويتمكن من الجذب والانجذاب، وطرد وترك الحالات غير المرغوبة، والسيطرة على التلاميذ الطغاة والعصاة، من دون الحاجة إلى استعمال أسلوب الصياح والغضب.

٥ ـ **على صعيد الوعي**: يجب توفر حالة الإحاطة بموضوع الدرس لدى المعلم، وأن تكون معلوماته العامة واسعة، وأن يحمل في يده مصباحاً

مضيئاً من العلم والبصيرة كي يستطيع إرشاد الغير. كما أن عليه أن يفهم العلوم التي تشكل قواعد علم التربية، والقواعد والقوانين اللازمة. وأن يعرف بوجهات نظر المربين الكبار وتعاليم الرسالة المقبولة، ومطلعاً على الأفكار والعقائد المختلفة من خلال مطالعة العقائد تلك.

٦ ـ **في مجال الدراسة والتحقيق**: من الضروري أن يعمل المعلم دائماً على توسيع دائرة معلوماته وتجربة أفكاره، وأن يكون باستمرار في حالة تفحص وتحقيق وسعي لاكتساب التجارب. وأن يخصص بعض أوقاته لمطالعة الكتب والمطبوعات، لأن ذلك ضروري لتحسين عمله.

٧ ـ **على صعيد الأساليب والفنون**: ينبغي أن يكون المعلم عارفاً بطرق التعليم وأساليب التربية والبناء، ولديه الاستطاعة على حل المشاكل الأخلاقية، وأن يعرف فن تدريس الأطفال وتربيتهم، ويفهم الموقف الذي يجب عليه اتخاذه تجاه الطلاب، ورد الفعل الذي يجب أن يصدر عنه في قبال التصرفات غير الصائبة.

٨ ـ **في مجال الرؤية**: من الضروري أن توفر رؤية اجتماعية لدى المعلم، ومعرفة بالمسائل الثقافية والوطنية والدولية، وأن يكون لديه موقف صحيح في السياسة والاقتصاد والعلم والفن والأدب والنظام والتربية الاجتماعية.

٩ ـ **على صعيد الإيمان**: يجب أن يتصف المعلم بالالتزام الديني، وأن يكون مؤمناً إيماناً صافياً من كل أنواع الشك والوسواس، مؤمناً بالحق، ومن المجاهدين في طريق الحق، مؤمناً بالعدالة وملتزماً بها ويرغب في تطبيقها في المجتمع، مؤمناً بالله، والمعاد، والحساب والجزاء وأن يقترن عمله بنية إلهية.

١٠ ـ **على الصعيد الأخلاقي**: ينبغي أن يكون المعلم، من الناحية الأخلاقية حراً، نجيباً، طاهر القلب، صادقاً وعزيز النفس، ويتصف بالعفو التضحية والحلم والتحمل والحياد والإنصاف، ويتجنب مسألة تلوّن المزاج والحسد والبغض والبخل والكسل واللاابالية. كما أن من الضروري أن يكون عارفاً بوظيفته وهادئاً وشجاعاً وغير متملق وغير ثرثار ولا حاد

الخُلق، رصيناً، مستقيماً، مؤدباً، شريفاً، متوازناً، بعيد النظر، مرن السلوك.

١١ ـ على صعيد التلاميذ: يجب أن يعرف المعلم، تلاميذه وأوضاعهم العائلية وأنماط تفكيرهم، وسلوكهم وقابلياتهم، ومن الضروري كذلك أن يطلع في الحدود الممكنة على مواقف الطلاب وعلاقاتهم مع الآخرين ونواياهم والعُقَد التي لديهم، وأفعالهم الخاطئة، إذ أن هذا الأمر يؤثر في بناء الطفل.

١٢ ـ في المجال العاطفي: ينبغي للمعلم أن يحب تلاميذه، ويعاملهم بوجه محب وأن يتوفر لديه توازن عاطفي واستطاعة على السيطرة على النفس، وأن يتصف بالصميمية والإخلاص، ويكون صديقاً وزميلاً للطلاب، وبإمكانه إدراكهم، وعدم تجاهل حقوقهم في حالات الغضب، وأن يعمل من أجل جبران ضعف التلميذ.

١٣ ـ على صعيد العمل: يجب أن يكون المعلم، عاملاً بعلمه، وأن لا يتباين كلامه وفعله وأفكاره ولا يكذب عمله قوله، ولا ينسى التقوى في العمل، وأن يقلل من الكلام وينشغل بالعمل، ويطبق مقرارت وأحكام دينية.

١٤ ـ صفات أخرى: من الصفات والشروط الأخرى، هي الانشراح الروحي، المنطقية والاستدلال، حب العمل، طلب الطاعة المنطقية من الطلاب، وليست الطاعة العمياء، تعزيز العلاقة مع التلاميذ، القدرة على بيان وجهة النظر، الاستطاعة على إقرار العدالة في المدرسة والصف، سلامة النفس، النصيحة، حب الاستقلال، البحث، إمكانية التحكم والسيطرة لحل مشاكل التلاميذ، التبعية للمقرارات، واللياقة بشكل عام. وعلى حد قول الشهيد الثاني في كتاب منية المريد: «لا ينتسب للتدريس حتى تكمل أهليته ويظهر استحقاقه لذلك على وجهه ونفحات لسانه ويشهد به صلحاء ومشايخ».

المعلم والحياة:

إن المعلم هو إنسان مثل سائر الناس، ومن الأفضل أن يتزوج في

بداية العمل لينجب ذرية حتى يفهم مشاكل الأطفال، فيكون أمره ونهيه مدروساً ووفق معيار.

كما أن من الضروري أن تكون معيشته متوازنة وأن يكون راضياً عنها. ومن الضروري القول بأن على المعلم أن يفخر بعمله وأن يؤديه بنية القربى، وشغل المعلم مثل شغل الأنبياء، ومن أجل ذلك لا يمكنه طلب الأجور والترفيع، وبيت المال طريق لمواصلة الحياة، وعلى أولياء الأطفال تأمين معيشته بشكل يحفظ اعتباره.

وما يطرح في مسألة معيشة المعلم، هو أن يعيش في وضع بعيد عن الزخارف والعوامل التي تثقل وزن العيش. والمعلم يجب أن يكون اسوة للآخرين ويتعلم الآخرون من طريقته في العيش، درس الاعتدال وعدم الإسراف.

بناء نفسه: من أولى الوظائف التي يجب أن يلتزم بها المربي هي مسألة معرفة الذات، لأنها مقدمة لبناء الذات، وبناء الذات هي وظيفة المعلم، فعليه أن يتجه إلى نفسه ويزيل نقاط ضعفه قبل بنائه وإصلاحه لغيره.

إن على المعلم أن يعرف أحاسيسه الخاصة وميوله الباطنية حتى يتمكن من السيطرة عليها في الحالات الضرورية. وضروري له أن يعمل دائماً لإصلاح وجبران الفشل الذي قد يحصل في العمل التربوي. ويسعى لبناء وحدة في الفكر والتصميم والكلام والعمل والاعتماد على النفس، ويعمل على حل التناقضات النفسية ويسيطر على نفسه وحياته.

وأخيراً يجب أن يبلغ المعلم في بنائه لنفسه درجة بحيث يكون صاحب رأي ونية في كل عمل وخطة ويكون مديراً لائقاً لنفسه وإنساناً هادفاً ونشطاً في السير نحو الهدف ومتحمساً.

أداء الوظيفة: المعلم الناضج والحكيم يهتم بالمحافظة على المصالح الحقيقية للتلميذ، وتأمينها. ويجد في حل المسائل والمشاكل، ويحمل روحية تلتذ بالخدمة. ويفرح عند بناء الطفل وإعداده وجعله في المسير المطلوب. والمعلم الجيد يحمل روح العفو والإيثار والملاحظة، ودائرة

انتظاره من الطلاب محدودة، ويستفيد من كل فرصة لتوجيه التلميذ واكتشافه وإرشاده ويعتبر توجيهه وتشجيعه وتأييده بمثابة تهيئة الأسباب المعنوية لتعليم الطالب.

والمعلم الملتزم يعمل في طريق تأمين لياقة الطالب ورفع خبرته، ويصب كثيراً من مساعيه لتحقيق هذه المسائل والأمور، وهو كصياد يترصد دائماً صيد الحقائق وأدوات وفنون التربية، ويقلقه سماع معلومات بعض الأطفال ورؤية إهمالهم، لأنه يعلم أن التلميذ ليس كقطعة منحوتة يمكن بسهولة تغييرها. إنه يفكر بتربية الطفل ويهمه مستقبله.

الفصل الخامس والثلاثون

إعداد المعلم

التعليم مسألة مهمة وصعبة ولا يمكن النجاح فيها إلا بتوفر بعض الشروط، ولا يليق للتعليم أي إنسان، وإنما هناك شرط الخبرة ومعرفة الفنون.

ومن وجهة نظرنا، إن ممارسة التعليم تتطلب جرأة وجسارة، باعتبار أن الإنسان يتولى من حيث لا يشعر حق تربية الصبي ويتحمل وظائفه نيابة عن أبويه، وبديهي أن عليه الاستعداد للمحاسبة، إن قصّر في هذا الدَّين. كما أن الدخول في العمل التعليمي، هو في الحقيقة دخول في مجال عمل وشغل الأنبياء.

ومن الواضح أن الزعم بالتساوي والزمالة للأنبياء هو أمر صعب نسبياً ويتطلب لياقة ووعياً وإيماناً وعملاً بنفس مستوى الزميل، وذلك أمر لا يمكن أي شخص، الوصول إليه.

ضرورة إعداد المعلم:

وعلى هذا الأساس فإن إعداد الأفراد لنيل شغل التعليم، هي مسألة قطعية وضرورية، كي يحصل على الصلاحيات المطلوبة، بالقدر المستطاع، ويتهيأ لأداء الوظيفة في هذا المجال.

والإعداد هذا، ضروري، من جهات مختلفة:

- من ناحية الفرد نفسه لأن الناس لا ينجحون في العمل، إذا لم يتعرفوا على فنون وأسرار الدخول إليه.

ـ من ناحية التلاميذ، باعتبار أن المعلم يمارس عملية بناءهم، فإذا لم يكن واعياً بالأمر، أدى إلى إتلاف حياتهم.

ـ من ناحية المجتمع وأبناء البلد، حيث أن صلاح وسوء المعلمين يؤثر في صلاح وسوء الأمور وفي القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للمجتمع.

وإذا كان من الواجب أن يتوفر لدى الشخص معرفة، حين القيام بعمل بسيط، كتربية الدواجن والطيور والمحاسبة وغيرها، فكيف الحال في بناء الحياة الاجتماعية وتنظيم الإنسان الذي يحرك عجلة الحياة الاجتماعية.

بداية التربية:

إننا نظن أن من الضروري للأفراد الراغبين في العمل كمعلمين ويريدون النشاط في ذلك المجال، أن يتهيأوا لهذا الأمر من مرحلة الدراسة الثانوية وانتهاء مرحلة التعليمات الأساسية وأن يشرعوا بكسب المعارف والفنون. ويعتبر الوقت متأخراً إذا دخل الإنسان هذا العمل بعد مرحلة الإعدادية. لأنه في الوقت الذي يحصل على معلومات أكثر، فإنه يتعرف أكثر على أمور الحياة وينضج أكثر ويتبلور شكله وهيأته، وتقل إمكانية تغييره، أما لو تعرّف على هذا الأمر في بداية مراحل الدراسة الثانوية ودخل في العمل والبرنامج هذا، فإن نجاحه يكون أكثر وتقبّله أكثر.

والغرض، هو أن يدخل هذا المجال مبكراً وتتوفر له فترة أطول للمكث والإعداد التربوي في هذا الأمر. ولو حصلت له حالة عدم رغبة في العمل التعليمي خلال فترة دراسته في دار المعلمين فمع ذلك لا يتضرر جهاز التربية والتعليم في مسألة تحمل مصاريفه.

مواد البرنامج:

وأما ما يجب أن يتعلمه طالب المدرسة أو الطالب الجامعي في كلية التربية، فيجب القول انه يضم كل ما يحتاجه للقيام بوظيفة التعليم. ويتم التركيز على تعليمه المسائل بشكل مضغوط وحتى بصورة فهرست. لأن إمكانية تعليم المسائل تتوفر بشكل أوسع، من ناحية، كما أن الأرضية للدراسات اللاحقة تتهيأ له، من جهة أخرى.

وفي ما يلي كليات المواد التي يجب أن يتضمنها برنامج العمل (لمعلمي التعليمات الأساسية):

ـ كليات لدروس المرحلة الثانوية، بالشكل الذي تتوفر لدى الطالب معلومات ولو إجمالية عن المسائل والمباحث الرئيسية لجميع الفروع الدراسية.

ـ كليات لأسس علم التربية وتضم علم الاحياء، علم النفس، الفلسفة، التاريخ، الاجتماع و. . .

ـ كليات لفنون وأساليب التربية والتعليم للنجاح في أعماله التربوية والتعليمية.

ـ كليات حول أساليب وفنون الإدارة مما لها علاقة بإدارة الصف والتلاميذ.

ـ كليات في مجال الحقائق الاجتماعية لاتخاذ الموقف الصحيح تجاه الأمور والقضايا.

ـ كليات في مجال أصول وفروع الدين ومعرفة بالتفاصيل اللازم استعمالها بما يتناسب والوظيفة.

وهناك مسائل ومباحث واسعة في موضوع إعداد المعلم للتدريس في الثانوية والجامعة، وهي بشكل عام تتضمن القضايا التي نحتاجها في هذه المراحل، فمثلاً هناك حاجة للاطلاع على مسائل الفتيان والشباب، عند دراسة علم النفس التربوي.

المتعلمون:

وثمة نكتة أخرى في هذا الصدد وهي اختيار المعلمين والمربين الذين عليهم القيام بالوظيفة في هذا العمل. ولمعرفة أهمية القضية، نلتفت إلى هذه المسألة من منظار الأديان فقط، فالأنبياء ليسوا مربين ومعلمين للبشر، والله هو الذي تولى أمر إعدادهم. فهم متربون في المدرسة الإلهية لذلك تمكنوا من تولي أمر تربية خلق الله.

إن الحد الأدنى للمسألة، هو أن المتخلقين بأخلاق الله يستطيعون القيام بإعداد المعلمين، إذ أننا عندما طرحنا في الفصل السابق، تلك المسائل الكثيرة بشأن شروط وخصائص المعلم، أصبح واضحاً أي الأفراد يجب أن يلتزموا ويتعهدوا بإعداد المعلمين.

ومن الأخطار الكبيرة تسليم أمر إعداد المعلمين بيد أشخاص لا نطمئن بصلاحيتهم، لأن فسادهم يؤدي إلى فساد معلمي المستقبل وفساد الجيل، بالنتيجة، لذا يجب أن يتولى أمر إعداد المعلمين أفراد صالحين ولهم منزلة كبيرة، لا الأفراد الأذلاء الذين يتلاعبون بمصير حياة المجتمع. ومن وجهة نظرنا أن من الضروري أن يقوم أفضل المعلمين وأوعاهم وأكثرهم إيماناً وثورية وأصلحهم بمسألة إعداد المعلمين.

طريقة العمل:

إن طريقة عمل المعلمين في فترة الدراسة يجب أن تكون اسوة ونموذجاً للطريقة التي يجب أن تحصل في المجتمع المطلوب في المستقبل. والاهتمام بالظرف الراهن في نفس الوقت. وحياة الطلبة إذا كانت في وسط يتعايشون فيه ليلاً ونهاراً، فينبغي أن تكون تلك البيئة انعكاساً للبيئة المراد الوصول إليها، وإذا كانت المسألة هي مسألة التطبيق العملي للمعلمين، فإنه يجب أن يكون بالشكل الذي يمكن تعليمه وتطبيقه في المجتمع. إن على المعلم أن يتعلم نمط الحياة، والمطالعة والتحقيق والعمل، كي يستطيع تطبيق ذلك في المجتمع الذي يطمح إليه.

ويتم التركيز في التعليم على العمل واستخدام المعلم لحواسه وأعضاء بدنه وتعرّفه على أدوات ووسائل التعليم، وينبغي إعداد حواسه التي تمثل نوافذ معرفة بالعالم الخارجي.

ويجب أن يُدرّس المعلم في حضور أفراد واعين ومن أهل الرأي. فيطبق على الآخرين ما تعلمه، وينتقد عمله وبرنامجه ويعمل على إصلاح عمله. ثم إن عليه أن يستفيد من تجارب الغير ومن جميع الفنون التي نالها الأفراد الناجحون في العمل التربوي، ويمهد الطريق لتربية الجيل القادم.

بناء أخلاق المعلم:

من المسائل المهمة والأساسية في تربية المعلم، هي بناء أخلاق معلمي المستقبل. فمعلم المستقبل يمارس عمله مع الأطفال والأحداث والشباب، وينبغي أن تكون علاقته معهم، علاقة إنسانية ووفق ضوابط الدين. ولا شك أن لكل دين أخلاق وضوابط يلتزم بها أتباعه.

كما أن من الضروري أن تكون لدى طلاب المدارس والطلبة الجامعيين رغبة في العمل هذا، وأن يخصصوا بعض أوقاتهم لبناء وإصلاح أنفسهم، وهو أمر يجب تكراره دائماً. فيجب أن يتفرغوا ساعات في أيام أعمارهم لتقييم ونقد أنفسهم، فيحددون النقطة التي هم فيها الآن، النقطة التي يعتزمون الوصول إليها، حتى تتوفر لديهم إمكانية اتخاذ القرارات والبناء والإصلاح.

وقد أشار المرحوم الشهيد الثاني في منية المريد إلى أنه يجب على المعلم تحسين خُلقه كي يتمكن من الدخول إلى التلاميذ من باب اللطف والبشاشة والتعامل الحسن والمحبة والرأفة والإحسان.

فترة ومرحلة التربية:

ذكرنا أن فترة ومرحلة التربية طويلة، فيستطيع الطلبة كسب معلومات أكثر، والتطبع على خُلق وصفات التعليم. لهذا نقترح أن تكون هذه الفترة أربع سنوات من المرحلة الثانوية، وهذا الأمر ضروري لمعلمي الابتدائية، وهذه الأعوام الأربعة تشمل عامين بعد إكمال الدراسة الإعدادية، بالنسبة للذين يريدون التدريس في المرحلة المتوسطة، أما بالنسبة للذين يرغبون في التدريس في الإعدادية فهي تمتد إلى نهاية مرحلة البكالوريوس.

ويجدر القول ان من المصحلة تهيئة الأرضية لرشد المعلم بهذا الشكل وهو أن يدرّس فترة خمس سنوات في المرحلة الابتدائية، بعد إكماله لفترة الدراسة في دار المعلمين، كي يكون بإمكانه إنهاء مرحلة أعلى والدخول في مرحلة أرقى. ثم بعد خمس أعوام من التدريس أيضاً في الدراسة المتوسطة مثلاً، تتهيأ له إمكانية الدخول في مرحلة الدراسة الإعدادية، بعد إكماله لدورة أخرى.

ومع أن هذا الأمر غير إلزامي، إلا أنه يمهد الطريق لنمو عمل المعلم واعداده ونضجه ورقيّه، وهو مؤثر جداً في المعلم من الناحية النفسية، ولو توفرت هذه الإمكانية فإن من الصلاح أن ينال المعلم درجة أستاذ جامعي بعد إكمال دورات معينة وكسب المعلومات اللازمة.

ضرورة التأهيل:

تقتضي مسألة رفع تجارب المعلم ذات العلاقة بالتربية على المستوى العالمي، والارتقاء بمعارفه وعلومه البشرية، واكتساب فنون وتكتيك جديد في التربية، القيام بحركة جديدة في المعلم، فيُعاد تأهيل المعلم كل خمس سنوات على الأقل، وإذا كان المعلم فرداً ملتزماً وتتوفر فيه تلك الصفات التي ذكرناها في فصول سابقة، فإن ذلك الأمر سيحصل، تلقائياً، باعتبار أنه سيعمل دائماً على الدراسة ورفع مستوى معلوماته.

إن المعلم بحاجة إلى التجربة طيلة عمره، والانتفاع من تجارب غيره، والقيام بممارسات متنوعة وممارسة التحقيق والتأليف، فينفذ اكتشافاته في موضوع التربية ويبحث عن حلول مختلفة.

وتكرار التعليم يمكن أن يتم في أيام العطلة المدرسية فترة ١٥ إلى ٣٠ يوماً من كل سنة، وحتى لو حصل ذلك خلال فترة التدريس، فإنه لصالح المعلم والتلميذ. إننا نريد القول ان قيمة هذا العمل تصل إلى درجة تعطيل المدارس، عدة أيام، في منتصف السنة الدراسية ليتفرغ المعلمون إلى الدراسة. وحصيلة هذا الأمر تسد النقص الناجم عن تعطيل المدارس بضعة أيام.

التزامات تربوية:

لقد أشرنا سابقاً إلى أن التعليم ليس كسائر الوظائف الاجتماعية، فهو أمر إرشاد الناس وبنائهم، وهو مبادرة إلى تنمية ورقي البشر من كل النواحي، وتأمين الشروط اللازمة للحياة الإنسانية. ونسبة المعلم إلى التلميذ هي كنسبة الطبيب إلى المريض والعالم إلى الجاهل والمُغيث بالمُستغيث والمرشد إلى التائه. وعلى حد قوله الإمام علي عليه السلام بأن الله لم يأخذ

عهداً من الجهال في الذهاب إلى طلب العلماء قبل أن يأخذ عهداً من العلماء على بذل علمهم للجهال، لأن العلم سابق للجهل. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله بأن زكاة العلم هي في تعليمه لعباد الله.

إن أداء وظيفة التعليم، والتي هي بناء وتنمية وتكامل الناس من كل النواحي وتربيتهم الصحيحة يتطلب اكتساب المعلومات اللازمة ومعرفة الوسائل والأدوات وحل المسائل والمشاكل، وهذا كله يتطلب القيام بالتخطيط، ومن دون الاهتمام بهذا الجانب، يتوقف البناء وتنفيذ البرامج.

الفصل السادس والثلاثون

دور وعمل المعلم

هناك وجهات نظر كثيرة لدى المدارس التربوية المختلفة حول وظيفة المعلم وعلاقته مع الطالب، لا مجال لعرضها وبيانها بشكل تفصيلي في هذا البحث. إلا أن بالإمكان من جمع تلك الآراء استخراج هذه النتيجة وهي أن عمل المعلم إرشاد وإدارة مجرى نمو الفرد وتوجيهه نحو الهدف المرسوم وتنظيم كيفية قطع الطريق نحو الهدف.

إن اهتمامه بالتلميذ يماثل اهتمام البستاني بفسيلته، حيث يسعى ويراقب نموها حتى تثمر، ويهيىء مستلزمات نموها وكمالها، وهناك بالطبع تباين بين الفسائل الموجودة في بستان واحد لذا يتفاوت مستوى اهتمامه بين هذه وتلك.

دور المعلم في الإرشاد:

تعتبر الأنظمة التربوية الجديدة ان عمل المعلم هو الإرشاد والتوجيه، قبل أن يكون تلقيناً وتعليماً رسمياً، وأن المربي، دليل، وظيفته تنشيط قوى الطفل وأعضائه ومراقبة التغييرات والتحولات والتطورات الحاصلة فيه، وتعتقد تلك الأنظمة أن على المعلم أن يراقب نمو وتوجيه التلميذ ونشاطاته لا أن يتحكم عليه، ويكون بمثابة خادم له وليس آمر وناه.

وتُطرح في الإسلام مسألة الإرشاد والهداية وبيان الحقائق وحتى إتمام الحجة وعلى المربي مراعاة منتهى المجاهدة في تربية الطفل، ولكن من اللازم فرض التربية عليه، من جهة أخرى.

إن المعلم يستهدف تنمية الطفل ويسعى إلى بنائه وتنظيم قواه

وانسجامها وإنضاج وإظهار قابلياته ودفعه إلى فهم المفاهيم الحسنة والسيئة، وفي هذا السياق يجري التأكيد على مسألة الأسلوب المرن، إلا في الحالة التي تكون مسألة التحكم والفرض أمراً ضرورياً.

ويمكن تلخيص وظائف وعمل المربي في قسمين، أحدهما أساسي والآخر ثانوي.

الوظائف الأساسية:

المقصود من الوظائف الأساسية، الوظائف التي لها درجة أولى من حيث الأهمية، والتي تنتظر من المعلم والمربي قبل غيرها، وهي وظائف عديدة، أهمها:

١ ـ **التعليم**: بعض هذه الوظائف تختص بالجانب التعليمي، حيث يجب تعليم الطفل، المسائل التي يحتاجها وفي ما يلي إشارة إلى بعضها:

ـ تعليم الجوانب الأساسية في الحياة مثل القراءة، الكتابة والحساب.

ـ تعليم المسائل الدينية، كتعليم القرآن في المجتمعات الإسلامية.

ـ تعليم الفنون والمهارات اللازمة، كمسألة ركوب الخيل والرماية والسباحة.

ـ تقديم معلومات عن القضايا الموجودة في المجتمعات المختلفة.

ـ تقديم معلومات في مجال معرفة العالم وما فيه من ظواهر.

ـ تعليم نوع المواقف المتخذة ازاء الأمور والحوادث والظواهر.

ـ وأخيراً تعليمه كل ما يحتاج إليه للحياة حالياً وفي المستقبل، وعلى المعلم والمربي أن لا ينزعج من بذل العلم لأهله، وقد ورد في النظام الإسلامي الاقتناع عن بذله لغير من يستحقه. وفي هذا الصدد يقول المرحوم الشهيد الثاني: من منح الجهال علماً أضاعه، ومن منع المستوجبين فقد ظلم. إذ أن علم الجهال لا يضيف لهم إلا الشر والسوء.

٢ ـ **التربية**: إن العمل الآخر للمعلم هو التربية، وهذه التربية يجب أن تشمل ثلاثة أبعاد في الإنسان، على الأقل، البدن، العقل والذهن، القلب والنفس والعاطفة.

- على الصعيد البدني، تطرح مسألة الاهتمام بالنمو البدني وذلك عن طريق دفع الفرد إلى القيام برقابة صحية، وحركة الأعضاء وتنميتها ومهارتها، تفجير وتنمية الطاقات وتنظيمها وبناء انسجام بين قوة الأعضاء وأعمالها وإعادة بناء القوى و. . .

- ويلحظ على صعيد العقل والذهن، تنمية وتربية القوى الذهنية كالفكر، الذاكرة، التخيل، الجانب الاختراعي وغيرها، ويجري التأكيد من خلال التعليم، على تزويد الذهن بصورة عن المسائل وتنمية ذلك، والحيلولة دون الانحرافات والعناء الذهني.

- وفي مجال القلب والعاطفة والنفس، يكون الغرض بناء الطفل بالشكل الذي يصبح عضواً كاملاً في مجتمع، ويتقدم في طريق النمو والبناء والتحول الإيجابي، ويتعرف على السلوك الاجتماعي وضوابطه، ويتعلم الأدب والشرف وحسن العلاقات ويكون تقياً وحسن السمعة، ولا يقوم بأي عمل من دون دراسة وحساب، وهذا الأمر يجب أن يطرح عن طريق الممارسات وبناء العادات الصحيحة وتقديم نماذج قيمة.

٣ - **بناء روح فعالة**: وأخيراً من وظيفة المعلم إحياء روح الحركة والنشاط البنّاء في التلميذ، ويهيء الأرضية للحركة الفكرية والبحث والنقد وتقصي وكسب المعلومات، والرؤية الواقعية والهدفية.

وكثيرة هي الطاقات الموجودة في الإنسان والتي لم تكتشف بعد، وكثير من الطاقات الموجودة في الأفراد ولكنها غير منظمة ومنسجمة وقد تعرضت إلى الانقسام والتشتت في مجال الاستهلاك ولم تُعرض كما ينبغي.

إن عمل المعلم في المدرسة والصف، وسلوك الأبوين في المنزل وخارجه، وتصرفات جميع المربين الاجتماعيين وجميع الناس يجب أن يكون بالصورة التي يشعر التلميذ أنه بحاجة إلى تلك الأعمال والسلوك، فيسعى ويحاول تعلم تلك العادات والتقاليد والعمل بها، ولا شك أن تلقين المربي وتنبيهاته وتحذيراته وإنذاراته وتشجيعه واستحسانه، تؤثر في هذا الأمر.

الوظائف الثانوية:

والمقصود الوظائف التي تقع في الدرجة الثانية من بعض النواحي، أو أنها بنظر بعض المعلمين والمربين تأتي بالدرجة الثانية، وهذه بعض المسائل التي يمكننا ذكرها في هذا الصدد:

- الاستفادة من أوقات الفراغ للأمور التي يحتاجها الطفل في الوقت الحاضر وفي المستقبل.

- تربية وموازنه غرائز الأطفال.

- اكتشاف ومعرفة القابليات والأرضية الخفية على الآخرين من أجل تنميتها وإنضاجها.

- معرفة الحالات وأنماط التفكير من أجل اتخاذ الموقف الصحيح تجاهها.

- المبادرة إلى التربية مع مراعاة الحاجات البدنية والروحية وقابلياته الفطرية.

- توفير الفرصة للطالب والطفل ليسأل عن الشيء الذي لا يعلمه ويعمل به ويعتني به.

- إرشاده من أجل حل مشاكل ومعضلات الحياة، خاصة في ما يلتفت إليه ذهن الطفل.

- إشباع غريزة البحث لدى الطفل خاصة في الأمور التي توجد لديه صلاحية معرفتها.

- قيادة فكره بالشكل الذي يتمكن من اتخاذ الموقف الصحيح في القضايا والحوادث.

- إصلاح نقاط ضعفه، خاصة تلك التي تعتبر ضعفاً في ما يتعلق بالحياة الاجتماعية.

- بناء أفكار سامية من التضحية والإيثار والعفو والتحمل في طريق هدف قيم في الحياة.

وللنجاح في هذه الأمور، يجب على المعلم والمربي بناء وتربية نفسه، وأن يكون مجرباً وحر التفكير ويتمتع بالرأفة على الأطفال وأن يسيطر على نفسه أمام ما يتعرض له من طعن وانتقاد من قبل الطلاب، ويكون موقفه أمام الأفراد بالشكل الذي يشعر الضعيف بالارتياح منه، ولا يعتبر القوي نفسه في مأمن من محاسبته.

المحبة والجذب:

من المسائل المهمة في التربية والتي يمكن طرحها بشأن المعلم، هي أن على المعلم أن يعمل بالشكل الذي يستقطب التلاميذ، ويعتبرون أنفسهم ملزمون قلباً وروحاً على طاعته، أو يشعرون أن من صالحهم طاعته.

وللوصول إلى هذا الهدف، من الضروري أن يلحظ المعلم الأساليب التالية:

- يُفهم الطفل عملياً أنه يريد السعادة له، وأنه يستهدف في قراراته، إسعاده.
- إبراز الرأفة والمحبة للتلاميذ بالصورة التي يتحسسونها ويلمسونها.
- السعي للتعرف على حالات التلميذ وروحياته لاتخاذ القرار بشأنه.
- الثقة المقرونة بالمحبة من أجل استقطاب التلاميذ.
- القيام بالوظيفة تجاه الطالب بالشكل الذي لا يثير الخوف والرعب فيه.
- ربط الدرس والتعليمات بحاجات التلاميذ لإثارة رغبتهم.
- المساهمة في نشاطاتهم والتواجد في المجالات التي يرغبون فيها.

التعامل مع الطلاب:

تقوم العلاقة بين التلميذ والمعلم على أساس السيطرة من جهة، وعلى أساس الرأفة والنصيحة من جهة أخرى، ومن دون ملاحظة هذه المسائل لا يمكن إدارة الصف، وهذا الأمر لا يعني سكوت المعلم عن الخطأ الذي يصدر عن الطالب ويتخذ ازاءه كل الأمور موقفاً غير صحيح.

وضروري أن يكون عمله وكلامه وموقفه أمام التلاميذ، سنداً. بحيث يرتكز عليها ويجعلها قدوة لسلوكه، ويثير فيه الرغبة في العمل والبرنامج، وهذا يتم من خلال ثلاثة طرق:

١ ـ معرفة رغبة الطفل في مختلف الأمور.

٢ ـ توجيه رغبته إلى المجال الذي يريده.

٣ ـ الصفة الجاذبية الأولى المقصودة في الطفل، والتذكير بها يجعل الطفل منجذباً إلى المعلم.

وتؤثر في هذا الأمر، رغبة المعلم بالدرس والبرنامج، واتصافه بالنظم والانضباط في الأمور، ومراعاة الوحدة مع وجود التنويع والمزج بين القديم والجديد بالشكل الذي يفهمه الطفل ولا يحمل إبهاماً وإيمان المربي بعمله وصفائه وخلوصه والاهتمام بحسن معاشرتهم وتجنب الكلام السيء وغير اللائق والاعتناء بالطفل ورغباته وكلامه والإشادة بلياقته ومهارته ونجاحه.

الوصول إلى نفس التلميذ:

إن الطالب عضو صغير في مجتمع اليوم، لكنه فرد صاحب قرار في مجتمع الغد. وعلى المعلم أن يأخذ بيده ويهيئه للدخول إلى المجتمع. ولكن ينبغي الالتفات إلى نكتة ذكرها أحد المربين (Maillot) وهي أن كثيراً من الأطفال نمسك بأيديهم، ولكنهم ليسوا في متناول أيدينا من الناحية الروحية وهذا الأمر ناجم عن أن المعلم لم يعامل التلميذ كصديق، ولم يكن موضع أسراره ولم تكن له علاقة مباشرة معه. وهو بعيد عن المساهمة في المشاريع والنشاطات ولا يعطي للتلاميذ في الصف مجالاً لإبداء آرائهم، ولا يتجرؤون على طرح وجهات نظرهم في الأمور.

ومن المؤسف أن تكون علاقة التلميذ والمعلم قائمة على إخفاء الأمور الخاصة والتظاهر بالأمور التي يحبها المعلم، والخوف منه والهرب منه وعدم الاعتناء به في الباطن وعدم القبول بتوجيهاته في هذا الصدد، قلبياً، ويتميز الصف في مثل هذه الحالات بعد إحساس التلاميذ بالمسؤولية فيما يتعلق بالسيطرة على أنفسهم، وينتظرون الفُرص التي يخطىء فيها المعلم أو يسكت لاستغلالها والتمرد عليه بشكل من الأشكال.

إن المعلم الجيد هو الذي يتولى القيادة الفكرية للتلميذ، ويشعر بمحبته ويعتقد بإصلاحه وبنائه ويعلم أن الطفل مهما كان ضعيف القابلية، ومهما ارتكب من عصيان وأعمال شرورة، يظل مع ذلك محبوباً لدى أبويه، وإذا وجد الطالب مصاباً بحالة مرضية، فإنه يعتبر نفسه مكلفاً بإصلاحه وبنائه، فيسعى إلى الدخول في حياته والتعرف على أسراره، من أجل البناء والإصلاح، وليس التشهير.

تصرف المعلم مع الوالدين:

مهما كان المعلم واعياً وقوياً، فإنه لا يتمكن من تربية التلميذ من جميع النواحي والعمل على بنائه، من دون مساعدة الوالدين له. وإذا تضامنت يدين وساعدين قويّين، يستطيع الطفل الدخول في وادي الحياة والسير فيها، وتلك اليدين هما، يد العائلة وساعدها ويد المعلم والمدرسة وساعدهما، إذ من المحتمل أن تتعرض المدرسة أو الأسرة إلى الخطأ في التربية، وفي هذا الحال تكون وظيفة الطرف الآخر إرشاده وهدايته وإصلاحه. ومن الضروري وجود ارتباط بين المدرسة والمعلم مع أبوي الطفل، وذلك لمعرفة الطفل، وهدايته وإصلاحه، وكل منهما بإمكانه القيام بإكمال ومواصلة وأحياناً إصلاح ما أُنجز بشكل ناقص.

وحين يخطىء الوالدين في أمر التربية، لا يحق للمعلم أبداً انتقادهما والطفل حاضر، أو التشكيك بوضعهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، بل عليه تعريفهما بخطئهما في الخفاء، والسكوت عن المسائل التي يتحسسان منها، وفي مثل هذه الحالة، نستعين بأفراد لديهم الاستطاعة على هداية وإرشاد الأبوين في هذا الصدد.

على صعيد أداء الوظيفة:

نذكّر في مسألة أداء الوظيفة، بأن المعلم لا يمكنه اعتبار عقائده ومعلوماته هي المعيار فقط، وإنما عليه الاستفادة من آراء ومعلومات غيره. هذا أولاً، وثانياً، ان العمل التربوي لا يمكن من دون أخذ طبيعة وفطرة الأطفال وأذواقهم وحاجاتهم، بنظر الاعتبار، كما أنه من غير الممكن التقدم في محيط خامد وحيادي، بل يجب الدخول عملياً في قضية من القضايا

واتخاذ موقف خاص. وثالثاً، علينا أن نعلم أن الحِدة والاكفهرار وتوتير المناخ، وإن كانت مؤثرة في بعض الأحيان، إلا أنه لا يمكن الاستمرار عليها دائماً، فهناك كثير من المعلمين قد استهانوا بحرية التلاميذ من أجل ممارسة السلطة والتظاهر بها، وحكموا بالجور، ولكن صعوبة هذا الأمر تتمثل في أن الطالب لا يصغي دائماً لأوامر ونواهي المعلم، ومن الخطأ أن يحاول المعلم جعل نفسه محبوباً وأهلاً للاحترام من خلال استخدام الإجبار والخوف، فيعمل على إخفاء نقاط ضعفه، وأحياناً عدم كفاءته. وهذا الأمر يجب ملاحظته أكثر حين التعامل مع الكبار في السن، لأن عقولهم أنضج من عقول الصغار، وهم يدرسون رغبة منهم وشوقاً إلى ذلك، ولديهم أشغال وأعمال، وتهمهم مكانتهم، ويشعرون أكثر بأثر الانكسار والضربة الشخصية. وفي نفس الوقت من الضروري أن يكون المعلم محكماً في عمله، ويكون تفكيره راسخاً، وكلامه سنداً وأمره نافذاً ويتمتع بطبع وفكر حر ورأي دقيق، وان يكون مقيداً وحساساً ولائقاً للتدريس وإدارة الصف، وقد أثبتت الدراسات، أن عدم الاعتناء بهذه الأمور يسبب هبوط وركود عمل المعلم.

أنواع المعلمين:

وفي الختام، من المناسب أن نشير إلى أنواع المعلمين على الأساس الذي طرحه بعض المربين وأهل الرأي، وهو أمر قابل للاستفادة لتقييم عمل المعلمين أيضاً:

١ ـ **المعلمون الذين لا دور لهم**: وهم المتهاونون بالعمل التربوي، والذين يتركون الأطفال وشأنهم فينشغلون في الصف بمطالعة الجرائد، أو الحياكة، ويسمحون للتلاميذ، فعل كل ما يرغبون.

٢ ـ **المعلمون المرشدون والموجهون**: وهؤلاء يعملون على هداية الطفل بالإرشاد، ويسعون إلى حل مشاكل التلاميذ وتعليمهم وتربيتهم، ويعاملونهم بمثابة آباء وأمهات عطوفين، ويستخدمون أسلوب الاستحسان والتشجيع، ويتقبلون النقد، ويعملون على إصلاح وإكمال طريقهم في العمل. ونجاح مثل هؤلاء الأفراد، أمر مؤكد.

الفصل السابع والثلاثون

العمل التعليـمي

هل التعليـم هو شغل وحرفة أم لا؟. هناك وجهات نظر مختلفة ومتنوعة في هذا الصدد، فهناك من يعتبره مثيلاً لشغل الأنبياء، ولا يعتقدون أنه وسيلة للعيش، فهو أمر إلهي، وعلى الصالحين سلوك هذا الطريق، ولتأمين معيشتهم، يتولى الناس أي أولياء الأطفال مسؤولية إدارة عيشهم وتأمين نفقاتهم، كما أن الحكومة مكلفة في هذا الأمر وإن عليها تأمين معيشتهم.

وثمة جماعة أخرى ترى أن التعليم عمل مثل سائر الأعمال، وهو بمثابة حرفة في الحياة، يمارس فيها الإنسان العمل عدة ساعات ويكتسب أجراً مادياً، وهذه الرواية يطرحها الذين يفكرون بالجانب المادي للقضية، ولا يعتقدون بوجود أجر معنوي لها إلا في حدود اختيار العمل الجيد.

ولكن أي من الرأيين المذكورين، صائب؟ إن الرؤية الإسلامية قد تؤيد الرأي الأول، خاصة أننا نواجه طيلة تاريخ الحياة الإسلامية هذه الطريقة في العمل وهذا الموقف، ونرى عملياً أن دراسة وتدريس علماء الإسلام، كان على هذا المنوال، ولا شك أن المدارس المادية وغير الإلهية، وحتى بعض المدارس الإلهية في الظاهر، لها رأي مخالف لذلك.

صعوبة عمل المعلم:

وعلى أي حال، فإن العمل التعليمي صعب نسبياً، إذا أريد أن يؤدى بشكل حسن وتُراعى فيه الظروف والأحوال، وهذه الصعوبة ناجمة عن أسباب عديدة، منها:

أولاً: ان المعلم يتعامل مع أعقد الأشياء والكائنات في عالم الخلق، وهو الإنسان، ونحن نعلم أن لكل إنسان قابليات متنوعة، ومن الصعب معرفتها واستعمالها، خاصة حين نريد لحاظ الخصائص البدنية والعقلانية والعاطفية والاجتماعية لهم.

ثانياً: إن الأطفال الذين يدرّسهم المعلم، قد تم بناؤهم مسبقاً، فهم قد حصلوا على نوع من التربية في البيت، وإعادة بنائهم، مسألة صعبة نسبياً، إذا أُخذت الظروف والإمكانات بنظر الاعتبار. فالصبيان قد اكتسبوا في البيت طباعاً وعادات معينة، يصعب إصلاحها.

ثالثاً: تختلف مستويات الأطفال من حيث المعلومات، وعند الدخول إلى المدرسة، يواجهون عالماً من الإبهام والتناقض والتضاد والاختلاف، فينبغي للمعلم هدم ما حصل من بناء خاطىء، وتزويد أذهانهم بمسائل صحيحة من جديد.

رابعاً: ليس من السهل التعامل مع الأطفال الذين لديهم أخلاق وسلوك متنوعة، ولم ينضجوا بعد، فعلى المعلم ممارسة عمله باستخدام فنه والاطلاع على الطرق والتجارب وتمييزهم وتشخيصهم.

الدراسة والتحقيق:

إن ساعات عمل المعلم لا تنحصر بالأوقات التي يمضيها في الصف ومع التلاميذ، إذ عليه أن يدرس ويحقق بصورة دائمة، فيكتسب معلومات جديدة وتجارب، ويفكر دوماً بنمو التلميذ وتقدمه. ولا يمكن للمعلم الاكتفاء بالكتب الدراسية التي قرأها في المدرسة أو دور المعلمين ومراكز إعداد المعلمين والجامعات. والمسائل ذات العلاقة بالنمو البدني والنفسي، عديدة وواسعة، وكل يوم تحصل للتلاميذ مسألة ومشكلة، فيجب أن يبحث المعلم دائماً في معلوماته وتجاربه ويعيد النظر فيها.

إن عمل المعلم يشاكل عمل الطبيب من بعض الجوانب، من جانب الاستعداد لاستقبال المرضى والذين لديهم مشاكل في عملهم، ومن ناحية الحاجة إلى تجديد معلوماته، لأن المسائل في حالة ازدياد وتجديد مستمر.

عمل المعلم وأجوره:

تبدو الساعات التي يقضيها المعلم في التدريس، قليلة جداً، وتدخل ضمن مستوى أقل الأعمال والأشغال الاجتماعية، ومن البديهي أنها تكون في بعض الأحيان عامل جذب لمن يريد الاستخدام، بينما لو جرى العمل في هذه الساعات وفق معرفة الوظيفة وبرغبة وحب، لكانت تعادل ساعات عديدة من العمل البدني. ووفقاً لما جاء في إحدى الدراسات في هذا المجال، إن ساعة واحدة من العمل الفكري المقرون بالكلام والشوق والهيجان يعادل ٧ ساعات من العمل البدني، ومن الواضح أن ميزان هذه المعادلة يتغير كلما قل مستوى الشوق والهيجان في العمل، ولا يتساوى طرفا المعادلة أبداً إلا أن يقوم المعلم بعمل غير عمل التدريس.

وهكذا فإن الراتب والأجور التي تدفع للمعلم، ليست من أجل عدة ساعات من العمل السهل والبسيط، بل يجب أن تكون معادلة للساعات الحقيقية للعمل، كما أن سعيه وجهوده التي يبذلها لرفع مستوى معلوماته وطريقة عمله وزيادة تجاربه يدخل ضمن ذلك أيضاً.

إن ترفيع المعلم ورفع أجوره وراتبه، ينبغي أن يكون على ضوء ترفيع تجربته ومعلوماته وحسن أدائه لوظيفته، وهذا سبب شرعية تقييم العمل التعليمي، فعمل المعلم لا ينتهي، بل هو مسؤول عن القيام بكل أعمال الطفل، كما أن راتبه ليس له رقم ثابت أبداً، فيجب أن يكون متعادلاً بشكل ما بما يتناسب ورفع حاجته.

فوائد التعليم:

على ضوء آراء الذين ينظرون إلى العمل التعليمي بوصفه شغلاً مادياً، أو معنوياً أو خليطاً منهما، نستخرج الفوائد التالية:

- إن التعليم شغل شبيه بشغل الأنبياء، والعمل فيه مثل عمل النبي.
- أجره وثوابه كثير، بشرط النجاح في بناء وإصلاح الأطفال.
- يؤدي إلى التمتع بحرمة اجتماعية وعامل في حصول مكانة للشخص بين الناس.

ـ يستخدم الفعالية الذهنية لاكتساب المعلومات وزيادة التجارب.

ـ التعليم عمل كثير الثمار، من ناحية كثرة بناء وتربية الأفراد في المجتمع.

ـ إن نبض حياة المجتمع المقبل يمكن أن يكون في يد المعلم في ظل العمل التعليمي والمعلم ينظم نظام الحياة.

ـ التعليم عمل مقرون بالتنويع ويقوم على أساس خطة وضابطة معينة.

ـ عطلة الطلاب كثيرة وإمكانية الراحة والاستفادة من أوقات الفراغ كثيرة.

وليس بعهدته مسؤولية كبيرة في ما يتعلق بالوظائف الحكومية والاجتماعية.

وأخيراً، إن المعلم يمضي ساعات معينة من الوقت في التدريس، وليس لديه بعد ذلك مسؤولية في هذا الصدد.

أضرار التعليم:

وفي نفس الوقت، يجب أن نشير إلى أهم الأضرار الحاصلة من القيام بالوظيفة في هذا العمل، وفقاً لوجهات نظر المؤيدين أو المعارضين لهذا الشغل، مع أخذ النواحي المادية والمعنوية لهذا الأمر، بنظر الاعتبار، وهي:

ـ التعليم شغل مليء بالعناء، باعتبار أن المعلم يتعامل مع الأطفال أو الأفراد الذين يفكرون بمستوى أقل من مستوى المعلم.

ـ إمكانية تفاعل المعلم مع المجتمع، هي أقل من سائر الأشخاص.

ـ يعتبر عمله نوع من تكرار المتكررات، فهو يواجه كل يوم نفس الأفراد، وبرنامجه في هذه السنة شبيه ببرنامج السنة الماضية.

ـ المعلم مضطر إلى الارتباط مع عقول غير ناضجة، وهذا يؤدي إلى الانحطاط

ـ يسبب التعليم أحياناً يأساً لدى المعلم، كما أن الإعياء من العمل يضعفه كثيراً.

ـ يصاب أحياناً بعادات خاطئة فتصبح حركاته غير عادية، يرافقها احتقار وغرور، أو تواضع ليس في محله.

ـ يولي المواد الدراسية أهمية مصطنعة من أجل أن يتقبلها الطالب.

ـ يرى نفسه كاملاً ويحاول تخطئة الآخرين دائماً.

ـ ويشعر دائماً بروح التفوق، لأنه لا يرى في الصف شخصاً أفضل منه.

ـ يستخدم طريقة التعليم في أحيان كثيرة، خارج المدرسة، فيصاب بالإحباط، لعدم وجود زبائن لذلك خارج المدرسة.

ـ انتظار الناس منه كثير، ورقابتهم له صعبة.

ـ يتعامل دائماً مع الأطفال، ويستبد برأيه من أجل تهدئتهم.

ـ يضطر دائماً إلى تقليل مستوى روحه وفكره، من أجل تسوية نفسه مع الأطفال.

ـ تكون عاداته وسلوكه مرغوبة لدى الأطفال، نتيجة وضعه الشغلي، وهو عامل في التأثير السلبي على شخصيته.

المعلمون الضعفاء:

إن المعلمين الذين لا يعرفون كيفية التعليم ولا يقدرون على إدارة الصف والتلاميذ كما يجب هم ضعفاء، وأضعف منهم، الذين يريدون تعليم الأطفال عن طريق استخدام العصا والهراوة والصفع والقوة مع التلاميذ. إن وظيفة المعلم وعمله شاقة وأجرها قليل عادة. ومن سوء حظ المعلم استعمال التوبيخ والضرب، بحيث لو دفع راتبه الشهري ديّة مقابل ضرب الأطفال لما كفى ذلك.

ومن جهة أخرى، فإنه مسؤول تجاه المجتمع، وقد تؤثر طريقته في العمل سلبياً وتسبب بؤساً للأفراد يصيبهم إلى آخر العمر، ولا شك أنه مسؤول في هذا الصدد وعليه الإجابة على ذلك. وعلى أي حال فإن تقبل هذا الشغل يترتب عليه مسؤولية، ويتطلب جرأة، ويجب أن لا يقبل به إلا الذين يرون في أنفسهم قدرة وكفاءة.

العمل في سبيل الله:

من الضروري للنجاح في هذا العمل وأداء التكليف الموجود في هذا الصدد مراعاة ما يلي:

- حصول المعلم على المعلومات اللازمة في العمل التربوي.

- إطلاعه على الفنون والمهارات في هذا الصدد ونجاحه في أدائها.

- الدخول إلى هذا العمل بقصد الخدمة ونية الخير، والاستعانة بالله تعالى للنجاح، وفي هذا المجال يقول الشهيد الثاني في كتاب منية المريد: أول ما يجب عليه إخلاص النية، أن يقصد بعمله وجه الله تعالى.

ويجب أن يكون الغرض من التعليم والتدريس، حصول الإنسان على أية شهرة ويفخر بعمله أو يريد الوصول إلى موقع عن هذا الطريق، فالمهم هو الإخلاص في العمل وتسليم الأمور إلى الله، وعليه أن يعتبر التلاميذ أفضل أصدقائه، بل يعتبرهم أبناءه، فيطرح عليهم كيفية العمل وأسباب القرارات المتخذة بشأن الأمور.

وعلى أساس ما ورد في الإسلام، يجب على المعلم أن يقوم بعمله بالشكل الذي يقبل التبرير أمام الله، فلا يكون وحده عارفاً بالله، بل عليه اتخاذ الموقف الذي يعرّف الطفل بالله، ويقطع سبيل الحياة بعين باصرة ومعرفة واطلاع واتكال على الله.

القسم الحادي عشر

التقييم التربوي

يطرح في هذا القسم موضوع امتحان وتقييم الأفراد في مجال التربية والتعليم، وسوف نبحث في فصل من هذا القسم حول أهمية وأهداف الامتحان من النواحي الخاصة والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ثم نبين العوامل المطروحة في هذا الصدد ونتحدث عن تقييمنا لمسألة الامتحان، ثم نشير إلى الجوانب التي يجب الاهتمام بها فيما يتعلق بالطالب والمعلم والبرنامج والأهداف التربوية. ونتطرق إلى التعليم على شكل امتحانات والتي هي على ثلاثة أنواع، شفوية، عملية وتحريرية. ونتكلم عن الامتحانات الإنشائية والعينية وأنواعها ونذكر أمثلة لها.

إن المسألة المهمة في الامتحان هي طرح السؤال الامتحاني وتصحيحه، حيث ينبغي البحث عن العوامل المؤثرة في التصحيح وكيفية تصحيح الامتحانات الإنشائية والعينية.

أما ما يتعلق بالتربية، فيجب طرح مسألة الأساليب الامتحانية وأبعاد وعوامل التقييم في هذا الشأن، وسنبحث في هذا الصدد حول أسلوب المشاهدة، المقابلة، الطرق الاختبارية، ونطرح تقييم عدة أبعاد وجودية في الإنسان.

وأخيراً نتناول في ختام هذا القسم قضية الدرجات الامتحانية وقيمتها، ونستعرض دراسة نتائج الامتحان الذي يتضح على ضوئه ميزان ومعيار التقدم أو الرقي.

الفصل الثامن والثلاثون

أهيـمة وأهداف التقـيـيـم

تعتبر مسألة التقييم من المسائل المهمة والأساسية في حياة الإنسان، وهي وسيلة لمعرفة النفس والغير. وهي أمر قديم، حصل تنوع أكثر لطرقه في عصرنا. ويمكن عن طريق الامتحان فهم ما لدى الإنسان نفسه ولدى غيره من حقائق وواقعيات، وتحديد أهمية وقيمة الأفراد في مقياس التقييم.

إن الامتحان مسألة تختص بالإنسان، باعتبار أنه عرضة للتغير، والناس والمجتمعات الإنسانية، من منظار الدين، معرضة لامتحان الله، كي تتبين لهم حقيقة حالهم، وتحصل يقظة تنبيهية لهم.

والناس في الظروف العادية، لا تتحدد ماهيتهم وجوهرهم وقابلياتهم وحقائقهم الباطنية، وإنما يجب تعريضهم لظروف متنوعة ليمروا من معابر متباينة، فتتضح درجة اكتساباتهم وبنائهم ووضعهم الحالي والنفسي.

فوائد وأهمية التقييم:

ولهذا فإن تقييم معلومات الناس، وحالاتهم السلوكية وأنماط تفكيرهم ومواقفهم، من أجل الحصول على معرفة قيمة لوضعهم الراهن والماضي، وإطلاع أهل القرار على درجة نموهم وتقدمهم أو تخلفهم.

إن الامتحان وسيلة لمعرفة الأفراد وشخصيتهم وحالاتهم النفسية، وذلك للاستفادة منها في نموهم وتوجيههم في ما بعد، وتظهر أهمية ذلك حين ندرك أن كثيراً من أبعادنا الوجودية وقابلياتنا مجهولة حتى بالنسبة لنا، وكثير من الناس لا تكتشف القابليات والأمانات الإلهية المودعة فيهم ويغادرون الدنيا من دون الاستفادة من تلك القابليات. وسنبحث في ما يلي الجوانب التالية في موضوع فوائد وأهمية التقييم.

١ ـ على الصعيد الفردي: التقييم ضروري لنا لمعرفة أبعادنا الوجودية، باعتبار أن الإنسان لا يستطيع اتخاذ القرارات التي تهمه ما دام جاهلاً بنفسه وقابليته وإمكانياته، أو أنه لا يستفيد منها بالنحو المطلوب. إن كثيراً منا لا يعرف أي الطرق بإمكاننا التقدم فيها أكثر، وما هي نقاط ضعفنا وقوتنا؟ وما هي مستويات معلوماتنا، مقاومتنا، شجاعتنا، أخلاقنا وإيثارنا، ومن خلال الامتحان تتضح لنا هذه الجوانب. والامتحان يستطيع رفع الشعور بالغلو أو التفريط لدينا والناجم غالباً عن جهلنا بأنفسنا، ويعيننا على اتخاذ القرار لتقوية نقاط القوة وإزالة نقاط ضعفنا.

٢ ـ من الناحية الاجتماعية: الامتحان وسيلة للتعرف على الموقع الاجتماعي والتقييم في مجال تقدمه أو تخلفه، وعن طريق الامتحان يمكن معرفة الأفراد ووضعهم في أماكنهم المناسبة.

ونحن بحاجة في المجتمع الإنساني إلى معرفة النقطة والموقع الذي ينبغي أن يوضع فيه كل فرد من أعضاء المجتمع. وكيف يجب اختيار الأفراد من بين حشد كبير من الناس، وفتح المجال لهم للقيام بنشاط مسؤول، ومن هم الذين باستطاعتهم المقاومة في ظروف البلاء والمشاكل، ومن هم المهيئين للنضج.

٣ ـ على الصعيد الاقتصادي والاستخدامي: من الخطأ التصور القائم على إعطاء أي عمل لأي شخص، فالمناصب الحساسة والمهمة تتطلب خبرة وتخصصاً، بنفس درجة الحاجة إلى الإيمان والاعتقاد بالدين. فسياقة السيارة تُعطى للذي لا يُعرّض أرواح الركاب إلى الخطر، والقيادة العسكرية تُعطى للشخص العارف بفنونها.

والأشخاص في المقارنات يشبهون البراغي التي لكل منها مكان معين، فإذا وضعنا الكبير محل الصغير والضعيف محل القوي وبالعكس، فإن نتيجة ذلك هي وقوع فاجعة في حركة عجلة المجتمع، كما أن تولية شخص مؤمن ولكنه غير خبير، تصليح ماكنة، يؤدي إلى فاجعة تعادل فاجعة تسليم قيادة الطائرة، لطيار غير مؤمن.

٤ ـ من الناحية السياسية: ويفيدنا التقييم في مسألة إعطاء الأشخاص

مسؤوليات إدارة البلد، وكذلك في اتخاذ القرارت والتعيين والتحزب والتنظيم واختيار الأفراد للجيش والنظام وللأمور ذات العلاقة بالقيادة والتخطيط.

وهناك حاجة إلى اختيار الأشخاص الأكفاء والصالحين في مجال الحقوق وصدور الأحكام وتطابق القضايا مع ما هو موجود في القانون، حيث ليس بالإمكان العثور على هؤلاء الأشخاص إلا عن طريق التقييم. وهكذا الحال في مسألة قبول المهاجرين ومعرفة قابلياتهم، كي لا يصبحوا عبئاً على الآخرين، وإنما يتم اختيار الأفراد المفكرين وأهل الرأي والمطيعين لقانون الدولة المتبوعة و. . . كل هذه تتطلب القيام بالتقييم.

٥ ـ من الناحية الثقافية: نحتاج إلى التقييم في قضية تعزيز الأسس العلمية، وفي مجال التنمية وفي تقبل فكر أو فلسفة ما للحياة وفي انتخاب طرق نقل التراث الثقافي وفي قبول نوع العادات والتقاليد والشعائر. وفي القبول أو الرفض لفرضية ما.

وليس بالإمكان إشاعة كل أنواع الفكر والفلسفة في المجتمع، كما أنه لا يصح اعتبار كل أشكال العمل الأدبي والفني بناءة ومقبولة، بل يجب تقييمها لئلا تكون سبباً في التخدير والتدمير. ومن الضروري تقييم الأفراد الذين يرون أنفسهم من أهل الرأي والفكر ويريدون تحمل مسؤولية، عن طريق إجراء امتحان لهم لمعرفة صحة وسقم القضية.

مجالات التقييم:

ويجري التقييم في مجالات مختلفة من حياة الإنسان، حيث بالإمكان تقييم كل ما في الإنسان، وكل ما نراه فيه بشكل غريزي أو فطري أو اكتسابي.

وأحياناً نختبر معلومات الفرد للتعرف على ما تعلمه ومستوى اطلاعه ووعيه، وما هي درجة نموه وتقدمه وقابليته على التعليم، وما مقدار ما طبّقه من ذلك.

وتارة نختبر قدرته النفسية، وأبعاده المعنوية والأخلاقية، والنواحي

ذات الصلة بصبره ومقاومته، وأمانته وصدقه، ونمتحن رغباته وميوله وقدرته القيادية وقراراته ونقط ضعفه وقوته، وكل ذلك لاكتشاف حقيقة الأمر ومعرفة مدى كفاءته وطاقته.

هدفنا من التقييم:

من خلال ما تقدم تبيّن هدفنا من الاختبار، إلى حد ما، والآن نطرح الجواب من منظار آخر وهو أن على الامتحان تحقيق هدفين، التعريف بالظرف الحالي، وتوقعات المستقبل.

ففي الجانب الأول يجب أن نتعرف عن طريق الامتحان، على النواحي البدنية والفكرية والنفسية للفرد وما لديه من معلومات، وسعة تلك المعلومات، وفي أي وضع هو؟ وما هي الجوانب التي يعاني فيها من التخلف وفي أي الجوانب متقدم، كما يجب من خلال اختبار اكتشاف مستوى وقيمة عمل المربي والمعلم، وبيان صحة أو خطأ الطريق الذي انتهجه لبناء الفرد.

وفي الجانب الثاني، ينبغي أن يكون الامتحان أداة لمعرفة ما هو محتمل وبيان المجال الذين تتوفر فيه لدى الفرد قدرة على النجاح والتقدم، وهل بإمكانه الموفقية في العمل الفني أم لا؟ وهل يستطيع النجاح في ما لو اشترك في الامتحان الوزاري؟ وهل بإمكانه أداء مسؤوليته بالشكل اللائق، في حالة توليه المنصب الفلاني، أم لا؟ ومن أجل أن تتضح حدود البحث بصورة أكثر، نتناول في ما يلي دراسة الجوانب التالية:

أ ـ على صعيد الطالب: نستهدف من وراء امتحان التلميذ معرفة النواحي الآتية: تقييم مستوى عمله ونشاطه، تعيين معيار لتسلسل الطلاب، تحديد تقدمه وتأخره؛ معرفة قابلياته وطاقته، التعرف على ذوقه ورغباته، توجيهه في مسألة التعلم، تقييم مستوى معلوماته الخارجية، التمهيد لدراسة أفضل، اختيار الأحسن من بين الطلاب، معرفة كيفية فهمه وتلقّيه ودفعه إلى العمل والنشاط الأكثر، محاولة معرفة نجاحه أو عدم نجاحه في المستقبل في مجال من المجالات.

ب ـ على صعيد المعلم والمربي: في هذا الصدد يدور الامتحان حول تقييم ودراسة الأمور الآتية: تقييم كيفية عمل المعلم والمربي وأساليبه، ودرجة نجاحه في التعليم، وبناء أو إصلاح الطالب ومعرفة هل ان ساعات عمله وكيفيته كانت كافية للتلميذ أم لا؟ تقييم توقعات المعلم الخاصة في الوصول إلى الأهداف التربوية والتعليمية، ومدى نجاح المعلم في التنفيذ الكامل للبرنامج، وتشجيعه على العمل والنشاط الأفضل، وإشارده إلى استخدام طريقة وأسلوب أكثر تأثيراً من أجل تعليم وبناء الطالب.

ج ـ على صعيد البرنامج: يجب التعرف من خلال الامتحان على مدى فائدة وتأثير خطة العمل في الطلاب، وهل ان الطفل قادر على فهم المضمون المطلوب أم لا؟ وهل ان هذا المحتوى والدرس كان كافياً للتلاميذ؟ أم أنه كان كثيراً أو قليلاً؟ وما هي الإبهامات الموجودة في الخطة والتي يجب رفعها؟ وما هي السلبيات التي ينبغي إزالتها؟، ويجب أن نكتشف عن طريق الاختبار النقاط التي كان على المعلم أن يتوقف عندها أكثر، وما هي البرامج الإضافية المكملة، وما هي المواضيع التي يجب إضافتها أو إلغائها، وما هي المطالعات الإضافية التي على الطالب القيام بها و. . .

د ـ على صعيد أولياء التلاميذ: يجب عن طريق الامتحان إعداد معلومات لازمة لأولياء الطلاب وتعريفهم بمستويات أبنائهم، ونقاط ضعفهم وقوتهم، وإلى أي جهة يجب توجيه أبنائهم؟ وإلى أي حد يمكن عقد أمل عليهم للمستقبل؟ وما هي الجهة الحِرفية التي يوجهون إليها، فيحصلون على نجاح أكثر.

هـ ـ في مجال الأهداف التربوية: ينبغي عن طريق الامتحان معرفة درجة الوصول إلى الأهداف التربوية وأهميتها، وقيمتها وترتيبها. وبيان الحدود التي يمكن للمرحلة السنية الفلانية الوصول إليهما. وما هي الأهداف الأخرى التي بالإمكان إضافتها، وما هي الأهداف التي يجب إلغاؤها من تلك المرحلة أو إصلاحها؟ أما في مجال التعليم فينبغي أن يتبين

مثلاً هل ان بالاستطاعة بلوغ الهدف المرسوم للتعليم الرياضي في هذا السن، أم لا.

و ـ **النتيجة**: يجب أن يتعرف الأفراد من خلال امتحان على حقيقتهم، فيدركوا مَن هم، وماذا عملوا، وما هي كفاءتهم، وما هي رتبتهم وموقعهم، وماذا عليهم أن يصنعوا كي يتقدموا ويتكاملوا، وما هو طريق نموهم ورقيّهم؟ و...

الفصل التاسع والثلاثون

تقـيـيـم التعلـيـم

من أجل النجاح في العمل التربوي هناك حاجة إلى استخدام أساليب مطلوبة في التقييم الدقيق لمسألة التعليم ومعرفة مستوى التقدم الدراسي للأفراد وإدراك مدى صلاحيتهم. فيحدد المجال الذي بإمكان الطلاب التقدم فيه، والدروس أو المواضيع التي تفوق فيها الطلاب أو فشلوا، وما هي درجات تقدمهم أو تخلفهم؟ وهل باستطاعتهم مواصلة الدراسة في الفروع الفلانية؟ أم أن بإمكانهم التقدم في الفرع الفلاني، أم أن عليهم تكرار تلك الدروس؟.

والهيئة العامة في الامتحانات هي طريقة السؤال والجواب، حيث يكون الجواب إما على شكل بياني أو عملي. وتارة يجيب الشخص المسؤول، بهيئة إنشائية، وتارة يكون الجواب محدوداً بكلمة نعم أو لا. وفي هذا الفصل سنتطرق إلى شرح تلك الأشكال.

أشكال الامتحانات: هناك ثلاث صور لإجراء الامتحان، ولكل منها محاسن ومساوىء، ولا تعتبر أي منها كاملة لوحدها، والامتحان الكامل هو الذي يضم الصور التي سنأتي إلى بحثها في ما يلي:

أ ـ الامتحان الشفوي: وهذا الامتحان يأخذ شكل لقاء يقف الطالب فيه أمام المعلم ويجيب على أسئلته بتدبر. ومن خلال هذا الشكل يمكن تقييم معلومات الأفراد، قوة بيانهم ونظمهم الفكرية وبداهتهم وتمركز أفكارهم ومعرفة حالاتهم الباطنية وما يعانون من اضطرابات وتشويش وخوف واهتزاز.

إن قيمة واعتبار هذا الاختبار لها علاقة بالأسئلة المدروسة والمعدّة سلفاً من قبل المعلم ونتائجه قابلة للوثوق بها حين تكون بعيدة عن كل أنواع الذوق الشخصي وتدخل الرفق أو الانتقام.

ومن ميزات هذا الامتحان علاوة على ما تقدم، هو عدم إمكانية التلميذ على التملص وإتلاف الوقت والخروج عن حدود السؤال، كما أن بالإمكان رفع أخطاء التلميذ، وإذا جرى الامتحان في حضور الطلاب، فيكون بمثابة دورة دراسية.

أما مساوئه أو قيوده فمنها أن الأسئلة ليست متساوية للجميع من حيث الصعوبة والسهولة والنجاح فيه له صلة إلى حد كبير بالحالات العامة وعدم الخوف والحظ والصدفة، كما تتدخل مسألة حياء التلميذ وخوفه من الامتحان وعدم إمكانية التفكير بالسؤال وضعف قوته البيانية وخلفيته الأخلاقية.

ومن أجل أن يتم هذا الامتحان بشكل أفضل، فإن من الضروري استخدام القرعة، فتوضح أبعاد وتفاصيل الأسئلة، وتقسم إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منفصل عن الآخر، فهناك أسئلة سهلة ومتوسطة وصعبة، ويستخرج كل طالب سؤال واحد على صورة قرعة ويجيب عليه، ويمكن كتابة صفحة الكتاب الذي استخرج من السؤال أسفل القرعة، حتى يطالِعه المعلم حين يجيب الطالب.

ب ـ **الامتحان العملي**: في هذا الاختبار يطلب المعلم من التلميذ القيام بعمل، كأن يصنع شيئاً أمام المعلم، أو يقدم أطروحة أو يفتح جهاز مصنوع أو يركب أجزاء شيء تم تفكيكها، أو يقوم بعمل معماري أو زراعي أو فني خاص.

وتلحظ في هذا الشكل من الامتحانات مسألة المهارة، السرعة، القدرة، صحة العمل واستحكامه، وغير ذلك، والمهم هنا هو إعطاء الدرجات، فمن الضروري في هذا المجال تحديد درجة قصوى للسرعة مثلاً للأفراد من ذوي العمر الفلاني أو المرحلة الدراسية الفلانية والقياس على أساسها، ويجب أن يكون المعيار صحيحاً.

ج ـ الامتحانات التحريرية: تطرح على التلميذ هنا أسئلة محدودة أو واسعة، وعليه الإجابة عليها في ساعات أو دقائق معينة.

من محاسن هذا الاختبار، هو عرض سؤال واحد لجميع الطلاب ومراعاة العدالة، وتكون إمكانية تقييم المعلومات أوسع دائرة من الامتحانات الشفوية، وتتوفر فرصة للتفكير وإمكانية لتنظيم الوقت للإجابة على كل سؤال، وعدم الخجل، وعدم ظهور نقاط الضعف الناجمة عن لكنة اللسان واللهجة وإمكانية التوضيح والتفسير والتعبير وعدم التدخل الصريح للأغراض والآراء الشخصية للمعلم و...

أما قيود هذا الامتحان، فهي أنه لا يُقيّم سرعة العمل وقدرة البيان والاستدلال وكيفية حل المسائل التي تتطلب جواباً جاهزاً، والبداهة الكلامية، وتتدخل فيه بعض العوامل مثل ضعف الكتابة، الضعف في مسألة تنظيم المواضيع، ونوع الاستنتاج.

أنواع الامتحانات التحريرية: تقسم هذه الامتحانات إلى قسمين: الإنشائية أو المفتوحة التي تتميز فيها مساحة الجواب بالحرية وعدم المحدودية، والامتحانات العينية أو المغلقة والتي تكون دائرة الإجابة عليها مغلقة ومحدودة (وسوف نوضح ذلك).

أ ـ الامتحانات الإنشائية: تطرح في هذه الامتحانات عادة أسئلة معدودة وتكون الإجابة مفتوحة فيجيبون وفق قابليتهم ومعلوماتهم وأذواقهم، وقد تكون الإجابة قصيرة وفي حدود سطر أو سطرين أو طويلة تستغرق عدة سطور.

ومن خلال هذه الاختبارات يمكن تقييم الجوانب العلمية والنظم الفكري والمستوى الدراسي وكيفية الاستدلال والقدرة على استخدام اللغات والمصطلحات لدى الأفراد ومعرفة كيفية استنتاجهم وفهمهم.

من محاسن هذه الامتحانات هي أن إعداد الأسئلة وإجراء الامتحان تكون سهلة وقليلة التكاليف.

أما مساوئها فنذكر منها عدم إمكانية السؤال عن جميع أقسام الدروس، وتصحيحها باهظ الثمن ويؤثر فيها ضعف الكتابة ودائرة الأجوبة متعددة

ودرجة صحتها متفاوتة ولا تتوفر إمكانية تقييم سرعة الانتقال والاستعداد الذهني، كما أن تصحيحها يتطلب سيطرة كاملة على المضمون وتؤثر الحالة العامة فيه، وتقلل من قاطعيته.

الامتحانات العينية: تقيّم هذه الامتحانات، مستوى معلومات الأفراد من خلال التركيز على الجوانب الصغيرة للأمور، من محاسنها ومساوئها إنها قابلة للطرح ببساطة على جمع كبير، كما أنها لا تستغرق وقتاً كثيراً. وهناك إمكانية السؤال عن معظم مضامين الدروس، ولا مجال فيها لبعض العوامل كقوة البيان وحسن الخط والنظافة وتجاوز الموضوع والغش، ثم إن تصحيحها سهل.

ومن قيود هذا الاختبار هو أن إعداد الأسئلة يتصف بالصعوبة واستهلاك وقت كثير، وتقل إمكانية تكثير الأوراق، ولا مجال فيه للبحث وإبداء الرأي وإظهار معلومات إضافية، وهو يقيم المعلومات المحفوظة لدى الأفراد ويختبر إدراكهم وفهمهم السطحي، ولا يقيم قابليات الذهن العالية كقوة البيان والاستعداد.

أنواع الأسئلة العينية:

ثمة خمسة أشكال للأسئلة العينية، الممكن طرحها في المدارس وهي:

السؤال بطريقة الصحيح أو الخطأ ـ السؤال الذي يكون جوابه موجوداً ضمن عدة أجوبة ـ سؤال التنظيم ـ سؤال قصير الجواب ـ سؤال فيه نقص يجب إكماله.

وفي ما يلي بحث ودراسة لكل من الأنواع الخمسة الآنفة:

أ ـ السؤال بطريقة الصحيح أو الخطأ: تؤلف هذه الأسئلة عادة من جمل قصيرة وبسيطة، فيقرؤها الطلاب ويضعون أمامها في داخل المربع المقابل حرف (ص) إذا كانت الجملة صحيحة، وحرف (غ) إذا لم تكن صحيحة.

وبالإمكان عن هذا الطريق معرفة ما لدى الطلاب من معلومات في

المسائل التاريخية والعلمية والاجتماعية وسائر المجالات، بالتأكيد على المسائل الدقيقة والتفصيلية، ويستفيد الطلاب الذي يعدّون أنفسهم لهذا الامتحان، في توفير مستلزمات تنمية وتقوية ذاكرتهم.

وإعداد أسئلة هذا الامتحان هو أسهل نسبياً من سائر الامتحانات، كما أن تصحيحها سهل جداً، إلا أن تعويد التلاميذ على هذا النوع من الامتحانات فقط يؤدي إلى تنمية معلوماته السطحية وعدم التعمق في الأمور.

ب ـ الأسئلة باستخدام عدة أجوبة مختلفة: يطرح المعلم في هذا النوع من الأسئلة سؤالاً، ويضع أمامه ثلاثة أو أربعة أو خمسة أجوبة، فيطالعها التلميذ ويختار الجواب الصحيح ويؤشر عليه.

ومن خلال هذا النمط من الامتحانات يمكن اكتشاف حدود وعي الطالب واطلاعه على المسائل البسيطة والدقيقة ومستوى معرفته. وبهذا الامتحان نستطيع فهم قوته في التحديد والاختيار وسرعة العمل وسرعة الانتقال والتعرف المجدد على المسائل. أما عامل الحظ فيلعب دوراً قليلاً، إلا أن إعداد الأسئلة يتطلب تخصصاً ومهارة، وهو عمل يستهلك كثيراً من الوقت والتكاليف، ثم إنه يؤدي إلى خمود قوة الاستخدام والابتكار لدى التلميذ.

ج ـ الأسئلة التنظيمية: يعطى الطالب هنا ورقة فيها عمودين، تطرح في العمود الأول الأسئلة وفي العمود الثاني الأجوبة، لكن عدد الأجوبة أكثر من عدد الأسئلة، وعلى الطالب قراءة الأسئلة والبحث في عمود الأجوبة عن الجواب المطلوب ثم بعد أن يجده يقوم بربط السؤال والجواب.

وهذا الاختبار، في الحقيقة هو نوع آخر من الامتحانات متعددة الأجوبة، ويستخدم لتقييم إدراك معاني اللغات ومعرفة التواريخ المهمة والوقائع العلمية والاجتماعية وتطبيق الأسماء والإعداد على الوقائع و. . . ويعتبر إعداد الأسئلة أمراً سهلاً بالإضافة إلى إمكانية تكثير الأوراق.

أما قيوده فهو أنه يقيم المعلومات المحفوظة ولا يتمكن من معرفة قسم كبير من المضمون، وليس فيه القدرة على التخطيط والاستدلال، ثم ان تحديد جواب الأسئلة يكون سهلاً نسبياً، بعد استخراج بعض الأجوبة.

د ـ **الأسئلة الناقصة**: تحذف في هذه الامتحانات كلمة مهمة من الجملة الاستفهامية ويترك مكانها خالياً، وبعد أن يطالعها الطالب، عليه أن يحدد الكلمة المحذوفة من العبارة ويضعها في المكان الخالي، وقد يطرح السؤال على شكل ذكر نص كامل، يتضمن عدة أخطاء إملائية، فيعمل الطالب بعد المطالعة على العثور على الكلمة الخطأ ويصححها.

وتستخدم هذه الطريقة لتقييم ذاكرة التلميذ وتعريفه بالتعريفات والمصطلحات والاختبار الإملائي. ومن محاسن هذا الامتحان، إثارة التفكير لدى الطالب والدقة وحالة البحث والاكتشاف. ومن السهل تصحيح الأجوبة، لكن ضعفه يتمثل في أن بالإمكان وضع كلمة بدل كلمة أخرى فلا يقبلها المصحح، إلا أن التفات المعلم إلى ذلك عند إعداد الأسئلة يمكن أن يرفع هذا النقص.

هـ ـ **الأسئلة قصيرة الجواب**: وهي الأسئلة التي يكون جوابها عبارة عن كلمة أو كلمتين أو عبارة قصيرة، وأحياناً تستخدم طريقة، نعم، كلا، لا أعلم، وهنا لا يستطيع الطالب التحايل في الإجابة.

وتستعمل هذه الاختبارات لتقييم المعلومات اللغوية والتواريخ المهمة وتطبيق العلامات ومعاني ومفاهيم المصطلحات وغير ذلك. ولكن لا مجال هنا للاستدلال والتخطيط للإجابة. ثم إن الطالب يعتاد على طريقة سيئة في المطالعة فيركز في التعلّم على جزئيات الأمور.

أما محاسن هذا الامتحان فهي السرعة في الجواب والتصحيح، كما لا يمكن للتلميذ أن يمارس الغش ولا يستطيع وضع عبارة مكان أُخرى، وتتميز الأجوبة بالوضوح والقطعية، وتبين درجة الطالب، معلوماته الحقيقية.

كيفية التنفيذ: من المناسب أن نتكلم حول مسألة إجراء الامتحان، فنلفت نظر القراء إلى النكات التالية:

١ ـ ينبغي أن تجري الامتحانات بعيداً عن كل ألوان الخوف والرعب والاضطراب، فكثير من الامتحانات تؤثر سلبياً في الوضع النفسي للطفل وتؤدي إلى وقوع مصائب كبيرة.

٢ ـ يجب إجراء الاختبار بشكل تدريجي، أي أن يتم كل يوم وكل أسبوع، ويجرى بشكل عام كل ثلاثة شهور.

٣ ـ يعاني الطفل في الامتحانات الشفوية من الخوف، وقد يتعرض إلى الشلل الفكري.

٤ ـ العمل على إظهار حالة الرسوب والبقاء في الصف سنة أخرى يؤدي إلى دفع الطفل إلى الغش، فيجب طرح الرسوب كضرورة إعادة دراسة بعض الدروس.

٥ ـ الامتحان وسيلة للهداية وليس للإسقاط، وهو طريقة لتقييم المعلومات وليس الانتقام.

٦ ـ من اللازم قبل الاختبار طمأنة الطفل وإزالة عوامل الهلع من الأذهان.

٧ ـ يخفف التعامل الحسن مع التلميذ حين الامتحان، والأجوبة المهدئة من النظرة التشاؤمية للامتحان، إلى حد ما.

الفصل الأربعون

طرح الأسئلة الامتحانية وتصحيحها

تعتبر الطريقة المستعملة في إعداد أسئلة الامتحان، طريقة غير صحيحة، حيث يفتح المعلم كتاباً ويهيء بعض الأسئلة منه ويطرحها على التلاميذ. وحتى لو أنه قام بذلك العمل قبل الامتحان بيوم، فإنه أسلوب غير صحيح كذلك، فالاختبار بهذا الشكل لا يقدر على إيضاح نقاط ضعف وقوة الطالب، وتحقيق الأهداف التعليمية والتربوية وبيان نواقص طريقة التدريس، والتعرف على مدى تقدم التلميذ أو تأخره، ولا يمكنه أن يكون أداة لاتخاذ القرارات القطعية بشأن الطالب وتحديد وضعه، لذا يجب أن تكون الأسئلة مدروسة وذات قيمة واعتبار حتى يمكن على أساس ذلك إبداء الرأي بحزم حول الطالب، والعمل على ترقيته أو إبقائه سنة أخرى في الصف الدراسي. وحين ندرك أن اختبار الطالب يمثل مسألة مصيرية، تتضح أهمية الاعتناء بهذا الأمر، فالحكم على عدم نجاحه في الامتحان، على ضوء نتيجة الاختبار، يجب اعتباره إبداء رأي بشأن عمره، وهو عمر لا يتكرر، وبالعكس لو قلنا ان هذ الطالب يجب أن يرتقي إلى الصف التالي، فعلينا أن نحسب لذلك حساباً، فلا نعمل على إدخال فرد غير ناضج إلى المجتمع قبل الأوان.

طرح الامتحان:

يجب توفر خطة معينة عند إعداد الأسئلة الامتحانية، ووجود هذه الخطة يحدد موقفنا تجاه الامتحان ويجعلنا حسّاسين ازاء المسائل المهمة، والمسائل التي تطرح في هذه الخطة هي:

١ ـ تعيين موضوع الامتحان: فيوضح نوع الامتحان، هل هو في الدرس الرياضي أو الأدبي أو الاجتماعيات وغيرها.

٢ ـ **الهدف من الامتحان**: حيث يجب بيان غرض ذلك، فهل الهدف هو تقييم سرعة الانتقال أم قدرة التعبير والتفسير؟ أم معرفة قوة الذاكرة؟ أم اكتشاف نقاط ضعفه وقوته؟ و. . .

٣ ـ **تعيين مستوى وحجم المضمون**: فيوضح عدد الفصول أو الأقسام التي يراد إجراء الاختبار بشأنها.

٤ ـ **تقسيم أهداف المضمون إلى أهداف صغيرة**: وذلك بتقسيم الأهداف العامة الآنفة إلى أهداف صغيرة، كي يمكن طرح السؤال على أساس كل جزء من أجزاء تلك الأهداف.

٥ ـ **تقسيم الأهداف الصغيرة إلى أهداف أصغر**: وتتضمن المسائل التي يجب أن يعلمها الطفل.

٦ ـ **تحديد أهمية كل هدف من ناحية الدرجة**: بمعنى تحديد مستوى أهمية كل هدف، حتى تعطى الدرجات على ذلك المعيار.

٧ ـ **تحديد درجة مضمون كل هدف**: أي عدد صفحات الكتاب التي تختص بكل هدف.

٨ ـ **تهيئة لوحات طرح الأسئلة**: فتحضر لوحات تذكر فيها القضية التي مر ذكرها وتوضع أمام المعلم.

٩ ـ **تشخيص أنواع الامتحان**: بمعنى هل أن الامتحان إنشائي أم عيني، وما هو نوعه؟ و. . .

١٠ ـ **كتابة الأسئلة**: فنهيء لكل هدف صغير سؤال أو عدة أسئلة وندوّنها.

١١ ـ **اختيار الأسئلة**: أي نختار الأسئلة التي تتناسب مع المستويات الثلاثة، السهل الوسط، الصعب.

١٢ ـ **تصحيح وإعادة النظر بالأسئلة**: بالشكل الصريح الذي يكون بعيداً عن كل إبهام.

١٣ ـ **تعيين عدد الأسئلة**: فتحدد عدد الأسئلة التي ينبغي وضعها لهذا الامتحان.

١٤ ـ **تعيين الوقت والزمان اللازم**: فيحدد للأسئلة التي يكون جوابها بكلمة صحيح أو خطأ وقت قدرة ٣٠ ـ ٤٥ ثانية، مثلاً، ولبقية الأسئلة ما يناسبها.

١٥ ـ **ترتيب وتنظيم الأسئلة**: بالشكل الذي تتمتع بنظم فكري مقبول وتمتد الأسئلة من السهولة إلى الصعوبة.

١٦ ـ **تكثير الأسئلة**: وهذا يتطلب توفر جهاز طباعة الوثائق، أو استخدام جهاز التصوير أو الكتابة اليدوية أحياناً.

١٧ ـ **تهيئة الدليل**: وهو أمر ضروري للمنفذين خاصة إذا كان في مستوى واسع.

١٨ ـ **إعداد ورقة الإجابة**: وتحدد فيها طريقة التصحيح والأجوبة الصحيحة.

١٩ ـ **تهيئة إضبارة للإسئلة**: وهو عمل مفيد وقيم للاستفادة منه في ما بعد.

إعدد أسئلة شفهية:

نعتقد أن تطرح في الامتحانات الشفهية، أسئلة مدروسة ودقيقة من أجل أن تجري الامتحانات بصورة جيدة، وبالإمكان إعداد أسئلة لهذا الأمر ووفق هذا الطرح، ويكتب كل سؤال في ورقة وتستخرج الأسئلة بطريقة القرعة.

وتُعد الأسئلة ضمن ثلاث مجموعات، بسيطة، متوسطة، صعبة، وتلقى في أكياس خاصة فيستخرج كل طالب ورقة من كل كيس ثم يتأمل قليلاً ويجيب عليها شفوياً.

ومن أجل أن يطلع المُمتحِن على صحة أو سقم الأجوبة وحدود ذلك، فمن الضروري كتابة رقم الصفحة في أسفل كل ورقة، ليتمكن المشرف على الامتحان مراجعة الكتابة حين إجابة الطالب وينظر إلى الموضوع والنكات التي على التلميذ الإشارة إليها في جوابه. وهذه الطريقة أقرب إلى العدالة، ثم إن نتائجها أكثر قطعية.

نموذج للأسئلة العينية:

في ما يلي نذكر بعض الأمثلة على الأسئلة العينية:

١ ـ أسلوب الصح والخطأ:

ـ يبلغ مجموع زوايا الأضلاع الأربعة ٣٦٠ درجة (ص).

ـ يجوز في الإسلام أكل لحوم جميع الطيور (غ).

ـ يتجمد الماء في درجة حرارة ٢ فوق الصفر (غ).

ـ تبلغ السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً عادة (ص).

الاختيار:

ـ ١ ـ من هو كاتب البستان؟

أ ـ فردوسي ج ـ عنصري

سعدي × د ـ حافظ

٢ ـ كم تعادل سبعة كيلوغرام و ٣٥ غرام، من الغرامات؟

أ ـ ٧/.٢٥ غرام ج ـ ٧٢٥ غرام

ب ـ ٧٢٥٠ غرام د ـ ٧٠٢٥ غرام ×

٣ ـ كم عدد أعوام فترة نبوة رسول الله ﷺ؟

أ ـ ١٣ سنة ج ـ ١٠ سنوات

ب ـ ٢٣ سنة × د ـ ٤٠ سنة

الأسئلة التكميلية:

١ ـ ٢٥/ ١ متر يساوي. . . سانتيمتر.

٢ ـ مرقد الإمام الرضا عليه السلام يقع في مدينة. . . .

ـ العضلات أداة ربط. . . بالعظام.

٤ ـ الأسئلة ذات الأجوبة القصيرة:

١ ـ كم كان سن النبي محمد ﷺ حين بعث نبياً؟

٢ ـ هل إن فعل أدار لازم أم متعدي؟

٣ ـ ما اسم الشريان الذي يخرج الدم من القلب؟

٥ ـ طريقة التنظيم:

١ ـ صِل اسم الكتاب ومؤلفه

اسم الكتاب	اسم المؤلف
البستان	كيكاوس
أربع مقالات	مولوي
الأخلاق الناصرية	النوري
	الخواجه نصير
	فردوسي
	نظامي

٢ ـ صل اللغات والمعاني التالية باختيار الكلمة المناسبة:

اللغة	المعنى
(لائق)	فقر
النقاب	النقب
قصر	يطالب
صيد	أخلاق
خلق	عملية الصيد
	المصارعة
	صيد
	شكل

تصحيح الامتحانات

يعتبر تصحيح الامتحانات العينية أمراً سهلاً، أما الحال بالنسبة للامتحانات الشفوية والإنشائية فهو صعب نسبياً. وبديهي أن جميع الجهود المبذولة في تهيئة الأسئلة وإجراء الامتحان تذهب هدراً إن لم تكون هناك دقة في التصحيح ورقابة لازمة. وكما ذكرنا أن نتيجة هذا الامتحان هي حرمان شخص لائق من الدخول إلى المجتمع، أو دخول فرد غير كفوء إلى حياة العمل والحياة الاجتماعية.

تصحيح الامتحانات الشفوية والإنشائية:

ضروري عند تصحيح الأسئلة الشفهية أن تكون الأسئلة ذات فقرات، أي لو كانت الدرجة المعطاة للجواب الصحيح هي ٥ درجات مثلاً، فينبغي توضيح عدد أجزاء السؤال ونكاته. وتوزع الدرجات على أساس أجزائه ونكاته.

وهكذا تكون عملية التصحيح سهلة، والدرجات المعطاة أقرب إلى الواقع والعدالة. لأن الامتحان يأخذ شكلاً عينياً. وهكذا الحال بالنسبة للامتحانات الإنشائية والتحريرية والتي يقوم الطالب خلالها بالكتاب بدل بيان المسائل لفظياً.

وفي الدروس الإنشائية يمكن مراعاة هذه القواعد والضوابط بشكل آخر، فيعطى لمضمون الإنشاء ١٥ درجة مثلاً من أصل ٢٠ ويجب أن يتبين من هو الشخص الذي كتب نكاتاً أكثر حول الموضوع، ولنفرض أن أحد الطلاب كتب في ذلك المجال ٣٠ نكتة وحاز على المرتبة الأولى من حيث العدد، فعليه يُعطى لكل طالب نصف درجة على كتابته لكل نكتة حول الموضوع المطلوب، سواء كانت الدرجات متشابهة أم غير متشابهة، أما بقية الدرجات فتخصص لحسن الخط ومراعاة القواعد الأدبية، وتعطى الدرجات على هذا الأساس.

ملاحظة في تصحيح الامتحان: على الشخص المُصحِّح أن لا يدع لبعض العوامل التدخل في التصحيح، ومن تلك العوامل:

الخلفية الذهنية للمصحح أو المعلم، بشأن تصرفات التلميذ في الصف، الجانب العاطفي الذي يدعوه إلى الترحم والعناية بالطالب، كيفية تفكير المعلم، حيث قد يعتبر أحد الأطفال الأكفاء غير كفوءاً، والآراء الشخصية في التصحيح، فيريد من الطالب مثلاً أن يكتب نفس العبارة أو المفهوم، وكذلك حالاته العامة التي تشمل السلامة، المرض، الحزن أو الفرح، الجوع أو العطش، التشويش، النزاع وغيرها.

ومن العوامل الأخرى في هذا الصدد: إمكانية الطالب في الكتابة التي قد تصور الصغير كبيراً. الاهتمام بالظاهر، حسن الخط، استخدام لغات

ومصطلحات، وجود أو عدم وجود نظام وترتيب، النظام و. . . والتي لها تأثير في هذا المجال.

تصحيح الامتحانات العينية:

يعتبر تصحيح هذه الامتحانات سهلاً جداً وليس للأغراض والآراء الخاصة والعصبيات دور فيها وهو يتم بأربع طرق:

١ ـ **مطالعة الأوراق**: فتلاحظ فيها العبارات الصحيحة من الخطأ وتوزع الدرجات على الأجوبة الصحيحة وهو عمل موثوق، لكنه يأخذ وقتاً كثيراً، لذا يتم تجنبه باستخدام طرق أخرى سنأتي إلى ذكرها.

٢ ـ **التصحيح بالمفتاح**: والمفتاح عبارة عن صفحة ورق مقوّى تعادل حجم ورقة الامتحان، يتم فيها ثقب الأماكن الصحيحة وتوضع على الورقة الامتحانية، ثم يؤشر بالقلم الأحمر على الأماكن الصحيحة، ثم ترفع ورقة المقوّى وتلاحظ أي الإشارات كانت فوق إشارة الطالب، وأيها خلاف ذلك، ومن أجل البحث وإعطاء الرأي نقوم بما يأتي:

ـ نحسب جميع النقاط التي كانت إشارة التلميذ عليها صحيحة.

ـ نعدّ جميع النقاط التي كان جواب الطالب فيها خطأ.

ـ نحسب كل النقاط التي لم يؤشر عليها.

ثم نكتب النتائج على الورقة، ونستخدم شكلاً معيناً لإعطاء الدرجات، سنذكره في ما بعد.

٣ ـ **التصحيح بالكاربون**: تكون عدد الأوراق الامتحانية في هذه الطريقة ثلاث أوراق هي: ورقة الامتحان، الكاربون، ورقة سفلى. وتربط هذه الأوراق الثلاث ولا يحق لأحد فتحها وتعتبر الورقة السفلى في الحقيقة ورقة المفتاح، فيقرأ الطالب الأسئلة ويضع العلامات، وبعد الامتحان، نفصل الورق السفلى حتى نرى صحة أو خطأ أجوبته، ونضع الدرجات على ذلك الأساس وهذا الأسلوب أفضل وأسهل من السابق، لكن تكلفته كثيرة.

٤ ـ **التصحيح بالجهاز**: تستخدم هنا أجهزة اي ـ بي ـ أم، عادة وهي

أجهزة تصحح الأوراق الامتحانية، بشرط استعمال قلم رصاص خاص، وتوضع العلامات وفق ضوابط معينة، فتكون نتيجة العمل سريعة ودقيقة، إلا أنها تستخدم للأعمال الكبيرة كالامتحانات الوزارية العامة، ثم إن كتابة البرنامج والعمل بها باهظ التكاليف.

تصحيح سائر الاختبارات: تصحيح امتحانات الأجوبة القصيرة، وامتحانات الإكمال، وفي بعض الأحيان الامتحانات بطريقة الصحيح والخطأ، عن طريق المطالعة، إذ أن تصحيحها عن طريق الجهاز أو المفتاح يتطلب حل مشاكل وصعوبات. وإمكانية التصحيح بالكاربون أكثر.

الفصل الحادي والأربعون

التقـيـيـم التربوي

من الأمور المؤسفة في العمل التربوي، هو تقدم التعليم الذي هو بمثابة مقدمة لبناء الناس، على التربية التي أصبحت بالدرجة الثانية من حيث الأهمية، حتى أن التعليم قد احتل معظم وقت المعلم وعمر التلميذ.

ولو دققنا في مسألة الامتحانات، لوجدنا أن كل هم وسعي المعلم والطالب ينصب على الامتحانات التي تجري حول الدروس والمعلومات، ومعرفة مدى تقدم أو تأخر الطالب، دراسياً، أما ما له صلة بمعرفة الجوانب الأخلاقية والإيمانية والشرف والشجاعة والصدق والإخلاص فلا يجري فيه اختبار، أو أن الطريقة المستخدمة في ذلك، طريقة غير دقيقة.

إن الخريجين من مدارسنا، اَمتحنوا في مواضيع معينة ومعلومات تعلموها في المدارس، أما ما يتعلق بحسن الخلق والفكر والجوانب الإيمانية والعقائدية وحسن السلوك والأمانة فلم يُختبروا فيها، ولا تتضمن شهاداتهم الدراسية شيئاً في هذا المجال، بينما إن قيمة وقدر الإنسان له صلة بلياقته ونشاطه العملي في مسألة تقبل المسؤولية وممارسة هذه الأمور، لهذا من الضروري تقييم النواحي ذات العلاقة بتنمية الفكر، والنفس، الأخلاق والدين.

مجالات الامتحان:

تشمل أرضية التقييم في هذا الأمر جميع المسائل المتعلقة بأبعاد الحياة الفردية والاجتماعية والنواحي ذات الصلة بالإيمان والأخلاق والمواقف الفردية ازاء الواقعيات والقضايا.

وعن طريق الامتحان يجب تحديد هوية الفرد، هل هو فرد هادف، أم انه يلحظ الظروف والأوضاع الراهنة؟ هادىء أم مضطرب؟ مطيع أم متمرد؟ من أهل الخير أم من أهل الشر والفساد؟ شجاع أم جبان؟ وكيف وضعه في مسألة التقوى والأمانة؟ وما هو الرأي المطروح حول حسن نيته؟ وهل لديه أهلية ولياقة لازمة لتسلم عمل ومسؤولية؟ كيف يتعامل مع الفقر؟ ما هو موقفه تجاه الصعوبات والمصائب؟

كيفية العمل:

ينبغي عند تقييم الفرد، أن يتعرض إلى تقلبات الحياة في ظروف وحالات متنوعة، لأن ماهية الأفراد تتضح عند التغييرات. فيجب تعريضه للخوف، الجوع، العطش، الصعوبات والمشاكل ليتبين على ضوء ذلك نوعية الفرد، وينبغي إجراء الاختبار في حالة الرخاء تارة، وفي حالة الاستبداد والحرمان، تارة أخرى، فهناك بعض الأفراد يفقدون السيطرة على أنفسهم حين يرون الموائد الدسمة، وهناك بعض آخر يتألم من الموائد الخالية، واختبار القدرة، يبين جوهر الأشخاص بصورة جيدة.

ومن الضروري إلقائه في المصاعب كي تظهر روحيته، وتمريره في مواقف الشك والترديد حتى تتضح استقامته أو اهتزازه، وضروري هنا البدء من المسائل السهلة إلى الصعبة من أجل أن لا يفشل من البداية. وكذلك لتبيين النقطة النهائية للأمر. وثمة أفراد ينعزلون، لأنهم يخافون ظهور عملهم وفقدان اعتبارهم، فيحبون إخفاء نقصهم. ولهذا يتأطرون في مكان ما.

وليس هناك وقت وزمان محدد للاختبار التربوي، وحتى أن من غير اللازم أن يعلم الفرد بأنه عرضة للامتحان، وهذا الأمر نتعرض له من قبل الله، فنحن عرضة للامتحان دائماً، من دون أن يكون هناك وقت وزمن رسمي لذلك.

طريقة الاختبار:

هناك طرق عديدة لتقييم الأبعاد الوجودية للإنسان، أهمها:

أ ـ طريقة المشاهدة: حيث تُدرس الأمور على أساس استخدام

الحواس، وخاصة البصر، فنراقب وندرس شخص ما من خلال ذلك، ونقيّم حالاته وسلوكه الشخصي.

- يكون الشخص المشاهد، واعياً، متبحراً، ودقيقاً في التقييم.
- يُختبر الأشخاص أو الشخص في ظروف طبيعية أو مفتعلة.
- كيفية المشاهدة قد تكون داخلية أو خارجية بشكل مباشر أو غير مباشر، منظم أو غير منظم، فعال أو منفعل.
- بالإمكان دراسة نتائج المشاهدة بطريقة التسجيل والتصوير.

أنواع المشاهدة:

المشاهدة السطحية: حيث يُركز فيها على الصفات الظاهرية للسلوك والكلام.

المشاهدة العميقة: ويُركز فيها على معرفة الباطن وعمق الأمور.

المشاهدة الداخلية: ويتم خلالها التفات الفرد واختباره لنفسه وكتابة حاله.

المشاهدة الخارجية: وذلك عن طريق دراسة شخص لشخص آخر والتعمق فيه.

المشاهدة المباشرة: وفيها يكون المشاهِد والمشاهَد على علم بالموضوع.

المشاهدة غير المباشرة: والتي لا يعلم فيها المشاهَد بالأمر.

المشاهدة في الحالة الطبيعية: حيث يتم اختبار الشخص حين يكون منشغلاً بعمل وسلوك طبيعي.

المشاهدة في الحالة غير الطبيعية: وفيها يتصف وضع الفرد بأنه غير عادي ولاطبيعي وقد يُفتعل له وضع معين ويختبر على ضوئه.

محاسن وقيود المشاهدة:

تعتبر المشاهدة وسيلة جيدة لتقييم الحالات والسلوك والظرف

والعمل، إلا أن ضعفها يتمثل في أن القيام بها يستلزم صرف وقت كثير، وتكاليف كثيرة وتوفر دقة وذكاء مستمر وتبيان كيفية الاستنتاج والتفسير، ولا تستحصل نتيجة كاملة، في كل الأحوال.

ولرفع هذا الضعف، من الضروري أن تتوفر لدى الشخص المشاهِد معلومات كافية عن علم النفس وطرق الامتحان، وكفاءة في معرفة حالات وروحية الأشخاص، وأن تكون دقته وصبره بمستوى مقبول، وحكمه وإصداره للرأي مدروساً.

ب ـ **أسلوب المقابلة**: المقابلة هي لقاء مباشر وموزون، يستخدم من أجل التعرف على الخصائص السلوكية، ومواضيع المعلومات وكيفية بيان أمر من الأمور وقوة البيان وسرعة الانتقال وقوة إدراك المفاهيم، ونمط التعامل ونوع الأفكار والطموحات والأمنيات والمواقف.

والمقابلة هي فن، يجب أن يُلحظ فيه حسن الاستماع، حسن السؤال، وجود أهداف للأسئلة، السيطرة على الأسئلة، ملاحظة الوضع الحالي والسلوك، تدوين النتائج.

ج ـ **الأسلوب التجريبي**: يُعرّض الإنسان في هذا الأسلوب إلى ظروف متنوعة واختبارات عديدة، حتى تظهر ماهيته ومقاومته ومواقفه ومدى صبره وتحمله. فيُختبر الأشخاص الذين يدّعون الشجاعة وذلك في ظروف مخيفة ومرعبة، ويوضع الأفراد المدّعين للأمانة في ظرف فيه شبه خيانة وغش ويمُتحن من يزعم بوجود قابلية فنية ومهارة لديه، بطرق أخرى، فتتحدد بهذا الأسلوب طاقة الفرد وإمكانيته وخصائصه السلوكية ومواقفه، بشرط أن يتصف الشخص المُختبر بالوعي والتبحر والسيطرة على نفسه والمعرفة بالعوامل الفكرية المختلفة، وكذلك معرفة أهداف وأغراض الامتحان والقدرة على التفسير.

د ـ **ورقة الأسئلة**: تستعمل ورقة الأسئلة لكسب معلومات موثوقة عن الفرد ونمط تفكِره وذوقه ورغبته وتوجهاته و. . .

وعن طريق بعض هذه الأوراق تُقيّم ناحية واحدة من الحالات والرغبات، وهناك أوراق أخرى تُقيّم بها عدة نواح، وبعض أوراق الأسئلة

تستخدم في تقييم المعلومات، وأخرى في تقييم المواقف وحالات الإنسان ورغباته واضطراباته وذكائه، وسائر النواحي.

تقييم أبعاد الشخصية:

تستهدف الامتحانات ذات العلاقة بالتربية، تقييم أبعاد شخصية الإنسان، والمقصود من الشخصية سلوك الشخص وردود فعله، ونفسه وجسمه، والتي بمجموعها يتبين جوهر الفرد، وتتضمن دراسة البحوث المتعلقة بالشخصية في الحقيقة، دراسة العادات، الميول، الخصائص العقلانية، السلوك، اللياقة، القابليات، نمط التفكير، الذاكرة، الدقة، الأمانة، الشجاعة والجرأة و. . . تطرح فيها العناصر البناءة في شخصية الإنسان والتي هي:

١ ـ طينة الإنسان، التي لها أساس بيولوجيكي، معنوي، فطري وغريزي.

٢ ـ الصفات الأخلاقية، التي تبين الجوانب الاجتماعية للشخصية.

٣ ـ الخصائص الفردية للإنسان كالحساسية، الإدراك، الدقة، الذكاء والابتكار.

٤ ـ ونواحي العقيدة التي تضم ما يتعلمه الشخص من البيت والمدرسة و. . .

ويجري التركيز في هذا التقييم على بحث ودراسة ناحيتين، هما:

١ ـ قابلية الإنسان.

٢ ـ الأمور المتغيرة، وتشمل الخُلق والآراء والرغبات والاعتماد على النفس و. . . أي دراسة الصفات والخصال الحسنة والقبيحة.

الحصول على المعلومات:

ثمة طرق أخرى لتقييم شخصية الإنسان غير طريقة ورقة الأسئلة والمشاهدة والمقابلة والاختبار، أهمها:

أ ـ مطالعة خلفيات حياة الفرد: وهناك ثلاثة طرق لذلك:

١ ـ دراسة التاريخ الشخصي للأفراد، وتتضمن أعماله، مواقفه وخطواته طيلة فترة حياته.

٢ ـ دراسة المواقف والمذكرات: باعتبار أن ما يكتبه كل شخص، هو في الحقيقة تعبير عن نمط فكره وروحيته.

٣ ـ اخبار الآخرين: وذلك باستحصال معلومات من الأفراد الموثوقين، والذين لهم علاقة مع ذلك الشخص.

ب ـ من خلال دراسة الوضع الحالي لفرد: وهناك طرق متنوعة في هذا المجال، وكذلك يمكن استخدام طريقة أوراق الأسئلة، وأوراق الأسئلة التي تقيّم أذواق والتزامات الأشخاص، والأوراق التي توضح مستوى السيطرة والتبعية عند الأفراد.

ونتمكن عن طريق أوراق الأسئلة المختلفة، التعرف على بعض الجوانب مثل: الامتناع، حب التفوق والاثبات العاطفي، العملية، الرؤية الواقعية، الرغبة بنوع من النشاطات، العلاقة مع الغير، الانسجامات، عادات الفرد، أفكاره الخيالية، وحتى الأمراض النفسية لدى الأفراد.

إن دراسة الفرد من حيث ترتيب الشخصية على أساس: البدن، النفس، المزاج، الجانب الاجتماعي، يمكن أن تقدم عن الفرد معلومات لطيفة نسبياً، وما هي قابلياته، وما هي النواحي التي يُركز عليها بشأن دراسته.

تقييم السلوك:

أهم أنواع التقييم، هو التقييم الذي يتصف بالاستمرار والمستحصل طيلة حياته، سواء في البيت أو المدرسة. وبعبارة أخرى يجري اختبار مستمر للطفل وكل يوم وتُحفظ حصيلة الاختبار الذي يجري كل يوم، في مكان معين.

وينفذ الجانب العملي في المدارس باستخدام ورقة مجدولة، كما في النموذج التالي، ويثبت فيها سلوك وحالات الطفل، وهذه الأمور إذا دونت في المدرسة، يمكن من خلال مطالعتها فهم حاله، وكيف يجب التعامل معه.

شكل بياني لأخلاق وسلوك الطالب....

التاريخ	الشرح	الاجراء
٣/٧/١٣٦١	أخذ قطعة خبز من يد طفل في ساحة المدرسة	نبه بأن لا يكرر ذلك
٩/٧/١٣٦١	اشتكى البقال القريب من المدرسة عليه	تم تحذيره
٣١/٧/١٣٦١	ارتكب غشاً في امتحان الإملاء	تم تحذيره من تكرار ذلك
٢٩/٧/١٣٦١	ارتكب غشاً في امتحان الإملاء	تم تحذيره من تكرار ذلك

الفصل الثاني والأربعون

درجات الامتحان ودراسة لنتائجها

الدرجة هي حصيلة وخلاصة نتيجة الامتحان، وتقدم بصورة كمية أو كيفية، مع لحاظ معايير معينة. والمقصود من الدرجة الكمية، الدرجة التي تُبين بصورة عدد مثل درجة ١٥ من ٢٠، أما الدرجة الكيفية فتذكر على شكل جيد، متوسط، جيد جداً و. . . .، ومعيارها درجة ممتاز.

وعن طريق الدرجة يمكن الحكم على مستوى الطالب. كما أن الدرجة، معيار لنجاح التلميذ أو رسوبه.

نقاط ضعف الدرجات:

إن الدرجات التي تعتبر وسيلة لتقييم الأفراد، تتميز ببعض نقاط الضعف، وفي ما يلي إشارة إلى عدة أمثلة.

١ ـ إن الدرجات الموجودة لا تظهر الاختلافات، وهذه خمسة أمثلة على ذلك في درس الإملاء.

ـ التلميذ الذي يرتكب ٢٠ خطأ في امتحان الإملاء.

ـ تلميذ آخر لديه ٣٠ خطأ في نفس الامتحان.

ـ طالب آخر لديه ٤٠ خطأ في نفس الامتحان.

ـ تلميذ آخر لا يمكن تصحيح ورقته من كثرة الأخطاء.

ـ تلميذ خامس لم يكتب حتى كلمة واحدة وسلم الورقة بيضاء.

لا شك أن جميع هؤلاء الطلاب تكون درجتهم صفراً (إذا كان الحد

الأقصى هو درجة ٢٠) لكن هناك تباين كبير بينهم، لم تتمكن هذه الدرجة توضيحه.

٢ ـ لا تعطى الدرجات بشكل عادل في جميع الدروس، فالطالب الذي تكون أخطائه الإملائية ٢٠ خطأ من أصل ١٠٠ كلمة، يُعطى درجة صفر مع أنه كتب ٨٠ كلمة صحيحة، بينما لو كتب في درس الرياضيات ٢٠ حلاً خطأ و٨٠ حلاً صحيحاً، يحصل على درجة ١٦ (من ٢٠) وهي درجة ممتازة.

٣ ـ لا تبين الدرجات المقاييس في الصف، فدرجة ١٤ تعتبر درجة متوسطة، لكنها لو قورنت مع درجات سائر التلاميذ وأسئلة الامتحان الصعبة، لكان من المحتمل أن تكون أفضل درجة.

٤ ـ إن الدرجات لا تقدر على تشخيص التباين بشكل كامل، فمثلاً لو حصل ٥ طلاب في الصف على درجة ٢٠، فإنه يبدو وكأنهم متساوين في المستوى، في حين لو كان الامتحان أكثر صعوبة لظهر التفاوت بينهم.

٥ ـ لا يتفق جميع المعلمين في مسألة المعيار، فقد لا تساوي درجة ١٥ لطالب في هذه المدرسة درجة ١٥ لطالب في نفس المرحلة الدراسية، ولكن في مدرسة أخرى.

٦ ـ أساس الدرجات موضوع بالشكل الذي يوقع الطالب في خطأ. فالتلميذ الذي يحصل على درجة ١٥ في الإملاء من أصل ٢٠ يعتبر تلميذاً جيداً، بينما الطالب الذي يحصل على درجة ٩٥ من أصل ١٠٠ يعتبر طالباً جيداً جداً مع أن مقدار أخطاء الطالبين، واحد في الحالتين.

الهدف من الدرجة:

يجب أن توضح الدرجة ما يلي:

- تبين وضع التلميذ في الصف.
- توضح هل كان الاختبار سهلاً أم صعباً.
- تبين درجة تقدمه أو تأخره.

ـ تحدد وضع البرنامج وتناسبه مع مرحلة معينة.

ـ تُظهر الاختلافات في المستويات.

ـ تكون ترخيصاً لصعود الطالب.

ـ استخدام إرشادنا وتخطيطنا لعمل المعلم والطالب.

أساس الدرجة:

إن اعتبار درجة٢٠ من ١٠٠ أساساً لإعطاء الدرجات، ناجم عن الاضطرار، حيث لا يمكن العمل بهذا المعيار في الصف الذي يضم ٤٠ طالباً أو الاجتماع الذي يضم عدة آلاف من الأشخاص. والأساس هو إظهار التباين بشكل كامل، وتشخيص درجات ضعف وقوة التلميذ ليتضح القرار الذي ينبغي اتخاذه بشأنه. وإذا كان بالإمكان تعيين درجات بعدد الأفراد الموجودين في مكان دراسي، فيجب القيام بذلك.

كما يجب أن يتضح من خلال الدرجة مستوى نجاح أو ركود الطالب في فرع دراسي معين، ويستفاد منها في ما بعد في مسألة دخول الفرد إلى العمل.

ويجب إعطاء الدرجات في التربية والتعليم كلاهما وفي نفس الوقت الذي يتم تحديد مستواه ودرجته في العلوم، الأدب وغيرها، يُبين أيضاً وضعه من الناحية الأخلاقية، الإيمانية، مراعاته للآداب والعادات الصحيحة، التبعية، الجرأة والشهامة والأمانة والصدق والطهارة والإخلاص وغيرها.

المقارنة: من أساليب التقييم وإعطاء الدرجات، معرفة مستوى تقدم أو تأخر الشخص، مقارنة بأشخاص آخرين يماثلونه في العمر، ومن الضروري لهذا العمل اختبار آلاف الأفراد المشابهين له من حيث العمر، كمعيار للتقييم، فتحدد قابلية الطفل من حيث العلم، الأخلاق، الوعي، قوة البيان، الشجاعة وغيرها. وبديهي أن تحقيق هذا الهدف على مستوى واسع، أمر صعب، خاصة وأن المعايير المستخدمة هنا تتغير كل عام.

المقارنة مع طلاب الصف: يُقيّم في هذا النوع من الاختبار المستوى الوسط للطالب في أحد الصفوف. فيحدد المستوى العلمي المطلوب في درس الرياضيات للصف الخامس الابتدائي، مثلاً، ثم يتم تقييم الطالب وفق

تلك المعايير، فنقول مثلاً أن مستوى هذ التلميذ الذي يدرس في الصف الخامس الابتدائي يعادل مستوى طالب في الصف الرابع. هذا في درس الرياضيات، أما في درس الأدب، مثلاً، فهو بمستوى طالب في الشهر الثاني الدراسي من الصف الخامس، وفي العلوم الاجتماعية يعادل تلميذاً في الشهر الدراسي السادس من الصف الرابع..

وهكذا الحال في القضايا ذات العلاقة بالأخلاق والجرأة والمقاومة والنشاط والتعاون وغيرها. وفي مسألة تحديد المعيار يُراعى ما تم ذكره سابقاً، أي يحدد المستوى المتوسط بعد اختبار آلاف الأشخاص في موضوع معين.

إعطاء الدرجات:

هناك تخصيص للدرجات الموزعة على الأسئلة، فإذا كان عدد الأسئلة ستة لكل موضوع، فعلينا أن نعين لكل سؤال درجة تتناسب وأهميته وسعته، فلو فرضنا أن عدد الدرجات المخصصة للسؤال، أربع درجات، فيجب تشخيص عدد نكات السؤال، وإعطاء الدرجة وفقاً لكل نكتة، فإذا كان الجواب الصحيح لذلك السؤال، يتضمن ٨ نكات، فإن الدرجة المعطاة لكل منها هي ٠,٥ درجة، وعلى هذا يعطى الطالب الذي يجيب على ٦ نكات، ٣ درجات، ومن خلال جمع الدرجات تتضح الدرجة الحقيقية للتلميذ.

وفي الامتحانات العينية (الصحيح والخطأ، الاختيار)، يستخدم نموذج معين للحيلولة دون الحدس والظن والتأثير غير الدقيق، ولتوضيح ذلك نقول ان الاختبار بطريقة الصح والخطأ، تتضمن عادة مناصفة بين أجوبة (ص) و (غ)، وتُنظم الأسئلة عادة بالشكل الذي لا يكون متسلسلاً، أي أن لا يعقب كل (ص) و (غ). ولكن لو أن الطالب وضع حرف (ص) أمام جميع الأسئلة، فيحصل هنا على نصف الدرجات المخصصة لهذا السؤال، وهناك نموذج يرفع هذا الضعف، بالشكل التالي:

N = الدرجة الحقيقية للطالب.

R = عدد الأجوبة الصحيحة.

$$N = R - \frac{W}{r}$$

r = عدد الاختيار وهو ٢ في أسئلة الصحيح و ٤ في السؤال الذي يتضمن أربع اختيارات.

W = عدد الأجوبة غير الصحيحة.

وقبل إستخدام هذا النموذج يحذف عدد الأسئلة التي لم يُجب عليها.

قيمة نتائج الاختبار:

ثمة عوامل عديدة ترتبط بها قيمة النتائج، وأهمها:

- الإعداد الجيد لطرح الامتحان والسؤال.
- شمولية الامتحان لجميع أنواع الأسئلة وجميع أشكال الامتحان.
- عدد الأسئلة، ومن الأفضل أن تكون كثيرة ومن مختلف أقسام الكتاب.
- لا يكتفى بالامتحانات التي تجري مرة كل ثلاثة شهور، أو مرة كل شهر.
- التصحيح الجيد والدقيق.
- إعطاء التلميذ، الدرجة التي يستحقها.

العوامل المؤثرة في ضعف النتائج:

هناك عوامل كثيرة تتدخل في نتائج الامتحان وتشكك في قيمته، وفي ما يأتي نطرح بعضها، والذي له يفيد في انتباه المعلمين واشرافهم:

١ ـ **العوامل ذات الصلة بالطالب**: والتي تشمل تشتت الحواس في قاعة الامتحان، الحالات العامة للطالب من جوع وعطش ومرض، نقص وسائل العمل حين الامتحان، الخوف من الامتحان، الغش في الامتحان و . . .

٢ ـ **العوامل المتعلقة بالمشرفين**: وتشمل، عدم الإرشاد الصحيح، تخويف التلاميذ من الامتحان، عدم الإعلان المناسب للوقت و . . .

٣ ـ **العوامل ذات الصلة بوسائل وطرق التقييم**: كأن يقيّم الامتحان جانب الحفظ لدى الطالب، أو يكون شفوياً فقط ويثير حياء الطفل أمام الآخرين.

٤ ـ **العوامل ذات الصلة بمكان الامتحان**: كالبرودة، الحرارة، الضوء غير المناسب، الضجيج و . . .

٥ ـ **العوامل المتعلقة بالتصحيح والمصحح**: كتدخل الذوق الشخصي

في التصحيح، والأنانيات والصورة الذهنية المنطبعة في الذهن تجاه التلميذ والجانب العاطفي وحالة الانتقام و. . .

٦ ـ **العوامل الواردة من خارج الوسط التعليمي**: كالتوصيات، وتوبيخات وتقديرات الجهات العليا، والتي تؤثر في إعطاء الدرجات. وغير ذلك.

طرق الدراسة:

تستعمل طرق مختلفة في دراسة نتائج الامتحانات، أهمها:

ـ دراسة الاختلاف بين أعلى درجة وأقل درجة في الصف وملاحظة وضع الطالب.

ـ دراسة مستوى درجات الفرد.

ـ دراسة الطالب من ناحية النقاط المئوية كي تتبين نسبته المئوية ضمن الطلاب الممتازين أو الكسالى.

ـ الدراسة عن طريق هيكل عمودي، فيرسم الخط البياني للدرجات وتوضح النقطة التي وصلها التلميذ.

ـ دراسة وضع الطالب من خلال استخراج معدل درجاته في درس من الدروس.

ـ ودراسات أخرى كملاحظة الدرجة المتوسطة، النموذج السني، النموذج الصفي و. . .

مجالات الدراسة:

تجري الدراسات الامتحانية على نواح وأصعدة متنوعة، وفي ما يلي إشارة إلى بعضها:

١ ـ **على صعيد السؤال**: ليظهر عدد الطلاب الذين أجابوا بشكل كامل على حد الأسئلة، وكم عدد الطلاب الذين كان جوابهم ناقصاً؟ وما عدد الأفراد الذين لم يجيبوا بصورة صحيحة؟ وفي أي الأسئلة، كان استنباطهم خطأً؟ و. . .

٢ ـ **على صعيد الطالب**: لتحديد الطالب القوي والضعيف والمتوسط.

٣ ـ **على صعيد المعلم**: لمعرفة هل كان موفقاً في التدريس أم لا؟

وهل كانت طريقته في التدريس جيدة أم ناقصة؟ وهل لديه قدرة على إفهام المسائل أم لا؟ وغير ذلك.

٤ ـ **دراسة البرنامج**: ليتضح هل ان المضمون التعليمي المطبق، كان مناسباً لهذه المرحلة من العمر أم لا؟

٥ ـ **دراسة الهدف**: يجب أن يتبين، هل بالإمكان الوصول إلى الهدف المرسوم، وإلى أي حد؟

٦ ـ **أصعدة أخرى**: مثل قوة البيان، قوة الكتابة، قوة التمثيل و. . .

نكات مهمة:

ينبغي الالتفات حين الدراسات وإعلان النتائج، إلى جملة من المسائل، أهمها:

١ ـ يتطلب التحليل والدراسة، معرفة بالمسائل التربوية وإدراكاً للمناهج الدراسية.

٢ ـ إن الخروج بنتيجة والحكم على مستوى الطالب من حيث تقدمه أو تأخره، هو أمر صعب، حيث لا يمكن اعتبار الدرجات معياراً لوحدها، بل يجب أيضاً ملاحظة بعض النواحي، كالغش وتشتت الذهن و. . .

٣ ـ ينبغي الانتباه عند دراسة النتائج، لئلا تنفذ عوامل من داخل وخارج الإطار التعليمي.

٤ ـ إن اتهام تلميذ واحد حصل على درجة صفر بالغباء، قد يكون صحيحاً، ولكن لا يمكن التصديق بأن ٢٠ طالباً في الصف من أصل ٤٠ طالباً هم أغبياء، وفي هذه الحالات، من الضروري أن يشكك المعلم بطريقته في التدريس وبالأسئلة الامتحانية التي يطرحها.

٥ ـ وأخيراً، يجب مراعاة الاحتياط عند الحكم على النتائج، لأن لها علاقة بكرامة الطالب ومصيره.

القسم الثاني عشر

المؤسسة والتنفيذ

نتحدث في هذا القسم عن مؤسسة التعليم والتشكيلات والقضايا التنفيذية في العمل التربوي وفي هذا الموضوع ينبغي التكلم حول الميزانية ومصروفات الأجهزة التنفيذية.

وسنتناول في أحد فصول هذا البحث، النظام التنفيذي للتربية والتعليم، ونبحث في أنواع أنظمة الإدارة، كالنظام المركزي، النظام الوسطي، ونذكر فوائدها ومساوئها، ونتطرق إلى الجانب الإقليمي للتربية والتعليم.

وفي فصل آخر نستعرض مؤسسة وتشكيلات التربية ونبحث في المنظمات التابعة والشروط التي يراد توفرها لدى المسؤولين ودور الشعب في هذا الصدد، ثم نطرح بعض المسائل حول العلاقة بين التشكيلات والمجتمع والاستفادة من تجارب الغير لتحسين الوضع الموجود.

ونبحث أخيراً في فصل آخر، ما يتعلق بنفقات التربية وأهمية ذلك، ومصادر استحصال الأموال وتوزيعها، ونتكلم عن أنواع النتائج المادية والمعنوية لذلك. مع التأكيد على طرح المسائل هنا بصورة ملخصة.

الفصل الثالث والأربعون

النظام التنفيذي

لكل بلد ومجتمع نظام تربوي معين، قد يكون مستورداً أو مبتكراً، وعلى ضوء ذلك النظام يمكن الحكم على التربية وحصيلتها. فتوصف بأنها وطنية أو استعمارية، مفيدة أو ضارة.

ولكن ما هو النظام؟ النظام هو مجموعة من المواد والقواعد المستقلة التي تلحظ في تلك التشكيلات والمؤسسات لتطبيق مشروع معين وتحقيق هدف مرسوم. ولا شك أن هذا النظام لا يمكن أن يكون في معزل عن المجتمع ومسائله وأبعاده الثقافية.

وتمتزج الأنظمة هذه سواء أكانت مستوردة أو لا، بثقافة الشعب ودينه، وبعد فترة تتبلور بالشكل الذي يختلف كثيراً مع أصله، وبعد مضي مدة تصبح أمراً عادياً وطبيعياً، بحيث ان تغييره يتطلب قيام ثورة شاملة.

أنواع الأنظمة:

تقسم الأنظمة التربوية إلى مركزية وغير مركزية، قديمة وصناعية، استعمارية ووطنية وغير ذلك. وفي هذا البحث نتطرق إلى دراستها من زاوية المركزية وغير المركزيّة.

النظام المركزي: يكوم مركز معين أو عدة أشخاص مسؤولين بالتخطيط لهذا النظام وإدارة الأمور واتخاذ القرارات وإصدار الأوامر والنواهي، واتخاذ الإجراءات والإشراف، فهم يتخذون القرارات اللازمة ويصدرون الأوامر إلى المنفذين في مناطق البلد المختلفة بتنفيذ ذلك.

ويستخدم هذا النظام في نقاط مختلفة من العالم بدرجات متفاوتة، والشكل الكامل له مطبق في فرنسا بحيث تطبق خطة واحدة خلال فترة السنة الدراسية وفي كورسات معينة.

والدرجة الضعيفة لتلك المركزية في التعليم مطبقة في بعض الدول ومنها إيران، حيث تعطى صلاحيات كثيرة إلى حد ما إلى المسؤولين في المناطق الإقليمية.

أما النظام غير المركزي، فتتخذ القرارات في المحافظات والمناطق، وتنفذ هناك. وقد يتنوع هذا الأمر إلى درجة بحيث نلاحظ وجود نظامين متباينين تماماً في ولايتين متجاورتين.

وللنظام المركزي محاسن ومساوىء وقيود، نشير إليها باختصار في ما يلي:

فوائد وميزات النظام المركزي

يعتبر هذا النظام مفيداً جداً للدول التي تحتاج إلى وحدة وطنية، حيث يطبق نظام ومسير واحد وترسم أهداف واحدة وواضحة. كما أنه مفيد ومؤثر جداً للمجتمعات التي تكثر فيها نسبة الأمية ولا يعرف الناس فيها حتى حقوقهم وواجباتهم.

ويشرف المدراء والمأمورون على العمل بحزم، لأنهم ليسوا من أهل المنطقة، ويشجعون العاملين، ويعاقبون المسيئين، كما أن الإمكانات التعليمية وأدوات العمل، تهيأ بشكل معين وقيمة أقل، وتوضع تحت تصرف المؤسسات.

وفرص العمل متساوية للجميع، ويتساوى أبناء المنطقة في تقييم مستويات تقدمهم أو تأخرهم، وينتفع جميع الطلاب بدرجة مماثلة بالخدمة التعليمية، ويقدم نتاج فكر الخبراء لجميع الأفراد، بصورة واحدة. وتواصل المدن ذات الإمكانية القليلة في الظاهر، العمل مع المركز، في ظروف واحدة وإمكانات متشابهة.

مساوىء ونقاط ضعف النظام المركزي:

ومع هذا فهناك مساوىء وضعف في هذا النظام، نذكر في ما يلي بعضها:

- يتراكم العمل في المركز ويعدم في سائر المناطق.

- يصبح الناس بهذه الطريقة مثل أداة بيد الدولة ولا يمكنهم الخروج عن سلطتها.

- تقل إمكانية الاستفادة من القابليات والابتكارات خارج المركز.

- لا يشعر كل الأفراد في أنحاء البلد، بالمسؤولية ازاء الوضع الموجود والتربية.

- ينحصر الكادر التربوي اللائق في المركز.

- يتميز حكم وتقييم المسؤولين الموفدين من المركز لدراسة شؤون المناطق، بأنه غير عادل، بسبب عدم معرفته واطلاعهم على المنطقة.

- لا يتمكن الجهاز المركزي من السيطرة الشاملة على أقصى نقاط الدولة.

- تنتزع من أبناء سائر المناطق، الجرأة على العمل والنشاط.

- قد تقع أحياناً بعض العراقيل والتخريب بهدف إضعاف المسؤولين في المركز.

- لا يُعتنى بحاجات الأقاليم ولا يجري اهتمام بالكفاءة المحلية.

- يتأخر كثيراً وصول التعليمات من المركز.

- تقل إمكانية تنمية المدارس وإمكانية التقدم.

- تضعف حرمة الاستقلال والقوة المحلية.

٢ - النظام اللامركزي: الأساس في هذا النظام، هو تفويض أمور كل إقليم ومنطقة إلى أهل تلك المنطقة ويستفاد من الإمكانات المتوفرة هناك لإصلاح الأمور، ويحدد أهل الإقليم أو المنطقة المسارات والخطط

بملاحظة ظروف المنطقة، ويؤمّنون أيضاً نفقات إدارة التربية والتعليم.

ويعتقد أصحاب هذه الفكرة أن بالإمكان القيام بأعمال كبيرة بأناس قليلين، كما أنه يجب ترك مصير كل قوم بأيديهم، ولهذا النظام فوائد ومحاسن، وكذلك نواقص وضعف، نشير في ما يأتي إلى بعضها:

فوائد ومزايا النظام المركزي:

- يتميز هذا النظام بالمرونة، فهو ينطبق مع ظروف وإمكانات كل منطقة.

- بالإمكان الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من الإمكانات والقدرات الموجودة في المنطقة.

- تنمو التجارب التربوية هناك، ويستطيع الناس بالتدريج، بلوغ مرحلة الاكتفاء الذاتي.

- يستفاد كثيراً من الابتكارات المحلية ومن الأفكار الجديدة.

- يشرف الناس هناك على المدراء، فيحول هذا الأمر دون الاستئثار.

- تتوفر إمكانية كثيرة للتخطيط والعمل، إذ لا داعي لأخذ ترخيص من المركز.

- تتميز التربية والتعليم في هذا النظام أنها أكثر شعبية.

- تتوفر حرية لأهل الإقليم في إدارة شؤونهم، وباستطاعتهم التدخل في مصير أبنائهم، يساهمون في تنظيم الخطط.

- ليس هناك قلق من وقوع تخريب وعرقلة وعدم تحمل.

- وبإمكان الجميع ممارسة الرقابة.

مساوىء النظام اللامركزي:

- تتميز الخطط بالمحدودية ضمن الإقليم أو المنطقة، ولا يتحقق بالنتيجة تجانس بين أنظمة المناطق.

- لا توافق سائر المناطق على تطبيق نظام تعليمي تابع لإحدى

المناطق، فتصبح الشهادات المدرسية والوثائق الدراسية قابلة للتغيير ويصير النظام بالشكل الذي لا تؤمّن في ظله الوحدة السياسية والوطنية للمجتمع.

ـ من الصعب أن يعمل الموظفون بطريقة محايدة، لوجود النزعة المحلية.

ـ يقل وجود الخبراء وأهل الرأي في المناطق، وقد لا يراعى الاستقلال في التخطيط.

ـ يختلف مستوى خطط ومناهج التربية من منطقة إلى أخرى.

ـ لا تتوفر إمكانية لتهيئة كل الوسائل والإمكانات اللازمة للعمل التربوي.

ـ النظام هذا بمجمله باهظ التكاليف، باعتبار أن لكل منطقة مؤسسة وتشكيلات كاملة.

ـ لا يمكن بهذا النظام، التخطيط لتنمية وتقدم البلد من كل الجوانب، على المدى البعيد.

٣ ـ **النظام الوسطي**: من وجهة نظرنا أنه ليست هناك أية مؤسسة أو نظام بإمكانه أن يكون مركزياً أو لا مركزياً مئة بالمئة.

فمن أجل بناء سياسة وطنية ومستقلة، وإمكانية اتخاذ القرارات الصحيحة والسريعة في الأمور وتوجيه البلد نحو التنمية والهدف المرسوم، ينبغي المزج بين هذين النظامين وتنفيذه.

وقد توصلت الدول التي كانت تدير أنظمتها التربوية وفقاً للنظام المركزي الخالص أو اللامركزي الخالص، من خلال التجارب، ان عليها إعادة النظر في عملها. ففي الولايات المتحدة مثلاً، والتي كانت قدوة في النظام اللامركزي، تم تقديم مساعدات إلى المناطق والولايات، والتدخل والإشراف على أعمالها، أما في فرنسا التي كانت نموذجاً للنظام المركزي فقط اضطر جهاز التربية والتعليم إلى إعطاء صلاحيات إلى مسؤولي المناطق، وهذا دليل على رغبة هذه الأنظمة في تبديل منهجها واتخاذ نظام وسطي.

كيفية الوسطية:

يمكن في هذا النظام العمل على مراعاة الناحية المركزية من جهة، واللامركزية من جهة أخرى، وذلك بتخصيص المسار العام والتوجيه التربوي، للجهاز المركزي، الذي يتولى إصدار التعليمات والنظارة العامة على حسن جريان الأمور ومراقبة انحرافات المنفذين. وفي نفس الوقت تعطى صلاحيات للمناطق ويستفاد من منفذين ومشرفين محليين، كما يستفاد من آراء الناس في تنظيم الوضع التربوي.

فإطاعة المركز يجب أن تكون موجودة ويُحافظ على حرمة الإشراف والأفكار، وفي نفس الحال يفتح المجال لاستنباطات مجالس الشورى المحلية ومقترحاتها ويمكن لجميع الأفراد المساهمة في الوضع التربوي لأبنائهم. مع الإبقاء على تبعيتهم للسياسة العامة للدولة.

وهذا النظام، يمكن اعتباره، أفضل نظام لإدارة دولة مترامية الأطراف مثل دولتنا التي تتميز بابتعاد المناطق وتنوع الظروف الجغرافية والثقافية والأوضاع الاقتصادية، ونقص الكادر الماهر والمتخصص في المحافظات. أما إدارة التربية والتعليم بالنظام المحلي الصرف، فإنها تؤدي إلى بعض العوارض.

تفويض الصلاحيات: على الجهاز المركزي للتربية والتعليم، الاستفادة من تعاون الأفراد الأكفاء والمجربين، لإبداء وجهات النظر، والانتفاع بأفكار وابتكارات الخبراء في الأقاليم لاستحصال الآراء المفيدة، وترسم خطط جيدة على أساس استطلاع الآراء والاستفادة من التجارب والإمكانات لمختلف المناطق، ويتولى الجهاز المركزي إرشادها وتوجيهها.

وفي نفس الوقت، يجب إعطاء صلاحيات لمسؤولي المحافظات والمناطق، كي ينفذوا أعمالهم وبرامجهم وفقاً للظروف والإمكانات المحلية. ويبدؤون الدراسة ويختمونها بملاحظة ظروف الماء والمناخ والجغرافية. والمهم في هذا النظام اختيار أفراد واعين ومسؤولين وملتزمين ومؤمنين ونشطين لا يحتاجون إلى التوجيه المركزي والاستفسار عن صغار الأمور ودقائقها، بالإضافة إلى أنهم صالحون من ناحية تزويدهم بميزانية للعمل.

إن إعطاء الصلاحية يؤدي إلى حرية أكثر المسؤولين في العمل، فيسيرون برغبة وعزم خاص. وبالإمكان في هذا النظام الاستفادة من المساعدات المحلية في كل منطقة، وتفرض ضرائب معينة على الإنتاج في تلك المناطق، لصالح التربية والتعليم، وتصرف هناك.

ومن طرق تفويض الصلاحيات في هذا النظام، تحويل الأمور الفنية والحرفية، والصحة والرياضة وأمور أخرى تربوية إلى الأجهزة التي تعمل في الإطار العام للجهاز المركزي، فتوضع أمور الحرف والأشغال تحت إشراف وزارة العمل والأمور الصحية بالتعاون مع وزارة الصحة، والرياضة مع مؤسسة التعبئة و. . . ويكون تنظيم السياسة العامة للتربية، في كل الأحوال. بعهدة وزارة التربية والتعليم.

الجانب الإقليمي للتربية:

ومن ناحية أخرى يجدر الإشارة إلى أن من غير الممكن رسم وتنفيذ خطة واحدة في جميع أنحاء بلد واسع متنوع من حيث الظروف الجغرافية، فينبغي ملاحظة أوضاع الشمال والجنوب، الغرب والشرق والمركز في بلد من البلدان، من النواحي الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية، ويجب تقسيم الدولة إلى مناطق وفقاً للنواحي المذكورة وتكون إدارة الشؤون التربوية على أساس الأوضاع المحلية للمنطقة.

وبالإمكان تهيئة كتب خاصة للمناطق المختلفة ودعوة العاملين في الحقل الثقافي إلى طرح آرائهم في هذا الصدد، وتضمينها مسألة لغة أهل المنطقة وآدابهم وتقاليدهم التي لا تتعارض ولا تتباين مع الخط العام للبلد، والدين والعقيدة.

ويزود المركز، الأقاليم بمساعدات لبناء المدارس وإدارة التربية والتعليم والتعيينات الإدارية، ولتحقيق هذا الهدف، يمكن تشكيل شورى من العلماء والعاملين في الحقل الثقافي وممثلي محلات البيع والكسبة وكل الذين قد يكون لهم تأثير في التربية، بشكل من الأشكال وممارسة العمل وبذل الجهود اللازمة. ولا شك أن الميزانية الأساسية للتربية تقدم من قبل الحكومة، أما دور الشعب فهو المساعدة في هذا المجال.

الفصل الرابع والأربعون

المؤسسة والتشكيلات

تنظر المجتمعات المتقدمة إلى مسألة تربية الجيل، على أنها من وظائف الحكومة. وفي إيران حيث تقع على الحكومة مسؤولية تربية وتعليم ما يقرب من عشرة ملايين تلميذ في المراحل الابتدائية والثانوية، وما ينتظره الآباء من الجهاز التربوي، لاتضحت أهمية الاعتناء بتفاصيل الأمور وظرافتها في هذا الموضوع.

إن بناء مؤسسة تعليمية وتشكيلات تقوم بالعمل التربوي، هو أمر لا بد لأنظمة الحكم من إنجازه. ويجب تجهيز هذه التشكيلات وتنظيم الجهاز التربوي وفقاً لسلسلة المراتب وبصورة دقيقة.

ويفيد وجود هذه التشكيلات في تسهيل العمل ذلك، ويجعل تنفيذه متطابقاً مع المسير العادي والطبيعي. وتُحدد وظائف ومسؤولية أعضاء المنظمة، ويوضع كل منهم في مكانه ويأخذ عملها شكل حركة آلية، كما يتولى كل جهاز أداء جزء من الوظائف، ويشخص للمراجعين المراكز التي عليهم مراجعتها.

بساطة التشكيلات:

تتميز التشكيلات والمؤسسات الإدارية في الدول بالتعقيد والتداخل، إلى درجة أن كثيراً من الموظفين لا يتمكنون من استيعابها، حتى أنهم يعتقدون بعدم الضرورة لبعض المؤسسات أو يجهلون وظائفها، وذلك نتيجة الإفراط فيها ووجود حالة البيروقراطية التي تتلف الوقت وتتطلب تكاليف مادية.

إن سبب هذه الحالة هو عدم تفريق بعض الأفراد بين التعقيد وقوة الثبات، فيخلطون بين التخطيط الدقيق وبين صعوبته. ونحن نرى ضرورة إزالة النظام البيروقراطي المعقد كي يمكن لعامة الشعب الاستفادة من التزامات الحكومة.

ثم إن مسألة المراتب والدقة والرقابة في الأمور، جيدة، ولكن بشرط تجنب التشريفات الإدارية، خاصة في الحالات التي لا نرى لأمر من الأمور تلك الأهمية.

ويحتاج جهاز التربية والتعليم إلى مكتب منظم ومؤسسة مراسلات وتشكيلات إدارية ومسؤولين تنفيذيين ممتازين ومدراء ومراقبين ومكاتب امتحانية وكتب رسمية و... إلا أن تفصيل ذلك يغاير أساس التشكيلات والمؤسسة، وهو هداية ومساعدة الناس.

رأس التشكيلات:

نحتاج إلى مدير على رأس التشكيلات والمؤسسة يستطيع توجيه وإدارة الجهاز التربوي في البلاد، واتخاذ القرارات اللازمة في الوقت المناسب وتطبيق السياسة المرسومة. ولهذا المدير الذي قد يكون بصفة وزير، وظائف، من أهمها:

- تنظيم السياسة العامة للتربية والتعليم على أساس تفكيره أو ملاحظات المؤسسات المسؤولة.

- إدارة الوزارة وتشكيلاتها وفق ذلك المنهج.

- عزل وتعيين المسؤولين والمدراء التنفيذيين في جميع المستويات والإشراف على أعمالهم وبرامجهم.

- توجيه المسؤولين، من أجل حسن تنفيذ وظائفهم وتعريفهم بها.

- متابعة الأهداف الفنية والاقتصادية والاجتماعية على أساس القوانين الصادرة.

- تشجيع المسؤولين في حالات الخدمة واستجوابهم في حالة ارتكاب خيانة.

- الإجابة على أسئلة الحكومة واستيضاح المسؤولين في حالة عدم النشاط واعتبار نفسه مسؤولاً أمام الحكومة والشعب.

المجلس الأعلى للتربية والتعليم:

يوجد في بعض البلدان جهازاً مؤلفاً من أهل الرأي والأولياء والمربين، يدعى المجلس الأعلى الذي يقوم في الحقيقة بوظيفة العقل المفكر للجهاز التربوي في الدولة، ويبدي رأيه بشأن جميع المسائل التي لها علاقة بشكل من الأشكال مع التربية والتعليم.

ويضم هذا المجلس أفراداً أخصائيين في التربية والتعليم، ونائباً عن المعلمين ونائباً عن أولياء التلاميذ ووزير التربية والتعليم وعدداً من الموظفين، فيُصدر في الحالات اللازمة،القوانين والمقررات المطلوبة.

وبإمكان هذا المجلس إبداء آرائه بشأن تغيير النظام، نوع الأهداف والأساليب، الكتب الدراسية، تغيير برنامج الامتحانات، المواضيع المدرسية، حق تأسيس أو حل المدارس و... وتُصادَق قراراته وتنفذ عن طريق وزير التربية والتعليم.

المؤسسات التابعة:

يختار الوزير عادة معاونين له، على أساس سعة ومساحة الأعمال ونوع الوظائف والصلاحيات، فيتولى كل منهم وظائف معينة ويكونون مسؤولين أمام الوزير. وتقسم أعمال التربية والتعليم إلى قسمين:

أ ـ الأعمال الفنية والاختصاصية:

وهي أعمال ذات بعد فني وتخصصي، كما يفهم ذلك من عنوانها، ويجب أن يتوفر لدى المؤسسات التابعة وعي وتخصص يسد الحاجة، وتضم هذه المؤسسات والتشكيلات النواحي التعليمية والتربوية والفنية التالية:

ـ التعليم الذي يسبق المرحلة الابتدائية، الدراسة الابتدائية، الدراسة المتوسطة، التعليم الحِرفي والفني، التعليم الزراعي، التعليم الديني، التعليم القروي، التعليم العشائري، المدارس الحكومية والأهلية، تعليم الكبار، مكتب المراسلات والبرامج، مكتب الامتحانات، مكتب التربية البدنية، الصناعات، الشؤون التربوية، الشؤون السمعية والبصرية، شؤون الأطفال الاستثنائيين، إعداد المعلمين، تجهيز المدارس و. . .

ب ـ الأعمال الخدمية: نذكر في ما يلي المؤسات والدوائر التي تتولى وظائف في المجالات التالية:

ـ الذاتية، المحاسبة، النشر التعليمي، الكتب المدرسية، المكتب الوزاري، الكتب الحقوقية، مكتب الميزانية، الخطط والبرامج، شؤون البناء، الصحة، رفاه المعلمين، العلاقات الدولية، العلاقات العامة، التشريفات و. . .

تقسيم الوظائف:

سبق أن ذكرنا أن تقسيم الوظائف بالنحو المطلوب، ضروري لتقدم العمل وإمكانية تقييم الأعمال والمسؤوليات، والتشجيع والتوبيخ وحسن إدارة الأمور والقضايا. إن كيفية تقسيم الوظائف تبين الحالة المركزية أو اللامركزية للتربية والتعليم، وقد أشرنا إلى أن جميع الصلاحيات تكون المركز وفق النظام المركزي، وعلى العكس في النظام اللامركزي.

وتوزع الأعمال، عادة على أساس الوعي والالتزام والقابلية، فيعطى لكل شخص العمل الذي بإمكانه إدارته، ويشعر تجاهه بالوظيفة والمسؤولية، كما أن حدود ومساحة العمل محدودة بقدرة وطاقة الأفراد ومستوياتهم العلمية والعقائدية.

وفي هذا التقسيم يتولى المدراء الجانب التنفيذي للتعليمات الصادرة من الجهات العليا، إلا في حالة إعطائهم بعض الصلاحيات في هذا الشأن، فيعملون على اختيار المساعدين والمسؤولين الذي يغطي كل منهم وظيفة، ويعتبر المدراء العامون مسؤولون أمام الوزير أو أمام الجهات العليا حسب سلسلة المراتب.

شروط المسؤولين:

يجب أن يكون المدراء والمسؤولين في المراتب العليا، من الذين بإمكانهم التحدث حول الخط العام السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي، وأن يتوفر لديهم اطلاع لازم في هذا الموضوع. كما يجب أن تتوفر لديهم القدرة على تقييم المسائل التربوية واتخاذ القرارات حول طرق تنفيذ البرامج بأحسن وجه.

أما المسؤوليات ذات البعد التخصصي والفني فينبغي أن تعطى لمن تم تأييد صلاحيتهم الفنية، وتكون آرائهم بشأن القضايا، آراء علمية، ولو كان هذا الوعي ممزوجاً بالالتزام والاعتقاد والإيمان بالوظيفة لكان له أثر يصل حد الإعجاز.

وبالإضافة إلى مسألة اطلاع المدراء الكبار على قواعد وفلسفة التربية وكيفية تنفيذ الخطة وطرق إصلاح الوضع، فإنه يجب أن يتمكنوا من اكتشاف وتقديم طرق ومشاريع جديدة في التربية وأن تكون لديهم معرفة بمختلف الطرق التي توصلهم إلى الهدف، كما أن الإشراف على حسن إدارة الأمور وتمشية الأعمال ومتابعة شؤون المرؤوسين ودراسة الأمور، هي من المسائل المنتظرة من مثل هؤلاء المسؤولين.

دور الناس: اعتبرت التربية في كثير من الأنظمة حقاً على الأبوين، وأنهم مكلفون بأدائه. ويزعم جهاز التربية والتعليم أن أداء هذا الحق قد تولاه نيابة عن الناس، وطبيعي أن أساس حق الأطفال هذا لا يُلغى في ما لو قصر وتهاون الجهاز في ذلك.

وعلى هذا، فإن الآباء، والناس بشكل عام من حقهم ووظيفتهم أن يكون لديهم إشراف في أمر التربية ومشاهدة جريانها وحسن إدارتها، وحين يرون إهمالاً أو خطأ في ذلك يمارسوا التوجيه والإرشاد وإعادته إلى المسير الأصلي.

ومن جهة أخرى، فإن دور الناس أمام الجهاز التعليمي هو دور الدعم، فيتعاونوا مع الحكومة في مجال التربية والتعليم، ذات الجهاز التربوي الشعبي. ويسعون إلى تزويده بالإمكانات والوسائل حتى يتمكن من بناء المدارس وتجهيزها و...

ولا شك أن الناس يرغبون ازاء تلك الخدمات، الحصول على بعض الصلاحيات اللازمة والمساهمة في الإقالات والتعيينات وكذلك في الخطط. ولا ننسى أن إعطاء الناس صلاحيات تامة من دون إشراف، عمل خطأ، حتى لو كان عن طريق المجالس. وقد يؤدي أحياناً إلى فساد العمل.

العلاقة بين الجهاز مع الوسط الخارجي:

من أجل إنضاج جهاز التربية والتعليم في الدول، ضروري أن ترتبط وتتعرف الأجهزة الفنية والإدارية والتعليمية في الوزارة مع الخارج، أي مع المعامل والأجهزة الإدارية وحياة الناس العادية والقضايا السياسية والاقتصادية والثقافية، أما الانغلاق وعدم التفاعل مع الخارج، فإنه قد يسبب بعض الأضرار.

إن التربية والتعليم وسيلة لعبور الوضع الذي نحن فيه إلى وضع أفضل، ولهذا فإن التعرف على الحال الراهن قد يكون خطوة للوصول إلى ما نطمح إليه. وتُلاحظ في بعض المجتمعات مدارس مغلقة لا تنفذ إليها التغييرات الحاصلة في العالم الخارجي، ونتيجة ذلك، تخرّج طلاب كاللوالب التي لا تلائم أي من الوسائل والأجهزة الموجودة.

وتلعب إدارة المدارس البعيدة عن طريق العاصمة دوراً في نشر هذا الخلل والفساد، لذا ينبغي أن تكون كل مدرسة، مؤسسة وجهازاً يعرف بمحيطه ويساهم في رفع المصاعب والمشاكل الموجودة في المجتمع.

الاستفادة من التجارب الدولية: إن استيراد النظام التربوي من دولة أجنبية، خاصة إذا كانت دولة استعمارية، يمثل نوعاً من الانتحار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وهو ما نلاحظ مظاهره في بعض الدول المستعمَرة. إلا أن هذا الأمر لا يمنع من الاستفادة من التجارب الدولية إذا كانت قيمة، حيث من الضروري أحياناً الانتفاع من تجارب الآخرين عند بناء المؤسسة والتشكيلات اللازمة لإدارة الجهاز التربوي في البلد، من دون التسليم والارتباط والذوبان بهم، فالاستفادة من تجارب الغير تؤثر في إثراء التربية وتقدم الأعمال، وإصلاح الوضع التربوي، وبالنتيجة الاستفادة الأكثر من العمر والرأسمال.

وعلى ضوء التجارب القيمة التي لدى بعض المجتمعات، فإن من الممكن أن يفكر نظام ما بتأسيس مركز دراسات، ومركز للتوجيه والإرشاد الاستخدامي ودائرة للتقيم، ومؤسسات ودراسات وأمثال ذلك، إلى جانب وزارة التربية والتعليم، لاستحصال نجاح أكثر في حل المسائل والمشكلات.

ومن الضروري في جميع ذلك الالتفات إلى ما يلي:

- معرفة وضع المجتمع وحاجاته الأساسية.
- دراسة أحوال المجتمعات والدول التي يمكن أن تكون موجّهة.
- أن تنطبق الاقتباسات مع ثقافتنا، لا أن نكون في حالة استسلام لها.
- وأخيراً تُلحظ في هذا الصدد المصالح الآنية والآتية، استناداً على الشروط العقائدية وأهداف الحياة.

الفصل الخامس والأربعون

الميزانية ونتاج التربية.

التربية والصناعة:

التربية صناعة كبيرة ذات نفقات كبيرة تعادل نفقات الجيش والدفاع، بل وأعلى منها أحياناً. وهناك من ينظر إلى هذه النفقات كنوع من الاستهلاك، لكن أكثر العلماء يعدّونها نوعاً من الاستثمار ويعتبرون لهذا الاستثمار نتاجاً غير عادي، فيدر أرباحاً أكثر بأضعاف من النفقة، بعد انقضاء عدة أعوام.

ويرى كثير من المربين أولوية صرف المال على تربية الطفل، بدلاً من ادّخاره له، حتى يكتسب مهارة واختصاصاً وتصبح قيمة عمله عدة أضعاف، فتراكم الفقر في كثير من المجتمعات له جذور سياسية وناجم عن عدم رفع الجهل عن الناس، وهكذا الحال بالنسبة للبطالة في المجتمعات الفقيرة والناجمة عن الأمية، بالإضافة إلى تأثير الوضع الاقتصادي السيء ومكافحة النتاج الثقافي في بعض الحالات.

إن التربية هي نوع من الصناعة، وتخصيص الأموال لها هو نوع من الاستثمار في هذه الصناعة، فالمدرسة تتسلم مواداً خاماً وتسلّم مواداً صناعية، فهي تستقبل الطفل جاهلاً فتربّيه وتعيده إلى المجتمع، وحين يتمكن أحد الطلاب المتخرجين اكتشاف قضية أو مادة ما فإنه يقدم بذلك إلى المجتمع نتاجاً يعوّض ما صُرف عليه فترة سنة كاملة من التربية وتكون القيمة النتاجية لذلك معادلة لآلاف الأضعاف.

أهمية الاستثمار:

إذا استطاعت التربية بناء نابغة في الابتكار أو مكتشِف، مرة كل بضع سنوات، فإن ذلك يعني جبران كل النفقات التي بذلت خلال تلك الفترة. وكثيرة هي الدول التي تؤمّن ميزانية البلد من خلال هذه الابتكارات والاكتشافات.

ويكفي في أهمية الاستثمار أن نعلم أن أي من الدول ذات الأكثرية الأمية لم تنل حتى الآن تقدماً اقتصادياً ولم تستطع توقّع وتأمين وضع ثابت لها وقد ظلت القابليات في هذه المجتمعات مجهولة وحتى أنها أُتلفت، أما المهارات فمحدودة وغير علمية وقائمة على تجارب العوام، مما يعني أن أساس ثروتها وحياتها سوف يكون مهزوزاً.

إن الاستثمار المدروس في أمر التربية وتنمية المهارات وتأسيس فروع دراسية جديدة وتنمية الخدمات والبناء وإعداد الوسائل والأجهزة التعليمية وأمثال ذلك، لا تعتبر نفقة استهلاكية بل هي بمثابة استثمار لخدمة الناس، والحد الأدنى لهذا الاستثمار هو أنه يحول دون إتلاف تلك القابليات، ويمهد الطريق لاكتساب التخصص والمهارة.

مصاريف التربية: كل الأنظمة التربوية، سواء كانت أهلية أو حكومية تتطلب نفقات ومصاريف، يجب تأمينها إما من قبل الناس أو الحكومة، والنفقات هي بمثابة البنزين المستخدم لتشغيل محرك التربية، ومن دونه لا يمكن بلوغ الأهداف التربوية.

وتعطي كثير من الدول المتقدمة أولوية لميزانية التعليم وتؤمّن لها مصادر مالية غير اعتيادية ويرتفع حجم هذه الميزانية والنفقة كل سنة بسبب نمو السكان وتنمية الوسائل والإمكانات.

وثمة عوامل تؤثر في رفع مستوى نفقات التربية وزيادة ميزانيتها، وأهمها:

- الطلب المتزايد من قبل الناس، من ناحية توسيع دائرة العمل التربوي وتحسينه.

ـ طلب تجهيزات أكثر، لتوفير وسائل وأدوات أكثر تقدماً بغية تسهيل العمل التربوي.

ـ ارتفاع الرواتب والأجور نتيجة الغلاء والتضخم.

ـ إعادة النظر في البرامج والحاجة إلى الإصلاحات اللازمة والتخطيط المستمر.

ـ إن المسألة المهمة في هذه المصاريف هو التخطيط لها، بحيث يُحسب لكل ريال حساباً، ويجب التقتير والدقة في صرف ميزانية التربية، والسعي لئلا يتبدل الاستثمار إلى استهلاك.

مصادر النفقات: للإجابة على السؤال القائل، كيف ومن أين تؤمّن مصادر هذه الميزانية؟ نذكر في ما يأتي المصادر التالية:

ـ المصادرُ العامة، وهي تستحصل من الدخل العام للحكومة، والذي يتضمن الضرائب العامة والصادرات والواردات ومصادر أخرى.

ـ الضرائب الخاصة، التي تؤخذ من الشعب تحت إشراف الجهات الرسمية المحلية. وتصرف على التربية.

ـ الدخل المستحصل من الأموال التي يدفعها الطلاب لجهاز التربية والتعليم.

ـ الأوقاف والنذور التي تصب في بعض المجتمعات لصالح التربية.

ـ الإمكانات التي يقدمها الناس كهدايا إلى وزارة التربية والتعليم.

وكما نلاحظ أن ميزانية التربية تأتي من الجهات الرسمية وجهاز الحكم، متمثلة بالضرائب والصادرات ومصادر أخرى للدخل العام تارة، وتارة من مصادر غير رسمية على شكل مساعدات وهدايا شعبية. ومن الضروري لتحسين العمل وتنميته، أن يتولى الشعب جزء من ميزانية التربية، وتطلب الحكومة من الشعب عن طريق مقدمات وتشجيعات، تقديم بعض الإمكانات بغية الوصول إلى الأهداف التربوية.

توزيع الميزانية: يجب تأمين الميزانية وفقاً للخطط التي ترسم في

مستويات مختلفة، أي من قبل أن تتضح المجالات التي توزع عليها. فبعد تأمينها، يبدأ التفكير بالأهداف والضوابط التي ينبغي اعتمادها في التوزيع على الأقسام المختلفة للجهاز التربوي.

- فيوزّع مقدار منها على التعليم الابتدائي والثانوي والعالي، وبعضها على التعليم الفني والحرفي وجزء منها على البناء وقسم آخر لتجهيز المدارس ومقدار على الأمور الجارية للجهاز.

- وتلاحظ في توزيع الميزانية، المسائل التي يركز عليها جهاز التربية والتعليم، فإذا كان الهدف هو التعليم العام ومحو الأمية، فيُرجز على تعليم الكبار، وإذا كان الهدف هو التنمية الصناعية والمهارة، ينصب الاهتمام على التعليم الفني والحرفي، أما إذا كان الهدف هو بناء علماء وأهل رأي ومنظرين فيجري التأكيد على التعليم النظري و...

وتلاحظ في هذا التوزيع مقدار الميزانية لكل فرد في مستويات مختلفة، وكيف تكون بالمستوى العام، وما هي الأقسام التي يجب تقليل ميزانيتها وما هي الأقسام التي يجب زيادتها؟ كما يلحظ ميدان التربية، فهل التعليم يقتصر على المدارس أم الدرس مع الصحة، التغذية، توفير الكتب والقرطاسية و...

ويخصص جزء من التربية لتجديد وإعادة البناء التربوي وينبغي هنا رسم الخطط، وعلى هذا يحدد المقدار الذي يجب صرفه من الميزانية على التحقيقات في المجال التربوي. وما هو المقدار الذي يخصص للتخطيط وتجديد الأساليب التعليمية، وتنمية وإكمال المدارس، وتوجيه الأسرة وإرشاد المعلم و...

العمل والنتاج التربوي:

يهدف العمل التربوي، تعليم وبناء الأفراد ونقل التجارب وتنميتها، وتعليم المهارات وإعداد الفرد، ويختلف تقديم الخدمات بما يتناسب والزمان والظروف وكذلك في المراحل المختلفة، وبالنسبة للبنين والبنات.
ويوجه الاستثمار التربوي لتحقيق النتاجات التي قد تكون مادية أو معنوية أو مزيجاً من هذه وتلك، وبديهي أن الاستثمار في مجالات التربية المختلفة لا

يفضي إلى نتائج متساوية، فالدخل والنتاج الحاصل في المجال المادي للتعليم الحرفي، مثلاً هو أكثر ما عليه الحال في التعليمات الأدبية، ولعل هذا هو السبب في اهتمام الدول الصناعية بهذا النوع من التربية.

أنواع النتاج:

هناك وجهان وشكلان للنتاج التربوي: كمي وكيفي.

فيركز في نطاق النتاج الكمي على مسألة عدد الطلاب الذين بإمكان الجهاز التربوي تخريجهم في مستويات مختلفة، أما في النتاج الكيفي فيؤكد على ماهية وكيفية حصيلة العمل ومستوى مهارة المتخرجين.

كما يمكن تقسيم النتاج التربوي إلى نوعين هما: مادي وغير مادي، وثمة صور أخرى.

١ ـ **النتاج المادي**: يلاحظ في هذا المجال مدى التأثير التربوي في النمو والتقدم الاقتصادي والمالي للمجتمع، وكم عدد التكنولوجيين والعمال الماهرين وفرص العمل التي تحققت؟ وكم كان تأثيرها في رفع البطالة؟ وهل استطاعت بناء مجتمع متحضر، مرفه، مكتف ذاتياً في مختلف المجالات؟ وما هي الخدمات الاجتماعية القيمة التي قدمتها للشعب، وإلى أي مدى كانت ناجحة في قضية الاستهلاك العادل، وأخيراً ما هي المنافع التي نجحت في تقديمها للمجتمع، مقابل ذلك الاستثمار الكبير؟ و . . .

٢ ـ **الحصيلة المعنوية للتربية**: يلاحظ في هذا المجال، المستوى الذي بلغته التربية في بناء أفراد مؤمنين ومعتقدين؟ ومدى نجاحها في بناء أناس أحرار ومستقلين؟ وما هي درجة الشعور والالتزام بالمسؤولية لدى المتخرجين تجاه حياتهم ومجتمعهم وتجاه المجتمع والبلد؟ وإلى أي حد لديهم استعداد للتضحية الاجتماعية؟ وهل يسعون للمحافظة على إنسانيتهم، وإلى أي مستوى يمكنهم العمل في مجال المساواة الاجتماعية ومراعاة الأخلاق والعدالة؟ وما هو مدى نشاطهم في طريق التنمية العامة وإكمال أنفسهم ومجتمعهم؟ وكيف هي درجة أمانتهم وأخلاقهم ونوع علاقتهم مع الناس في الداخل والخارج؟ وإلى أي حد مستعدون لإنقاذ أنفسهم وغيرهم من قيود الرق والأسر بمختلف أشكاله؟ و . . .

٣ ـ نتاجات أخرى: وللتربية حصيلة أخرى في مجالات الحياة، الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها. فيجب ملاحظة ما هو تأثير التربية في مسألة العلاقات العائلية والتعامل مع الجار ومع الذين يشاطرونه في الدين، ومع المنافقين والأصدقاء والأعداء؟ وما هي المظاهر السلبية الموجودة في المجتمع والتي يمكن إزالتها من خلال التربية؟

كما يجب معرفة ما هو دور التربية في قضية التحزب، وتوعية الشعب بحقوقه الأساسية وفي العمل بالقانون في المشاركات السياسية، وفي حسن العلاقات بين الشعب والحكم، وفي حفظ وتأمين الحرية والاستقلال وغيرها.

ثم ينبغي أن نرى كيفية ومستوى تأثير التربية في النمو الثقافي والنقاء الأدبي والسيطرة على الآداب والتقاليد، وفي إثراء تجارب الحياة، والاستفادة من الفن الواعي، وتنمية ونشر العلم الملتزم، والاستفادة من العلم لخدمة السلام والأمن الوطني والدولي. وهكذا الحال في مجال اهتمام الخريجين بمجتمعهم والخارج، وصرف العمل في طريق خدمة الإنسانية ورفاه الناس والسير في مسير السلام والتفاهم والتعايش مع الذين لديهم مساهمة في تنظيم وإكمال الحقوق الأساسية للناس.

حصيلة التقييمات:

ينبغي أن تؤثر حصيلة دراسة الجوانب الكمية والكيفية للتربية ونتاجاتها المختلفة في أن يعيد المسؤولون النظر في التخطيط أو مواصلة النهج العادي للتربية. وعلى ضوء هذا التقييم يمكن العمل على تعزيز جوانب القوة وإصلاح نقاط الضعف ورفع النواقص والإشكالات التربوية. والنظام التربوي الصحيح يقيّم بشكل دائم مجرى النظام القائم، ويسعى إلى التدقيق في أموره ومسائله، لاكتشاف دقائق المسائل، والتفكير بالحلول قبل الوصول إلى طريق مسدود، كما أن ذلك ضروري في تجديد النظام التربوي.

القسم الثالث عشر

التجديد التربوي.

التربية كالمعمل والصناعة من حيث الحاجة إلى تقدم وتحول مستمر، ومن الضروري بين حين وآخر حصول تغييرات فيها بما يتناسب التقدم والمقتضيات، حتى تظل حية طرية. ونحن في حالة تقدم وتحول ونحتاج إلى تجديد المسائل ذات الصلة بالحياة، وهو أمر ينبغي القيام به من خلال التربية، فإذا كانت التربية جهازاً ضعيفاً وقديماً، فإنها لا تنجح أبداً في تحسين أوضاع وفكر الناس.

وسنتعرف في فصل من هذا القسم إلى التخطيط وضرورته، ونبين مسألة ماهية التخطيط، ونبحث في ضرورته وفوائده ونؤكد على استمراره، كما ندرس حاجة المخططين إلى الوعي والمعلومات اللازمة، والمساعدات التي ينبغي أن يقدمها الناس والمؤسسات في هذا المضمار.

وهناك فصل آخر من هذا المبحث، له علاقة بقواعد التخطيط والبحوث التي تطرح في هذا المجال، فنرى ما هي القواعد والضوابط التي يجب لحاظها في هذا الطريق، وما هي المسائل التي يجب الاهتمام بها في التخطيط.

وأخيراً نتكلم في الفصل الأخير عن شروط الخطة، والضوابط التي ينبغي الالتفات إليها ونبحث المصاعب التي تظهر في هذا الطريق، وذلك بشكل مختصر.

الفصل السادس والأربعون

التخطيط والضرورة

يتمكن نظام التربية والتعليم في كل الدول، بناء أفراد يسيرون في طريق ومسير معين وينجحون في مسألة البناء والرفاه، إلا أن هذا البناء لا يبقى ثابتاً، إذ يوفقون إلى اكتشاف طرق أخرى في أمر الحياة، بالاستفادة من النمو الفكري واستخدام الابتكار والاستفادة من الخيال والاختراع. ومن هنا يجب بناء نظام تربوي للجيل اللاحق والأجيال المقبلة، ليتمكن من التقدم معهم ويدفعهم إلى خطوة أبعد في المجال التربوي. ولهذا تطرح مسألة تجديد النظام والتخطيط من أجل حصول تحول وتغيير في العمل التربوي.

ومن ناحية أخرى، قد ترد مسألة ضرورات استمرار حياة مجتمع ما، كأن تقع ثورة في إحدى الدول ويأتي نظام معين، فتستدعي الحاجة الاستفادة من نظام جديد.

الحاجة إلى التخطيط:

إن الشعور بالضرورة يمثل أساس التفكير بالتخطيط، وهي ضرورة تقتضيها الظروف الجديدة والأهداف الجديدة والحاجة إلى منهج جديد في الحياة والاكتشافات العلمية والتقدم التجريبي، وتحتاج الدول والمجتمعات التي تريد السير في طريق التقدم دائماً، إلى التخطيط الدائم، وتحديد النقطة والمكان الذي تعتزم الوصول إليه.

وقد يدفع الاكتشاف العلمي وعلم النفس الوراثي والثورات السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية، والاتجاه من أجل تغيير نظام المعيشة

ورفع الفكر أو الفلسفة الحاكمة في الحياة، المسؤولين في الدولة إلى التخطيط.

ويرافق التخطيط في الغالب، تحركاً وتغييراً سطحياً أو عميقاً. وقد تكون خطوة للاستفادة الأكثر من مواهب الحياة، أو وسيلة للتخدير وإثارة رعب جديد، وعلى أي حال، فهذا الأمر له صلة بالموقف السياسي الحر والمستقل، أو التابع، وكثيرة هي الخطط التي تؤدي إلى ارتفاع المستوى الفكري وإعداد رجال مفكرين ومضحين وشجعان ومجربين، وكثير من الخطط تكون نتيجتها السقوط والانحطاط في مختلف نواحي الحياة.

ما هو التخطيط:

هو العمل الذي يحتمل بموجبه وقوع أمور في المستقبل، وتوضيح الطريق الذي يجب قطعه في المستقبل. ويمكن القول أن التخطيط محاولة لرسم نهج معين، واحتمال الأمور التي تبدو مفيدة وممكنة التنفيذ. وفي هذا الصدد ترسم خطة لذلك المسير ويُلحظ تحديد التفاصيل. ويتم هذا العمل وفقاً للأهداف المعنية، وتوجه جميع القوى والإمكانات، في الاتجاه الذي يريده المطالبون بتغيير النظام ورسم الخطط.

ضرورة التخطيط:

تكلمنا ضمن هذا البحث عن ضرورة التخطيط، ونضيف إلى ذلك القول أن هذه الضرورة تلحظ من عدة نواح:

- التجديد المستمر للمؤسسة التربوية والذي ينتج تحرك أكثر للنظام.

- تجديد دور المعلمين والذي تكون حصيلته بناء أفراد واعين ومسؤولين جيدين.

- تحديث وإكمال أسلوب التدريس والذي حصيلته، التسريع في التربية والتعليم وتقليل الخسائر المؤقتة.

- تحديث وإكمال الأهداف والبرنامج والمواد التربوية.

- التقدم بصورة أسرع نحو الأهداف وتحقيق الرغبات المختلفة.

ـ وأخيراً تعيين حدود المسؤولية وحساب الأمور ومطالبة المسؤولين بالعمل على ذلك الأساس.

فوائد التخطيط:

هناك فوائد وآثار كثيرة للتخطيط، في ما يلي إشارة إلى بعضها:

ـ الاقتصاد في الوقت، فلا يذهب وقت واعمار المسؤولين هدراً.

ـ الاقتصاد في الثروة، باعتبار توقع تشخيص تكاليف كل خطوة وإجراء.

ـ الاقتصاد في السعي والعمل، حيث بالإمكان الحصول على نتائج أكثر بأدنى حد من الاستثمار.

ـ رفع مستوى مقاومة المؤسسات والأجهزة في تقدم الأمور.

ـ العمل على تغييرات قيمة في اتجاه وبرنامج خاص على أساس هدف معين.

ـ إيجاد تحرك وانسجام أكثر في الأمور ذات الصلة بتربية وبناء الأفراد.

ـ الحصول على إمكانية لتقييم وضع البلد وثقافته.

ـ التمهيد لنمو، أو سقوط المجتمع الذي يريد السقوط.

بصائر ضرورية:

عند التخطيط يجب أن يكون واضحاً لدينا من قبل أجوبة الأسئلة التالية:

ماذا نريد أن نفعل؟ لماذا؟ ما هو الهدف والنقطة التي نريد وصولها؟ ما هي الوسائل والأدوات التي سوف نستخدمها لبلوغ ذلك الهدف؟ ما هي الإمكانات المتوفرة لدينا؟ ما هي الشروط والضوابط التي يجب اتباعها؟ ما هي المسائل التي ينبغي دراستها وتقييمها؟ ما هي التجارب والوسائل والأدوات التي نحتاجها؟ ما هي العقبات والمشكلات التي تعترض الطريق؟

ما هي الإمكانات والوسائل التي يجب استعمالها لحل ورفع تلك المشاكل؟ . . .

ويحتل الهدف أهمية كبيرة في التخطيط، فينبغي اتضاح الهدف من تغيير النظام أو إصلاحه، فهل الغرض هو محو الآثار السلبية السابقة؟ وهل هناك اتجاه جديدة؟ ما هو الاتجاه الذي نريد توجيه الجيل نحوه؟ هل هو زراعي، أم حرفي وفني، أم صناعي، أم كلاسيكي، أم أخلاقي وديني، أم تهذيب فردي وجماعي أم التربية البدنية، أم الاكتفاء الذاتي؟ و. . .

ثورة أم إصلاح:

قد يتم التخطيط على شكلين: الإصلاح التعليمي، أو الثورة التعليمية، ففي الإصلاح التعليمي يركّز على إصلاح بعض النواحي غير المقبولة. وعلى هذا يتم بحث ودراسة مسألة أو عدة مسائل، ويسعى الخبراء إلى إحداث تغييرات في النظام التعليمي من خلال إعادة النظر في تلك المسائل.

أما في الثورة التعليمية فينصب التأكيد على تغيير جميع البُنى والأنظمة التربوية، وإلغاء جميع الضوابط والأنظمة السابقة، وهو أمر يستلزم خطة وعملاً طويلاً، وقد يُنجز دفعة واحدة أو بالتدريج فيستغرق بضع سنين. ولا يعني ذلك وفق هذا التعريف إلغاء كاملاً للنظام، لأنه ثمة نقاط وقواعد مقبولة في كل نظام، تستخدم عند تدوين النظام الجديد.

المعلومات والإحصائيات الضرورية:

لا يمكن رسم الخطط من دون ملاحظة الحقائق والأرقام والقضايا العادية وغير العادية في الدولة، فمن الضروري، التعرف على المجتمع الذي يُخطط له والاطلاع إلى حد ما على أفكاره.

وفي هذا السياق نحتاج إلى نوعين من المعلومات: معلومات فنية ومعلومات اجتماعية. ففي المعلومات الفنية نحتاج إلى إحصاء حول عدد السكان، عدد المتعلمين، عدد الأطفال الذين تبلغ أعمارهم المراحل الدراسية، الأطفال الممكن استقطابهم، النمو الاقتصادي، توزيع السكان، الظروف الجغرافية، إمكانات النمو، إمكانات الإعمار و. . .

وفي المعلومات الاجتماعية نحتاج إلى معرفة ثقافة المجتمع، والدين والأخلاق والتقاليد السائدة فيه، مستوى النمو الفكري، الطلب الدراسي، وعي الشعب بالقضايا الثقافية والسياسية في المجتمع، الرأي العام، عوامل الضغط، تدخل الأسرة في الثقافة، دور العلماء في نمو المجتمع، الأرضية العلمية والاختراعية والاكشتافية في المجتمع، عوامل التقدم أو الركود، وغير ذلك.

المخططون:

ولكن من هم المخططون، أو الذين يمكنهم المساهمة في التخطيط؟ الجواب هو أن هناك جماعات يجب أن تستدعى للمشاركة في التخطيط الثقافي والتعليمي في المجال التربوي، وهي:

الأخصائيون في التربية والتعليم، أهل الرأي في مسائل علم النفس، العارفون بمسائل علم الاجتماع، خبراء التربية والتعليم، المدراء والموظفون الإداريون، خبراء المنظمات الدولية، الأشخاص الماهرون والأخصائيون في المسائل ذات الصلة بالعمل التربوي، الخبراء الاقتصاديون، الفلاسفة وأهل العقائد وعلماء العقائد، علماء الدين والأخلاق، وحتى الأطباء والذين لديهم معلومات عن حياة الأطفال. وأخيراً الذين قد لا تكون لديهم مستويات دراسية عالية، إلا أنه لديهم رواية نافذة في الأمور والذين يتمكنون تطبيق أقوالهم وآرائهم في التربية.

لا شك أن من غير الممكن، المشاركة المباشرة لجميع هؤلاء الأشخاص في التخطيط، إلا أن بالإمكان استخدام طرق أوراق الأسئلة والاستطلاع ووسائل الإعلام والرسائل والمراسلات. فيجري التأكيد على إسهام الذين يريدون وضع فضل للتربية، واستقطاب ثقة الشعب للمشاركة الفعالة للناس في هذا الطريق، فيتجاهل الرأي العام، مسألة خطيرة ويعرض التنفيذ إلى مخاطرة. ومع أن جميع الناس ليس لديهم قابلية وطاقة على إدراك وفهم جميع المسائل، ولكن بشكل عام يمكن الحصول على جميع ما هو ضروري للتربية.

عمل المؤسسات:

توجد في المجتمع مؤسسات ومنظمات، سواء كانت حكومية أو خاصة أو دولية، تلعب دوراً في هذا الأمر ولها وظائف وعمل، يتمثل في ما يأتي:

- إعداد وتقديم المعلومات المطلوبة خاصة الإحصائيات المتنوعة.
- تهيئة وجمع المقترحات اللازمة في المجالات التي يحتاجها المخططون.
- التعاون مع المسؤولين في التقييمات اللازمة.
- التفكير بشأن أهداف الحياة والتربية وتقديم ذلك إلى المسؤولين.
- تنظيم المعلومات والتعاون لتسهيل الدراسات والبحوث.
- أداء دور الواسط في جمع وتدوين المعلومات بالنظر لظروف البيئة ومراعاة الآداب والأعراف.

ضرورة الاستمرار في التخطيط:

التخطيط التربوي يجب أن يتبع معلومات وإعادة نظر مستمر بحيث يمكن التجديد دائماً في المستقبل ورفع النواقص والتناقضات الحاصلة وإصلاحها. والتخطيط سواء كان إصلاحياً أو تغييرياً، لا يمكن أن يظل ثابتاً في المجتمع، وكما أشرنا في بداية البحث، أنه يتطلب تغييراً ورتوشاً في كل سنة أو كل بضع سنين. وقد يظل العمود الفقري والقواعد المرسومة للخطة ثابتاً دائماً، ولكن الاختلاف والتغيير يقع في كيفية تنفيذها وشروط تطبيقها. وحوائجنا ورغباتنا هي في حال تغيير دائم، وظهور فنون وأدوات جديدة يؤدي إلى تجديد الأسلوب والبرنامج. وتستدعي الوظائف الاقتصادية والسياسية الجديدة وسائر المسائل، القيام بالتخطيط واستمراره، وإن على المسؤولين الانتباه إلى ذلك.

الفصل السابع والأربعون

قواعد التخطيط ومباحثه

لكل خطة قواعد وضوابط تضمن مراعاتها صحة وكمال ذلك التخطيط وتجنب الخطأ والانحراف. ويجري التأكيد على تحديد أكمل إطار للتربية والتعليم عن طريق التخطيط، ونحتاج في ذلك إلى خطة جيدة وعلمية مع ملاحظة سهولة التنفيذ. أما القواعد العامة في هذا الصدد، فتتمثل في الاطلاع على المسائل التالية:

١ ـ **هدف التخطيط**: يجب أن يتضح الهدف المقصود من التخطيط وماذا نريد أن نصنع وكيف يراد تربية الأفراد وعلى أساس أية ضوابط وشروط؟ وهل ثمة أهداف سياسية في هذا السياق أم هناك هدف اقتصادي؟ وهل الغرض هو إلغاء التربية الاستهلاكية أم إيجادها؟ وهل التعليم الإبتدائي هو المستهدف أم التعليم الثانوي أم العالي؟ وهل التركيز على الأهداف الآنية أم الآتية؟

٢ ـ **اتجاهه**: يجب عند التخطيط تحديد الاتجاه المرسوم لنظام حياة المجتمع والتغيير المراد إيجاده في تركيبة المجتمع. وما هي التغييرات التي يجب حدوثها في الفكر والأسلوب والأخلاق؟

وينبغي عند التخطيط اتضاح هذه المسألة وهي هل أن اتجاه الحركة يؤيد السياسة الموجودة أم يؤسس سياسة جديدة؟ وما هو الهدف في الناحية الاقتصادية؟ وهل التركيز هو على إعداد الخبراء أم المتخصصين أم الأفراد الماهرين أم شبه الماهرين؟ وهل التحرك هو نحو النظام القديم أم الصناعي؟ وهل الصناعة مستهدفة أم الزراعة؟ وهل التأكيد هو على حب الحياة والاهتمام بالماديات أم من كلاهما؟ وهل الهدف هو الدنيا أم الأمور

المعنوية؟ وهل الغرض هو الوصول إلى الاكتفاء الذاتي أم العكس؟ وهل الحياة في هذا العالم هي المقصودة أم الحياة في ذلك العالم؟

٣ ـ **الأشخاص**: ينبغي أن توضح في رسم الخطط مسألة الأشخاص الذين نخطط لهم، ولأية مراحل، ولأي الأعمار، وأي الفئات، وأي المناطق من الناحية الجغرافية؟ وهل الاهتمام ينصب على الجانب الصناعي أم الزراعي أم تربية الدواجن أم الصيد؟

وكم يبلغ عددهم، وهل بالإمكان تحقيق الأهداف في عام واحد، وهل هم من أهالي القرى أم المدن؟ وكيف الوصول إلى ذلك.

٤ ـ **شروط ذلك**: ما هي المقررات الاجتماعية والقوانين والعقبات الموجودة عند إعداد وتنظيم الأهداف والوصول إليها والطرق المستخدمة في ذلك؟ وهل نركز على الأساليب القديمة أم الحالية لبلوغ الأهداف؟ وما هو مدى تأثير التراث في هذا الموضوع، وما هو الرأي بشأن النواحي الفطرية؟ . . .

وما هي الشروط في إعداد العمل، وما هي الوسائل والإمكانات المستخدمة لتنفيذ الخطة؟ وهل هناك اهتمام بمسألة العمر، العرق، الجنس، الدين، أم لا؟ وهل ثمة علاقة بين النظرية والعمل أم لا؟ ما هي الشروط والضوابط المطروحة في فترة الدراسة والحضور في المراكز التعليمية؟ و . . .

٥ ـ **تعيين المعيار**: ما هي المعايير التي تراعى في التخطيط؟ هل هو العلم، أم العقل أم التجارب أم الدين أم الأعراف؟

وتلاحظ في بعض الخطط أنانيات وقصر نظر، فينظم شخص من الأشخاص خطة وفق ذوقه ويحصل في ظل ذلك على السيادة على قوم أو جمع، يجب أن نرى هل ان الاهتمام بهذه المسائل أو وجهات نظر الآخرين يمكن أن يلحظ في ذلك أيضاً؟ وهل للمعايير العاطفية دور في هذه المسألة أم أن التأكيد فقط على الجوانب العلمية؟

٦ ـ **عوامل أخرى**: من المسائل الأخرى التي يجب مراعاتها في قواعد التخطيط هو ملاحظة العوامل التي تؤثر في رسم الخطة، والعقبات

التي تعترض سبيل التخطيط وتحول دون التقدم. هذه الجوانب يجب التعرف عليها للعمل على رفع وحل المصاعب، وينبغي مراعاة الطريقة التنفيذية في الأمور، والوسائل والتجهيزات والمعايير المحترمة (وسوف نتحدث عن ذلك في فصل قادم).

المراحل ومباحثها:

هناك مسائل يجب أن تطرح في مراحل التخطيط الذي يستهدف تغيير النظام، والبحوث التي يجب طرحها في ذلك، وقد أشرنا إلى بعض ذلك في مقدمة هذا الكتاب، أما تفصيله فيتطلب بحوثاً كثيرة وكتاباً مستقلاً. وسوف نطرح مجدداً المراحل تلك مع بعض الحذف والإضافات من أجل إكمال هذا الفصل، مع التأكيد على بعض المسائل المهمة، وهي:

١ ـ **وجهات النظر والآراء**: التي تشمل رؤيتنا لفلسفة الخلق وفلسفة الحياة وخلق الإنسان وسيره وغايته.

٢ ـ **أهداف التربية**: وتقسم وفق الحقائق الموجودة في المجتمع، إلى أربعة أقسام، سياسية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية، ويضاف إليها البعد المعنوي والأخلاقي في المجتمعات الدينية.

٣ ـ **مضمون التربية**: ويُبحث فيه المسائل والمواضيع التي يتعلمها الفرد بشكل مباشر أو غير مباشر.

٤ ـ **المراحل الدراسية**: ويؤكد فيها على المراحل والأقسام المختلفة التي علينا ملاحظتها في كل مرحلة، والتي تشمل الدراسة الابتدائية إلى المرحلة العالية وحتى التعليم في مرحلة الكبر.

٥ ـ **الأسلوب**: والذي يتضمن الجهود والوسائل والأدوات المستخدمة في التربية والتعليم وصولاً إلى الهدف ووسائل الإيضاح والأجهزة المستعملة للبناء والإصلاح.

٦ ـ **مسألة المعلم**: ويطرح هنا تعليمه واستخدامه، وتأهيله، ساعات عمله وحقوقه، الناحية الوظيفية والتنظيمية لعمله.

٧ ـ **التقييم**: تقييم وعمل ودرس الطالب، المعلم، تقييم البرنامج والأهداف الكمية والكيفية و. . .

٨ ـ **الميزانية**: ميزانية التعليم التي تشمل نفقات المراحل المختلفة من التعليم، المؤسسة، التجهيزات، البناء والأجهزة.

٩ ـ **الضوابط التنفيذية**: والتي يجب أن تتضمن جميع المسائل الضرورية في التنفيذ.

تفاصيل المضمون: لا يسعنا في هذا البحث أن نطرح كل التفاصيل والمسائل المطلوبة، بل سوف نشير إلى بعضها بغية توضيح المسألة، منها:

يجب معرفة المحتوى الذي تعلمه للأفراد، فهل هو في الجانب البدني أم النفسي أم الفكري أم العاطفي أم الأخلاقي أم الديني؟ وما هي الفرائض المطلوبة؟ وهل المقصود من الفرائض، هي الجوانب السياسية للمضمون أم الجانب الاقتصادي أم الثقافي أم الأخلاقي؟ ما هي القواعد والأسس التي تطرح في التعليم؟ وهل ثمة اهتمام بالاختلافات الفردية، الاختلاف في الأعمار، اختلاف الجنس؟ وكيف هي الناحية التجريبية والعملية للمضمون؟ وما هي الفروع التي نحتاجها؟ كيف تؤلف الكتب وعلى أي أساس؟ وهل البرنامج إلزامي أم اختياري؟

وما هي المسائل التي تطرح في مسألة الكتاب وإعداد النصوص وجامعيتها؟ وما هي الكراسات وأفلام السلايد والمؤلفات المترجمة؟

المراحل الدراسية:

ويجب رؤية وضع المراحل كيف سيكون في هذا الصدد؟ وهل توجد مرحلة رياض الأطفال ومراكز الحضانة، أم لا؟ وكم هي مدة المرحلة الابتدائية؟ وهل هناك مرحلة متوسطة أم لا؟ وما هي فترتها؟ وما هي فروعها؟ وكيف هي مراحل الدبلوم والبكالوريوس والدكتوراه والاختصاص؟

وعند تحديد المراحل تلحظ القضايا ذات العلاقة بالزواج وسوق العمل وحاجات الدولة في المجالات الفنية، مجالات العمل البسيط والماهر والتكنولوجيا، مسألة الأخصائيين، والطبقة الإدارية، والجماعات الفنية الماهرة وشبه الماهرة، كما ينبغي أن توضح فترة التعليم العام.

وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن أنظمة التربية والتعليم في العالم، تدير

المرحلة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية بأشكال مختلفة، أما سنوات الدراسة فهي كما يأتي: (٦ سنوات + ٦ سنوات)، (٥ سنوات + ٣ سنوات + ٤ سنوات)، (٥ + ٤ + ٣) و(٦ + ٣ + ٣) و (٦ + ٢ + ٣) و (٥ + ٢ + ٣).

وبعد انتهاء الدراسة الإعدادية، نلاحظ تنوعاً كثيراً، وأهم أشكاله هي:

(٤ سنوات بكالوريوس + سنتان دبلوم عالي + سنتان دكتوراه) و (٣ + ٢ + ٢) و (٣ + ١ + ٢) و (٤ + ٢) و (٤ + ٢ + ٢ + ٢) وأحياناً تكون فترة التخصص ٣ أو ٤ سنوات.

ولا شك أن من الضروري رسم هدف وبرنامج لجميع مراحل الدراسات المتقدمة، تحديد الطرق القابلة للعمل.

التعليم واستخدام المعلم:

نحتاج في العمل التربوي إلى أشخاص يعملون في تعليم وبناء الجيل وهؤلاء الأفراد يجب اختيارهم وتزويدهم بالمعلومات اللازمة عند الضرورة.

وهناك مسائل كثيرة ينبغي ملاحظتها في هذ الصدد، منها: ضوابط الاختيار من حيث العمر، المعلومات، الفروع الدراسية، طرق تقييمها، مستوى تعليم العمل، حدود المعلومات اللازمة لهم، فترة إعداد المعلمين، مدرّسيهم، طرق تقييمهم، مستوى التعليم، درجة المعلومات اللازمة لهم، الوسائل والتجهيزات اللازمة من صفوف وأرض رياضية وحدائق وأدوات الإيضاح، والمعامل والمختبرات، وما هي الضوابط اللازمة لإعادة النظر في الفنون وتجديدها، ما هي الفترات التي تفصل بين مراحل المعمل والمختبر، وما هي العلوم والتكنيك اللازم لها؟

كما أنه يجب جمع الأفكار بشأن تشكيل الندوات كل شهر أو كل سنة، وكذلك بناء المعامل وتهيئة أجهزة الاتصال، تعليم كيفية التعريف بأجهزة الإيضاح التعليمي، تعليم طرق التقييم و. . . وكل هذه المسائل يجب لحاظها مع الأخذ بنظر الاعتبار وضع الرواتب وساعات العمل وفترات الإجازات والحرمة الاجتماعية. ويجدر الإشارة إلى أن مسألة أن الشعب الذي يريد أن يكون عزيزاً أو ذليلاً، عليه أن يفكر بمعلميه، فهم الذين بإمكانهم رفع أو خفض الطاقة الإنتاجية للتربية والتعليم.

ميزانية التربية: يجب تأمين نفقات كل خطة، وصرفها في المجالات التالية:

- ميزانية للكادر الذي يخطط، من أخصائيين وموظفين ومساعدين.

- ميزانية لتنفيذ مشاريع توفير المباني والوسائل والتجهيزات لها.

- ميزانية للعاملين، كالمعلمين والموظفين والإداريين.

- ميزانية لوسائل التعليم وتأثيث المدارس، وتأسيس المكتبات والمعامل والمختبرات.

- ميزانية للصحة والغذاء ووسائل التدريس وملابس الفقراء، الزمالات الدراسية و...

- ميزانية لإعداد المعلمين وتأهيلهم وكل ما يطرح في هذا الصدد.

- ميزانية للكتب المدرسية والمؤلفات الأخرى مثل المجلات التعليمية والكتب المترجمة وأفلام السلايد.

- ميزانية للتقييم، وتنظيم مؤشرات التقدم والنمو، والتحقيق والدراسة المستمرة، والتي تحتل حوالي ٢٪ من ميزانية التربية والتعليم، في كثير من الدول المتقدمة.

- ميزانيات أخرى:

على الصعيد التنفيذي:

هناك حاجة إلى ضوابط إجرائية وتحديد المقررات التي تنفذ ذلك البرنامج، ويستعان في هذا العمل بالمسؤولين الكبار، فيبحثون في هذا الموضوع، ويتم إعداد النظام الداخلي ومعاييره من قبل مجلس عال، أو مجلس البرلمان أو مجلس الوزراء أو من قبل وزير التربية والتعليم على الأقل، وينفذ. وتبين في هذا الأمر وظائف المسؤولين ومشروع إعداد الأرضية الفكرية للناس ورفع المشاكل التنفيذية وكيفية اتخاذ القرارات؛ وينبغي عدم تجاهل أهمية ذلك، حيث ان أفضل الخطط قد تفشل وتعطى أسوء النتائج، إذا كان المنفذون غير واعين.

الفصل الثامن والأربعون

شروط ونكات التخطيط.

مقدمة:

للوصول إلى الأهداف التربوية وتحرير القابليات واستخدام مصادر تنمية الحياة السعيدة، من الضروري العمل على أساس تخطيط صحيح تؤخذ فيه بعض الشروط والنكات بنظر الاعتبار وتكون الدراسات منظمة والقضايا ذات العلاقة بوجهات النظر واضحة، وجميع جوانب الخطة معلومة.

وفي هذا السياق، من الضروري البحث عن الزوايا المظلمة في الخطة، والتفكير بالحل الذي يستهدف بيانها وصراحتها، فيتضح لمن نخطط وما هي الضوابط والشروط والأولويات والمعايير؟ وما هي وجهة النظر المطروحة حول التعليم الإلزامي، وكيف نفكر بالعشائر في القرى... هذه هي الشروط والنكات التي يجب أن تلحظ عند التخطيط.

مسألة الاقتباس:

لا يمكن أن تكون الخطط مستوردة، وقائمة على أساس معايير الأجانب، لأن هناك خطر سياسي في مثل هذه الحالة، كما أن من المحتمل أن لا تنطبق شروطها ومقتضياتها مع أوضاع الدولة وضوابطها، فكثير من المنظرين يأتون من المعسكر الشرقي أو الغربي ويحاولون تحقيق أطماعهم الاستعمارية عن ذلك الطريق وإيقاع البلد في فخهم.

كما أن التخطيط لا يمكن أن يأخذ شكلاً تقليدياً، وليس صحيحاً أن يرسم وفق الذوق الشخصي، لأن لكل مجتمع مقتضى وتراعى فيه شروط وجوانب وقد يؤثر الذوق الشخصي في حصول مسألة الركود والتخدير ولا

تلحظ فيه رغبات المجتمع، وهذا يمثل خطراً جديداً للنظام التربوي في البلد.

ولعل أفضل طريقة في التخطيط هي ملاحظة شروط وضوابط المجتمع، وتقتبس مسائل من المجتمعات التي لها وضع وظروف مشابها ثم ترسم الخطة وتنفذ، ويجب أن يكون الاقتباس أحد أسس التخطيط، وعلى المخططين أن يستفيدوا من الخطط في أي مكان كانت.

تعيين المعيار:

من الضروري عند التخطيط، تحديد معيار لمعرفة الشروط وتحديد الضوابط والقواعد والنواحي التنفيذية والعملية للخطة، فيجب تحديد هل ان الظرف الراهن هو المعيار أم المستقبل المثالي المطلوب؟ وهل الميزان هو رأي الجمع أم رأي الدين؟ وفي تلك الحالة، من الضروري، التعرف على الفلسفة العامة وقواعد الفكر في ذلك الدين، ودراسة وتحليل تفاصيله.

كما يجب أن نوضح هل ان المركزية هي المسألة المطروحة أم اللامركزية؟ وهل الخطة عامة ودائمية أم أنها ينبغي أن تتكرر كل بضع سنين؟ وهل أن الضوابط وحاجات المجتمع هي المستهدفة أم أن الأساس هو تنفيذ أطروحة عامة حتى ترفع الحاجات على أساس ذلك؟ وهل التركيز هو على التربية الإقليمية أم بالعكس؟ هل الغرض هو إسهام الناس في الأمور أم خلاف ذلك؟ وهل للمجالس دور أم لا؟ وهل الامتيازات والتمييز قابلة للإلغاء أم لا؟ وهل هناك إحياء للسنن الدينية أم لا؟ و...

تحديد الأولويات: يجب أن تحدد الأولويات في التخطيط، باعتبار أن كل خطة تركز على النواحي المثالية، ولا يمكن تطبيقها مئة بالمئة، ولكن مع هذا، بالإمكان تنفيذ بعض النواحي مئة بالمئة، فينبغي تشخيص وتوضيح تلك الجوانب.

وعلى هذا يجب بيان هل ان الأولويات في التعليم، مثلاً، تختص بالتعليم النظري أم الفني والحرفي، ولأي فرع من الفروع الدراسية تعطى أولوية؟ وهل ان محو الأمية والتعليم العام يحتل أولوية، أم أن الأولوية هي لإعداد الصفوة وعدد خاص يمثلون قيادة المجتمع؟ وهل التركيز على رفع

مستوى الوعي العام، أم التخصص وإعداد أفراد ماهرين؟ وما هو الفرع الذي يؤكد عليه في المجتمع؟ وأي من الأمور تحظى بالاهتمام في المجال الزراعي والصناعي؟

وينبغي تحديد المرحلة الدراسية التي يركز عليها، هل هي الدراسة الابتدائية أم الثانوية أم الجامعة؟ وهل التأكيد هو على النواحي القروية أم المدنية أم على جميع مناطق البلاد؟ وما هي الوسائل التي تولى أهمية، الدين أم رأي الشعب؟ و. . .

مسألة الاختلاف: ينبغي عند التخطيط الالتفات إلى مسألة التباين، خاصة التفاوت من حيث الجنس، إذ لا يمكن تطبيق نمط تربوي واحد للبنين والبنات، ولا يمكن انتظار مستوى واحد من جميع أفراد المجتمع، فيجب أن تهيء المؤسسة التربوية تكليفاً وبرنامجاً خاصاً لكل جماعة لها جهات متشابه، فتطرح على ضوء القابليات والتحمل، كما ينبغي مراعاة الضوابط التربوية، ويجب التخطيط للنواحي العملية والفكرية للمجتمع. وقد كان الأنبياء عليهم السلام وهم النموذج الكامل للمربين، يهتمون بمسألة الاختلاف بين الناس في الفهم والفكر والإدراك، وكانوا يرون أنفسهم مكلفين بالتحدث على مستوى عقول الناس، وهذا الأمر نموذج يقتدي به المربون.

ملاحظة ظروف البلد: والمقصود هي الظروف الدينية، السياسية، الاقتصادية والثقافية للبلد، إذ ليس باستطاعة أي خطة النجاح، من دون مراعاة الظروف المذكورة في المجتمع، وذلك باعتبار أن التربية والتعليم تتأثر بسياسات المجتمع والأمور ذات العلاقة بالنواحي الدينية والأخلاقية والنظام الثقافي والاقتصادي للدولة.

وينبغي عند التخطيط توضيح الجوانب المتصلة بالقرى والمدن، وعلينا أن نعلم ما لدينا من إمكانات ووظائف، وما هي ظروف المنطقة وكيفيتها، وهل ان الظروف والإمكانات مناسبة للصناعة أم للزراعة، وما هي طبيعة الأرضية الموجودة في المجتمع، وما هي الثقافة والبرنامج الذي اعتاد الناس عليه؟

ومن الأمور الأخرى التي ينبغي لحاظها في هذا الصدد، هي مسألة الدين والأخلاق والسنن الحاكمة، فكثيرة هي الأمور والمسائل التي لها صلة بالدين، والناس يسعون إلى معارضة الجوانب المخالفة للدين، فلا يمكن وضع مقررات تربوية مخالفة للإسلام وقوانينه، لشعب مسلم.

على صعيد التعليم الأساسي: من المسائل المهمة، تحديد درجة التعليم الأساسي في الدولة، من حيث عدد الصفوف الدراسية ونوعية البرامج، وهل هي إلزامية أم غير إلزامية؟ فالتعليم حرّ في بعض المجتمعات وإلزامي في بعض آخر، ثم إن درجة ونوع الإلزام وتختلف بين دولة وأخرى، فهناك مجتمعات تفرض التعليم الإلزامي فترة ٤ صفوف دراسية، وبعض آخر ٦ صفوف وبعضها ٨ صفوف و. . . والتعليم لدى بعض الدول إلزامي على جميع أبناء البلد، في حين أن دولاً أخرى جعلته إلزامياً في بعض المناطق، بينما ثمة دول ألزمت التعليم في مدن معينة.

وهناك طرق تستخدم في مجال تنفيذ التعليم الإلزامي، وهي: تحديد التعليم في المرحلة الثانوية والعالية، إجراء خطة التعليم المسائي من أجل التنمية السريعة للتعليم، السماح للقطاع الخاص بتأسيس المدارس خاصة المدارس الابتدائية، وبالذات المدارس ذات الصف الواحد والصفوف المتعددة، إجراء البرامج الفردية للتدريس في البيوت والمساجد و. . .

على صعيد أسلوب التعليم: ويجب في هذا الصدد معرفة الأساليب التي يعتمد عليها في التربية والتعليم، وهل يُعتمد على النظرية في التعليم، أم على الاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية، وهل نهتم بالحفظ أم بالجانب العملي؟ وما هي الضوابط والقواعد التي يجب استخدامها في هذا المضمار، وما هي الشروط والأهداف المرسومة في هذا الصدد؟ وما هي الوسائل والأجهزة التعليمية التي تستعمل في هذا الشأن، وما هي الطرق المستخدمة في تجديد أساليب العمل؟

وما هي قواعد البناء والإصلاح التي ينبغي الاستفادة منها، على الصعيد التربوي؟ وما هي الضوابط؟ وهل ان التركيز هو على الجبر والعنف أم على الحرية؟ وما هو المبنى والفلسفة التي يعتمد عليها في تربية الأطفال؟ فهل الأساس قائم على شر النفس أم خيرها وسكونها؟ وما هو دور التوبيخ البدني في هذا المجال؟ و. . .

على صعيد التعليم القروي والعشائري:

يجب تشخيص دور العشائر والقرى عند التخطيط، وما هي القرارات التي تتخذ بشأنها؟ إن الهدف هو رفع مستوى التعليم القروي والعشائري، أم الاكتفاء بالتعليم الإلزامي؟ وهل الغرض جذبهم إلى المدن أم إبقاءهم في القرى؟ وهل يمارس التعليم عن طريق نظام المكتب أم بطرق أخرى؟

وهل يحق لمعلمي المرحلة الابتدائية في القرى، التعليم في المرحلة المتوسطة أم لا؟ وما هو نظام الامتحانات هناك؟ وهل يراد في العشائر تعليم البيطرة أم إيجاد الوحدة في التعليم بين القرى والمدن؟ وهل يكون الاهتمام بتربية الدواجن والصيد في القرى أكثر من المدن أم لا؟ وما هي الإمكانات التي يمكن توفيرها للمعلمين من أجل تشجيعهم على الذهاب إلى القرى؟ وما هي الضوابط التي يحدد على ضوئها عملهم ورواتبهم؟

على صعيد الأوقات الإضافية: عند التخطيط ينبغي تشخيص خطة للأوقات الإضافية للتلاميذ والمعلمين، وماذا علينا أن نعمل للتلاميذ المتفوقين الذين باستطاعتهم إنهاء صفين دراسيين في سنة واحدة؟ فهل يسمح بهذا؟ وهل ينبغي ملاحظة مسألة الشعور بالتباين وما يحصل من تمييز في هذا الصدد، في حالة تنظيم خطة الصفين في سنة واحدة؟ وكيف يخطط لمسألة إقامة صفوف خاصة بالطلبة المتفوقين؟ وماذا نصنع حتى نستفيد أكثر من قابلياتهم لصالح البناء ونحول دون ذهابها هدراً؟ وماذا نعمل لرفع التلميذ والمعلم إلى الحركة والنشاط؟

التقييم: ينبغي عند التخطيط الالتفات إلى مسألة الشروط والإمكانات والمعيار الذي يجب مراعاته في تقييم الخطة، وماذا نفعل من أجل التقييم المستمر للخطة والبرنامج ومعرفة المسائل التي يجب إعادة النظر فيها؟

كيف نقيم نتائج تنفيذ الخطة؟ كيف نفهم أننا نجحنا في تنفيذها؟ وكيف نقيم عمل المعلم؟ وما هو أسلوب تقييم عمل الطالب؟ كيف نقيم الأهداف والبرامج والأساليب؟ كيف نفهم الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لها؟ وما هي طريقة جبران وإصلاح الانحراف والخطأ.

أعمال بعد التخطيط: هناك خطوات تتخذ بعد التخطيط لتنفيذ الخطة، وفي هذا الصدد تراعى النواحي التالية:

ـ تعيين أطروحة مؤسسة مناسبة واختيار العناصر الكفوءة لتنفيذ الخطة.

ـ التنسيق بين أجزاء المؤسسة.

ـ مراعاة الأولوية.

ـ المتابعة والدراسة المستمرة لأساليب عمل المؤسسة، وذلك في فترات معينة، حتى يتضح هل ان الأمور تسير وفق الضوابط أم لا؟

ـ تنظيم ضوابط وقواعد لاطلاع الآباء والمربين على هذا التخطيط بهدف استحصال تعاونهم.

ـ التقييم المستمر للعمل والبرنامج بهدف القيام بالتغييرات اللازمة حين التنفيذ والعمل.

ـ تأمين وتنظيم ميزانية تناسب هذا الأمر وتكون بمثابة البنزين في محرك الجهاز.

المشاكل والمصاعب:

ثمة مشاكل كثيرة تقع عند التنفيذ، فرسم الخطط وتقديم المقترحات ليس مهماً، المهم هو إمكانية الربط بين الاقتراح والعمل. ونذكر في ما يلي بعض تلك المشاكل:

ـ رفض بعض المعلمين للخطة الجديدة.

ـ نفوذ عقائد وأفكار خاطئة وإشاعات.

ـ وجود نواقص وضعف في الوسائل والأجهزة والمعلمين.

ـ وجود قوانين ومقررات تعرقل العمل.

ـ اعتياد الناس ومقاومتهم.

ـ وجود مشاكل مالية وقلة الميزانية.

ـ المشكلات المتعلقة بإعداد المعلمين.

ـ مشاكل أخرى.

وبالإمكان رفع هذه العراقيل والمصاعب بالتدريج من خلال الدقة في الأمور والتشاور والاستفادة من وجهات النظر.

القسم الرابع عشر

عقبات في طريق التربية، وأساليب الإصلاح

هذا القسم، في الحقيقة هو القسم الأخير من هذه البحوث، ويتناول مسألتين مهمتين وأساسيتين في التربية، هما مسألة العقبات ومسألة الإصلاحات.

وفي الفصل المتعلق بالعقبات، يجب التكلم حول أربع أنواع منها وهي بالترتيب: العقبات ذات العلاقة بالشخص المتربي، العقبات ذات الصلة بالمربين الرسميين وغير الرسميين، العقبات المتصلة بحقائق المجتمع، العقبات الناجمة عن الضعف والنواقص. وسنطرح بعض المسائل بشأن ذلك مع مراعاة الاختصار.

وأما بالنسبة للإصلاح، فينبغي أيضاً طرح مباحث حول المواضيع. الآنفة، فنتحدث عن نمو الفرد ووعيه، وعن الإصلاحات اللازمة التي يجب أن تحصل بشأن البيت، المدرسة، المجتمع، وعن التغيير الجذري أو الاصلاحي الذي يجب حصوله في التربية والتعليم في البلد، وأخيراً نتحدث عن الرقابات اللازمة الملحوظة في هذا المجال. مع مراعاة الاختصار في طرح المسائل، أي في حدود تقديم وجهة نظر تستهدف الحث على البحث والدراسة.

الفصل التاسع والأربعون

عقبات التربية

مقدمة:

هناك عوامل في طريق تربية الجيل، سواء كان ذلك في الإطار الرسمي للتربية أو في خارجه، تعمل على إفشال جهود المربين في هذا الشأن، وقد تترك آثاراً سلبية. ويجدر الإشارة إلى أن بعض المربين يعتقدون بأن التربية غير الرسمية أو التربية التلقائية، دور استثنائي (ارنست كريك)، ويرون أن أغلب الناس يتربون بشكل غير إرادي وأن بناءهم لا يقوم على خطة معينة مرسومة.

إن الإنسان يتأثر بعوامل وظروف مرئية وغير مرئية، بعضها له علاقة بالشخص نفسه وبعضها يرتبط بالبيئة الإنسانية والعوامل ذات الصلة بها، وهناك قسم يتعلق بالحقائق الموجودة في المجتمع وأخيراً، ثمة قسم له صلة بالنواقص ونقاط الضعف الموجودة في الحياة، وهذه دراسة ملخصة لما تقدم.

أ ـ العقبات ذات العلاقة بالشخص نفسه: نذكر هنا العوامل والمسائل التي تشكل نقطة إيجابية لتربية وبناء الإنسان، وفي نفس الوقت، تعتبر نقطة سلبية ومانعة.

وأهم المسائل التي يمكن الإشارة إليها في هذا الشأن، هي:

ـ التقاليد، خاصة ما يُعد تحت عنوان التقليد الأعمى.

ـ الأنانيات التي لا تسمح بتفاعل الإنسان مع سائر أبناء نوعه.

ـ النفس الأمارة التي تجر الإنسان إلى الأمور التافهة، والتي قد تسبب فضيحته.

ـ اتباع الظن، الذي لا يوصلنا إلى الحقيقة.

ـ العصبيات وتسبب النظرة الضيقة للمسائل والإصرار عليها.

ـ الكسل والدعة التي تحول دون النمو والانتاج والبناء.

ـ الغرائز، خاصة حين لا تُوازَن.

ـ البخل والالتزامات الناجمة عن الارتباط بالأرض، واللؤم.

ـ الدوران حول النفس الناجم في أغلبه عن حب الذات.

ـ. . . إن عمل المربي صعب، لأن أغلب الناس مرتبطون بشدة بهذه الحالات ويمنع ارتباطهم الشديد بهذه العوامل من السمو، وإصلاح ذلك يتطلب وقتاً وجهوداً علمية وتربوية كثيرة.

ب ـ العقبات ذات العلاقة بالبيئة والمربين: من الضروري في هذه المسألة ذكر ثلاث بيئات مختلفة وثلاثة عوامل، قد تعمل في كثير من الأحيان، بشكل مختلف.

١ ـ الأسرة: يتأثر الطفل بها من نواح مختلفة، إذ تؤثر فيه الوراثة والمسائل ذات العلاقة بالوراثة مثل حالات العمى والصم الوراثي والنواقص في الأعضاء والأمراض، والنواحي ذات الصلة بذكاء الأبوين.

كما يؤثر في الصبي، الرحم وظروفه، وبعد الولادة يتأثر بالغذاء والدواء والأخلاق والثقافة والاقتصاد والانضباط والدّين، السائد في الأسرة، ويتأثر بعمق بأبويه، حتى يمكن القول ان حالات الانحراف لدى الوالدين، وحالات التقوى، تؤثر فيه. وعلى هذا الأساس يتأثر الطفل بالجوانب السلبية لدى الأبوين، وما يحصل في العائلة من نزاعات واختلافات وأحقاد وسوء تصرفات وقساوة، والقيود الخاطئة وعدم النظام و. . . وتعتبر بمثابة عقبات في طريق التربية.

٢ ـ المدرسة: دور المدرسة في بعض الأحيان ليس بأقل من دور

الأسرة، فالمدرسة، في الحقيقة هي أسرة مؤلفة من عدد كبير من الأطفال المختلفين من حيث العمر والمستوى الدراسي والوعي والأخلاق والسلوك والنمو والعادات والتقاليد، والمدرسة أضعف من العائلة الحقيقية من ناحية الرأفة، لكنها أقسى منها في الجانب الانضباطي.

وتؤثر في تربية الطفل المنهج الدراسي في المدرسة وطريقة التدريس وكيفية التعامل، وتعامل المعلم والمدير، وحدود المنهج، والنواحي العاطفية والاجتماعية، وأوقات اللعب والاستراحة والفراغ الموجود في المدرسة والصف، وجذابيتها أو عدم جذابيتهما، والتعليم السلبي للمعلم، وتشجيعه وتوبيخه للطلاب، وكثير من تلك الجوانب تعرقل العمل التربوي ويجب إزالتها.

٣ ـ **المجتمع**: والمجتمع هو جميع الناس والأفراد الذين يؤثرون في حياتنا بشكل من الأشكال، وكثير ما يحصل أن يؤثر تعليمهم السلبي في إفشال جهود المربين، فنحن نتأثر بأقوال وأفعال الأفراد المحيطين بنا وأعمال الجيران والعابرين والبائعين والمشترين، القبيحة والخاطئة، وكذلك التصرف غير الصحيح الذي يصدر عن الأشخاص الذين يؤدون وظائفهم في إطار دور النماذج الاجتماعية، وتشكل عقبات في العمل التربوي.

ج ـ **العقبات ذات العلاقة بالحقائق**: لو قسمنا الحقائق الجارية في المجتمع إلى أربعة أقسام، سياسية، اقتصادية، ثقافية واجتماعية، وذكرنا الحقائق الثابتة وهي الظروف الجغرافية والمناخ والماء، فيجب أن نقول انها يمكن أن تعتبر بمثابة عقبة في طرق تربية الطفل. وفي ما يلي دراسة لتلك الحقائق:

١ ـ **الحقيقة الاقتصادية**: علينا هنا أن نتحدث عن الفقر، الحرمان، الفشل، والتي تؤدي إلى اضطراب البال، وتعرض راحة بال الإنسان إلى الخطر، وتسد أحياناً الطريق أمام تقدم الإنسان.

ومع أننا لا نعتبر الاقتصاد أساس للفكر والسلوك، ولكن علينا أن نقول ان دوره بمستوى دور البنزين في الماكنة، على الأقل، حيث يحركها ويمكن بواسطته التقدم نحو الهدف. إن الحرمان يقطع أوصال الرغبات ويسلب من الإنسان السكون والهدوء.

٢ ـ الحقائق الاجتماعية: وفي هذا الصدد، تعتبر المسائل ذات العلاقة بالحريات المطلقة، التعقل أو عدم التعقل الاجتماعي، الانفلات الاجتماعي، وجود الفحشاء، التعلق الشديد بالمجتمع باللذائذ، رواج الأفكار والتصرفات الخاطئة، اختلاط القبح بالحسن، حب المظاهر والاهتمام بالزخارف، رواج التقليد الأعمى، حب الموديلات، وجود الجهل، الحسد، الجنون الاجتماعي و. . . بمثابة موانع في العمل.

٣ ـ الحقائق السياسية: إن حالة المنع بلا مبرر، الحريات المطلقة، التملق، فرض القوانين الموضوعة من قبل البشر، ضعف القانون، اختلاط النظام السياسي بالمفاسد المختلفة، وجود الرشوات، الاختلاسات، عدم مقاومة الشر، انشغال الجهاز الحاكم باللذائذ، طلب الانقياد الكامل من الناس، عدم إمكانية التعامل مع أفراد خاصين، وجود الرعب، وجود المقررات والضوابط المكبلة للناس و. . . يمكن أن تمثل عقبات في طريق التربية.

٤ ـ الحقائق الثقافية: وفي هذا الشأن ينبغي الإشارة إلى الأفكار والفلسفات الرجعية، الأفكار الظالمة، النزعة نحو العناوين الدراسية، الفن المخدر، الشعر والنثر الذي يظهر الأخلاق والسلوك السيء بمظهر حسن، الأدب الذي يهتم بالمشاعر فقط، الأفلام والمشاهد السيئة، الآداب والأعراف المخدرة، المطبوعات ذات الأفكار السيئة، الرسوم والمعارض التي تترك آثاراً سلبية على نفس الإنسان، العقائد الخاطئة، والتي تعتبر كلها عقبات في طريق التربية.

٥ ـ الحقائق الجغرافية: وفي هذا المجال يشار إلى الظروف الجوية غير الملائمة، المرتفعات والمنخفضات، الحرارة والبرودة، الرطوبة و. . . خاصة للذين لم يتأقلموا مع هذه الظروف، وهي تُعد عقبات أمام التربية.

د ـ النواقص ونقاط الضعف: وهنا ينبغي ذكر مسائل كثيرة، من أهمها:

نقص المعلمين والقوى البشرية، عدم توفر برنامج معين مدروس، نقص البنايات، نقص التجهيزات، ميزانية التربية الباهظة، النواقص ذات

العلاقة بالأسلوب التعليمي، الاتجاهات القديمة، الاتجاه الظني، الفقر، ضعف الإيمان، ضعف الآداب والقيود، فراغ وعبثية المناهج، ضعف الإدارة، عدم المسؤولية، انتشار الجرائم والفساد، هبوط المستوى العلمي للعاملين في الحقل الثقافي، نقص إمكانيات المطبوعات الجيدة، التركيز على الجوانب النظرية في المدارس، عدم القبول بالنقد، ضعف واهتزاز الأسس العلمية و. . . وهي تعتبر كموانع في العمل التربوي.

الفصل الخمسون

الإصلاحات اللازمة

لا شك أن هناك عقبات ونقاط ضعف في أمر التربية، وعلى الجميع المبادرة إلى رفعها وإزالتها باتخاذ أساليب خاصة.

- فالآباء يتولون مسؤولية مباشرة في تربية أبنائهم.

- المدرسة والمجتمع، اللذين يتصديان بشكل رسمي وغير رسمي لتربية أبناء المجتمع.

- الحكومة والمسؤولين الذين يتولون وظيفة عامة في بناء وخير المجتمع.

إلا أن دائرة الإصلاحات واسعة وتشمل جميع الأفراد والأمور التي لها دور في التربية، وسوف نطرح بعض المسائل بإيجاز حول كل واحدة من تلك الحالات.

على طريق الإصلاح:

هناك نمطان من الفكر للقيام بالإصلاحات اللازمة في المجال التربوي وفي بناء المجتمع بالنتيجة، هما:

١ ـ مدرسة الأخلاق، حيث يركز فيها على الحريات الأساسية، وهي ترى أن الإصلاح لا يتحقق عن طريق تصفية القلب، وتسعى بغية الوصول إلى هذه الأهداف، إلى ما يلي:

- التأكيد على حرية العقل وتكريم الناس على أساس ذلك.

- إشاعة الهدفية في المجتمع وإدانة الفوضى والضياع.

- تقييم الميول والاتجاهات، وتوجيهها.

- جعل العلم وفلسفة الحياة مرتكزة على قواعد وضوابط صحيحة.

- تعديد الغرائز والسعي لتوجيهها على أساس الأهداف الصحيحة.

وكما يلاحظ أن هذا هو نوع من التربية، ومن أجل الوصول إلى أهدافها، يجب الاهتمام بالعقبات الموجودة، وبعبارة أخرى، ينبغي الإشارة إلى التربية وعقباتها من أجل رفع الموانع التربوية، وهذا نوع من الدوران والتسلسل. إننا نريد إزالة السدود والعقبات الموجودة في هذا الطريق، ولكن سوف نواجه نفس تلك السدود والموانع، عند العمل على إزالتها، وبالنتيجة ليس أمامنا طريقاً للوصول إلى أهدافنا إلا طريق التربية.

٢ - طريق إصلاح البيئة باعتبار أنها ترى الشخصية تعتمد على خليط من القوى والعوامل المحيطة، وتنكر وجود قوة باطنية للإصلاح، وتعتقد أنه لا يمكن الإصلاح، ما دام المحيط ومقرراته لم تصلح، وهؤلاء يرون أن التغييرات الحادة غير صحيحة، بل يجب حصول الأعمال تدريجياً ومن الجزئية إلى الكلية، وان الفساد والجريمة يجب إزالتها، ولكن بالتدريج، وأن الخيانة ينبغي مكافحتها ولكن شيئاً فشيئاً.

وهم يرون أن الفرد لا يملك إرادة، وهو مقهور وتحت سلطة المجتمع، وأن فكر المجتمع بشأن الحقوق الطبيعية، الحرية والأسر، التعاون والتعاضد، والإخلاص، كلها تؤثر تلقائياً بالفرد، وتوجههم نحو الجهة المطلوبة أو غير المطلوبة، ولبناء أفراد سليمين لا بد لنا من العمل على أن يكون المحيط مساعداً، وحصول المحبة والصحبة والنشاط والجهود الدقيقة، والحياة الهادفة وبغير هذا لا يمكن إصلاح وبناء الجيل.

الطريق الثالث:

كما نرى أن الرأي الأول يهتم بالفرد ويتجاهل المجتمع، والرأي الثاني يؤكد على المجتمع فقط، ويتجاهل الفرد. وبرأينا أن الحد الوسط هو في التأكيد على الفرد ومراعاة النواحي الموجودة لأصحاب الفكرة الأولى، وفي نفس الوقت الاهتمام بالمسائل الاجتماعية وإصلاحها، وأن

نعمل على الصعيدين، على أساس تجارب الأنبياء، صعيد الحياة الفردية وصعيد الحياة الاجتماعية، ونلحظ كلا الجانبين معاً، فالفرد والمجتمع يؤثران في نمو وتربية الفرد وعليهما أداء دورهما المهم والعظيم بشأنه، وعلى كل شخص أن يشعر بوظيفته تجاه الآخر، وأن عليه بناءه ورفع الموانع التربوية من أمامه، والعمل على تنميته وتوعيته، ويكون بمثابة عصا يتكأ عليها.

ومقتضى طبع الإنسان، هو طلب النمو والحقيقة والسمو والتحرك باتجاه الرغبات، فيمكن التقدم عن طريق إيجاد النضج وأرضية الوعي، وإزالة الموانع بالتدريج، وهو عمل يلاحظ في طريقة التربية لدى الأنبياء.

الثورة التعليمية:

من الضروري القيام بثورة تعليمية، تتمثل في تغيير جذري في نظام التربية والتعليم، من أجل بناء الفرد والمجتمع. فيقضى على النظام الحاكم في التربية وتُزال البيروقراطية الحاكمة، ويُهيء قانون جديد لتعليم وتربية الجيل وتحديد وظيفة المسؤولين، وإعداد خطة للتعليم وتهيئة الأرضية الفكرية للأفراد ورفع عادات ومشاكل الناس ورفع العقائد والعادات الخاطئة.

ويعتبر إعداد خطة في هذا الصدد، يمثل بعداً واحداً من أبعاد القضية، ويقوم به العلماء وأهل الرأي، أما البعد الآخر فهو التنفيذ الجيد، وتهيئة الضمانة الإجرائية اللازمة لذلك وملاحظة حدوده وجوانبه.

ولا شك أن الموانع ستقف أمام طريقنا عند إعداد وتنفيذ الثورة التعليمية، وفي هذا الصدد يجب على الحكومة والعلماء والأفراد من أهل النفوذ العمل والسير في هذا الطريق، ومن دون ذلك لا يمكن تنفيذ الخطة.

الإصلاح التعليمي:

عند تنفيذ الخطة وخلال الإصلاحات التربوية نحتاج أحياناً إلى القيام بتغييرات بسيطة، وهي مسألة يجب القيام بها بالنظر للضرورات، وتكون مستمرة، والعمل التربوي ليس بالأمر الذي يمكن أن يتقدم دائماً وفق خطة معينة ثابتة، بل إننا نمر بوضع وظروف خاصة في كل سنة وشهر.

إن التحولات والحاجات الجديدة تظهر أمامنا، وان النظام التربوي يجب أن ينسجم معها ويتطابق مع التحولات والحاجات وفق الضوابط والشروط التربوية.

وعلى أي حال هناك حاجة للتغيير والإصلاح، وهذا العمل ينبغي أن يقوم به المسؤولون وأهل الرأي والمتصدون للتربية، ومن الضروري أحياناً استطلاع آراء الناس والاستفادة منها في الخطة وفقاً لضوابط عقيدتهم وفلسفتهم.

صعوبات الطريق:

إن إجراء الخطط والبرامج الإصلاحية ليس أمراً سهلاً وبسيطاً دائماً، ولا يمكن تنفيذها من دون مواجهة مشاكل، إلا أن الخوف من المسائل والمصاعب، يجب أن لا يكون دافعاً لتركها، بل يجب التقدم بسكون واطمئنان بشرط تحديد الطريق الصحيح وتنفيذ الخطة.

وتؤثر رقابة الفرد والمجتمع والحكومة في هذا الموضوع، وعلى منفذي الخطة ملاحظة الظروف اللازمة لتنفيذها، ومع الجهود تبذل لتحقيق نجاح الخطط بنسبة مئة بالمئة فإن من اللازم الاطلاع على إمكانية الوصول إلى كل ما مرسوم هو أمر شاق.

والسلام

الفهرس

الإهداء ٥

القسم الأول:

المقدمة ٧

الفصل الأول:

المقدمة ٩

الفصل الثاني:

حديث في باب العلم ١٦

القسم الثاني:

مسائل عامة في التربية ٢٣

الفصل الثالث:

تعريفات وبحوث ٢٥

الفصل الرابع:

دائرة وفروع التربية ٣٣

الفصل الخامس:

أسلوب التحقيق في التربية ٤١

القسم الثالث:

موضوع التربية ٥١

الفصل السادس:

الإنسان وخلقه ٥٣

الفصل السابع:
الأساس الفطري وملكية الطفل ٥٩
الفصل الثامن:
تقبل الإنسان للتربية ٦٦
الفصل التاسع:
العوامل المساعدة في التربية ٧٥
الفصل العاشر:
حق التربية ٨٤
القسم الرابع:
فائدة وظيفة التربية ٩١
الفصل الحادي عشر:
فائدة وأهمية التربية ٩٣
الفصل الثاني عشر:
وظيفة التربية ٩٨
الفصل الثالث عشر:
حدود الوظائف ١٠٣
القسم الخامس:
عناصر التربية ١١١
الفصل الرابع عشر:
العوامل الإنسانية في التربية ١١٣
الفصل الخامس عشر:
العوامل غير الإنسانية في التربية ١٢٠
الفصل السادس عشر:
شرط النجاح في التربية ١٢٩

القسم السادس:
في مجال الأهداف ١٣٧
الفصل السابع عشر:
مسائل عامة في أهداف التربية ١٣٩
الفصل الثامن عشر:
تقسيم الأهداف ١٤٧
الفصل التاسع عشر:
مصدر الأهداف وكيفيتها ١٥٦
القسم السابع:
مضمون التربية ١٦٥
الفصل العشرون:
المضمون وسعته ١٦٧
الفصل الواحد والعشرون:
المضمون والظروف والمقتضيات ١٧٧
الفصل الثاني والعشرون:
بعض المسائل العامة في المضمون ١٨٥
القسم الثامن:
أساليب التربية ١٩١
الفصل الثالث والعشرون:
أساليب التعليم ١٩٣
الفصل الرابع والعشرون:
أنماط التربية ٢٠٢
الفصل الخامس والعشرون:
أدوات وقنوات التربية ٢١٠

الفصل السادس والعشرون:
الدوافع التوجيهية في التربية ٢١٧
الفصل السابع والعشرون:
النواهي المستخدمة في التربية ٢٢٢
القسم التاسع:
مراحل التربية ٢٢٩
الفصل الثامن والعشرون:
أهمية التربية الأولية ٢٣١
الفصل التاسع والعشرون:
التربية في الأعوام السبعة الأولى ٢٣٨
الفصل الثلاثون:
الأعوام السبعة الثانية من العمر ٢٤٥
الفصل الحادي والثلاثون:
الأعوام السبعة الثالثة ٢٥٢
الفصل الثاني والثلاثون:
الشباب والكبر ٢٦٠
القسم العاشر:
إعداد المعلم ٢٦٧
الفصل الثالث والثلاثون:
التعليم وأهميته ٢٦٩
الفصل الرابع والثلاثون:
صفات المعلم وشروطه ٢٧٥
الفصل الخامس والثلاثون:
إعداد المعلم ٢٨١

الفصل السادس والثلاثون:
دور وعمل المعلم ٢٨٨
الفصل السابع والثلاثون:
العمل التعليمي ٢٩٦
القسم الحادي عشر:
التقييم التربوي ٣٠٣
الفصل الثامن والثلاثون:
أهمية وأحداث التقييم ٣٠٥
الفصل التاسع والثلاثون:
تقييم التعليم ٣١١
الفصل الأربعون:
طرح الأسئلة الامتحانية وتصحيحها ٣١٨
الفصل الحادي والأربعون:
التقييم التربوي ٣٢٦
الفصل الثاني والأربعون:
درجات الامتحان ودراسة لنتائجها ٣٣٣
القسم الثاني عشر:
المؤسسة والتنفيذ ٣٤١
الفصل الثالث والأربعون:
النظام التنفيذي ٣٤٣
الفصل الرابع والأربعون:
المؤسسة والتشكيلات ٣٥٠
الفصل الخامس والأربعون:
الميزانية ونتاج التربية ٣٥٧

القسم الثالث عشر:
التجديد التربوي ٣٦٣
الفصل السادس والأربعون:
التخطيط والضرورة ٣٦٥
الفصل السابع والأربعون:
قواعد التخطيط ومباحثه ٣٧١
الفصل الثامن والأربعون:
شروط ونكات التخطيط ٣٧٧
القسم الرابع:
عقبات في طريق التربية، وأساليب الاصلاح ٣٨٣
الفصل التاسع والأربعون:
عقبات التربية ٣٨٥
الفصل الخمسون:
الإصلاحات اللازمة ٣٩٠